



محمد علي مغربي



في القرن الرابع عشر للهجرة

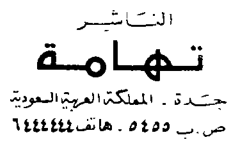
١٣٠١ – ١٤٠٠هـ

١٨٨٣ – ١٩٨٠م

الجُزءُ الأوّل

بسم الله الرحمن الرحيم





الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

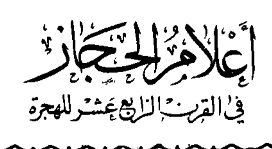
مقدمة

الحمد لله الذى خلق الانسان فسواه ، وصوره فاحسن تصويره ، ووهبه من الصفات والمزايا وفضله على سائر المخلوقات ، وارسل الانبياء والرسل لهدايته وتقويمه ، وجعل له الخلافة فى الارض واسبغ عليه من نعمه مالا يحصيه العد ولا يصل اليه حد ، والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله وصفوته من الخلق سيدنا ونبينا محمد الذى ارسله الله هدى للعالمين ورحمة ، والذى اصطفاه ورباه وقومه احسن تقويم ، فكان كما قال تعالى فى وصفه« وانك لعلى خلق عظيم » صلوات الله وسلامه عليه وعلى كافة الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، وبعد فهذه تراجم لبعض اعلام الرجال الذين عاصرتهم وقد انتقلوا جميعا الى جوار ربهم وهم جميعا ممن ولدوا وتوفوا خلال القرن الرابع عشر الهجرى الذى نقترب من نهايته ، وأغلب هؤلاء الرجال ممن اتصلت اسبابى باسبابهم فعرفتهم عن قرب وخبرت من أمورهم ما قد يخفى على كثير من شباب الامة ورجالها خاصة وان الكثير ممن عاصرهم وعرفهم اما أن يكون قد لحق بهم أو انه مثلى فى الطريق اليهم ، ورأيت أن من الخير التعريف بهم والتذكير بما كانوا عليه من كريم الصفات وما قاموا به من عمل نافع ، على اختلاف وجوه هذه الاعمال التى يمكن ان تجتمع تحت كلمة (النفع العام) نعم فان جميع هؤلاء الرجال الذين تحدثت عنهم كانوا قد وهبوا انفسهم للخدمة العامة على اختلاف السبل ، وتفاوت الدرجات ، ولست ازعم ان هؤلاء الرجال قد سلموا من الشوائب ، أو تبرأوا من النقص فهم بشرٌ كسائر

الناس ولكنى رأيت ان صفات الخير قد غلبت عليهم ، وانهم تغلبوا على الانانية الفردية فوهبوا من نفوسهم واموالهم واوقاتهم للناس ما يجعلهم مثلا يحتذى وحديثا يتردد فهم من الصفوة التى تتخذ قدوة حسنة لمن يرغب السير فى طريق الخير والنفع العام ، كما ان من الواجب ان اوضح أن كلما كتبته عن هؤلاء الرجال هو تسجيل لذكرياتى عنهم وعن اعمالهم ، فهذه التراجم ادخل فى باب الذكريات منها فى باب التراجم التى قد يتطلب فيها الكثير من التدقيق ، كما انى اود ان اذكر ان هؤلاء الرجال الذين تحدثت عنهم لم يكونوا وحيدين فى عصرهم وانما كان لهم اخوة وزملاء لاشك ان الكثيرين منهم يستحق ان يكتب عنه ويشاد بذكره ولكنى انما كتبت عمن اعرف ولعل غيرى من الاخوة الكتاب فى كافة مدن المملكة يكتب عن اعلام بلده ومن عرف منهم إحياء للذكريات الحسنة والاعمال الطيبه ، ولاشك ان هذا ان تم فستكون هناك حصيلة طيبة لاعلام هذا القرن تكون سندا لمن يكتبون تاريخه ويسجلون وقائعه ، فالتاريخ انما يصنعه الرجال ٠

وهناك مسألة اخيرة أود ان اذكرها فى ختام هذا الحديث لقد كتبت عن الأعلام الذين توفاهم الله والذين ولدوا وتوفوا خلال هذا القرن الرابع عشر الهجرى ، ولم اتعرض للكتابة عن الأعلام الكثيرين الباقين على قيد الحياة والذين اسأل الله تعالى لهم حياة طيبة مديدة وعملا نافعا طيبا ، فلا يخفى ان الكتابة عن الاحياء لايمكن ان تتم بنفس الاسلوب الذى اتبعته فى الكتابة عن ذكرياتى عن هؤلاء الرجال الذين انتقلوا الى جوار ربهم وهو الاسلوب الخاص بالجانب الحسن من حياتهم لان ذلك ان تم فى حال الحياة ربما اعتبره البعض من اسباب التقرب اليهم وتطلب موداتهم ، وليس هذا هو الغرض من كتابة هذه الذكريات بحال من الاحوال ، ولاشك ان كل من يقوم بعمل نافع فسيلقى جزاءه فى الدنيا ذكرا حسنا وفى الآخرة مثوبة واجرا وانى لأرجو ان يتيسر لى الكتابة عن طائفة اخرى من الاعلام فى وقت قريب والله المعين وعليه الاتكال ٠

محمد علي مغربي


أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



الشيخ أحمد الزهراء

لعله من المستحسن قبل الكلام عن ترجمة الشيخ احمد الزهراء ان اوضح للقراء الكرام القاعدة التى اتبعها فى الكتابة عن الرجال الذين عاصرتهم او عاصرت اخبارهم وآثارهم ، ان هذه القاعدة تتلخص عندى فى ان تكون حياة صاحب الترجمة واعماله ذات نفع ملموس للمجتمع سواء اكان هذا النفع يتمثل فى خدمة عامة ادَّاها للناس مضحيا بماله او جهده فى سبيلها او كان فى عمل حضارى قدمه لبلاده وان كان قد افاد هو منه ربحا وفيرا او مالا كثيرا وليست القاعدة عندى فى الكتابة عن الرجال هى الشهرة فحسب ، فقد يكون الرجل جهير الاسم ذائع الصيت ولكنها شهرة لاتتصل بالنفع العام اوبخدمة الناس ، قد تكون الشهرة بالطغيان مثلا فى الثراء وفى ظلم الناس واضطهادهم والاساءة اليهم ، ليست الشهرة اوذيوع الصيت هى الدافع عندى فى الكتابة عن اعلام الرجال وانما الدافع هو ما اثمرته حياة هؤلاء الناس وجهودهم من نفع للناس واثراء للحياة نفسها فى شتى المجالات ، وبعد هذه المقدمة التى رأيتها ضرورية بين يدى هذه الترجمة بالذات نعود الى صاحب الترجمة فنقول :

ضئيل الجسم اقرب الى القصر ، اصفر اللون ، مغضن الوجه ، كفيف البصر يرتدى القفطان والعمامة المصرية وهي طربوش داكن الحمرة له زرٌ طويل اسود وتطوقه عمامة بيضاء وهذا الزيّ فى مجموعه هو زيُّ العلماء المصريين ولا يزال سائدا حتى اليوم ، وكان الشيخ احمد الزهراء شديد البخل مضيقا على نفسه فلم يكن يرتدى سوى الملابس الصوفية الغليظة حتى فى ايام الصيف الذى يشتد فى مدينة جدة شدته المعروفة ولم تكن له زوجة او خادم يقوم بشأنه ولم يكن له مطبخ فى داره وانما كان يأكل الغليظ من الطعام كالعيش والبصل والكرَّات ، هذا حينما يأكل فى داره ولقد كان يشترى الجواري فلا تقيم الواحدة منهن فى داره الا اياما ثم تطلب منه ان يبيعها لغيره فلم يكن يطيق العيش معه انسان ، وعلى ذكر الجواري فقد كان هناك سوق للرقيق فى مدينة جدة وفى مكة المكرمة ايضا وكان الرقيق الذى يرد من الحبشة والسودان وافريقيا بصورة عامة يعرض فى هذه الاسواق ويقوم على شؤون هذه الاسواق باعة مشهورون او دلاَّلون على الاصح واشهر دلاَّلى الرقيق الذين ادركتهم فى جده كان رجلا حضرميا اسمه حسن العامودى وقد اختفت هذه الاسواق بعد ذلك ولكن الرقيق كان يعرض للبيع فى بيت حسن العامودى آنف الذكر وكان يذهب اليه المشترون لاختيار الجارية التى يرغبون شراءها وقد تؤخذ للدار لتجربتها لفترة يومين او ثلاثة حتى اذا ثبت للمشترى صلاحها وخلوها من العيوب الصحية اشتراها وقد انتهت هذه التجارة اللاانسانية الى غير رجعة حينما اصدرت الحكومة أوامرها بعتق الرقيق وتعويض اصحابه الاثمان التى دفعوها فى شرائه وكان ذلك فى عهد رئاسة المرحوم الملك فيصل للوزارة اثناء ولاية الملك سعود للعرش رحمهما الله ، ومن ألطف ما اذكره عن تجارة الرقيق هذه ان كبيرا من اثرياء نجد كتب الى صديق له فى الحجاز يطلب منه شراء جوار لايشربن الدخان وليس عليهن زيران ، وشرب الدخان هو

استعمال السجاير كما هو معلوم اما الزيران فجمع زاز وهذا الزار كان نوعا من انواع الشعوذة التي كانت سائدة في النصف الاول من القرن الرابع عشر الهجرى وكانت تمارس خفية في العهد السعودي وهي ادعاء بعض المشعوذين والمشعوذات شفاء الامراض بعمل الزار او ما يسمى النعيش وهو اقامة حفلات رقص يلبس فيها النساء ملابس الرجال ويتحدثن الى صانعي الزيران والى الحاضرين بلغة بدوية صرفة وتذبح فيها الذبائح للجن والعفاريت والعياذ بالله وربما تكون هذه البدعة الوثنيه وفدت الى الحجاز من بعض البلاد المجاورة وقد انتهت هذه العادات السيئة التى تدخل مرتكبيها في ابواب من الشرك والعياذ بالله الى غير رجعة فلم يعد لها اثر فيما اعلم والحمد لله ، نعود بعد هذا الاستطراد الى الشيخ احمد الزهراء فنقول انه لم يكن يطيق العيش معه انسان وهو على ما وصفنا من الضيق والتقتير على نفسه ومن معه ، وكان الرجل الى كل هذا طالب علم له حلقة للتدريس في مسجد الشافعي وهو اقدم مساجد جدة ، وكان له تلامذة يحبونه ويخدمونه وكان الرجل مقرئا بل عالما بالقراءات السبع ومن اشهر المقرئين المجودين وكان الناس يدعونه الى تلاوة القرآن في مآتمهم وفي ملحقات هذه المآتم اذا صحَّ هذا التعبير ذلك ان الناس كانوا يتمسكون بعادات كثيرة في الموت كادت الآن ان تنقرض ، ولقد ادركت الناس اذا مات الميت حضر المعزون الى المسجد المجاور لبيت المتوفى او مسجد يعينونه فيصلون العصر ويتناول الواحد منهم جزءاً من القرآن فيتلوه حتى اذان المغرب فيعزُّون اهل المتوفى ثم يصلون المغرب وينصرفون ثم تطورت هذه العادة فاصبحت تتم في بيت المتوفى بين المغرب والعشاء وبنفس الطريقة التى وصفناها فيحضر المعزُّون ويمسك كل واحد منهم جزءا من المصحف يتلوه حتى يحين موعد صلاة العشاء فيعزُّون وينصرفون وقد تطورت هذه العادة الى ماهو متبع في الوقت الحاضر من حضور الناس بعد صلاة

المغرب لفترة بسيطة يستمعون فيها الى تلاوة القرآن من المقرئين الذين يحضرهم اهل الميت ثم يعزُّون وينصرفون ، وكان هناك الى جانب الايام الثلاثة للتعزية يوم العشرين والاربعين والحوْل فاذا مضت عشرون يوما على وفاة الميت اقام له اهله ـ العشرين ـ ويحضر فى هذه الاثناء مقرىء واحد او اكثر من الصباح فيقرأ القرآن على روح الميت الى مابعد الظهر حيث يحضر المدعوون من خاصة اهل المتوفى واصدقائه فيستمعون الى التلاوة ويتناولون الطعام ويقرأون الفاتحة على روح الميت ويدعون له بالمغفرة وينصرفون وبنفس الترتيب يقيمون حفل الاربعين بعد مضى اربعين يوما على وفاة الميت ثم حفل الحوْل وهو بعد مضى عام كامل على الوفاة ، هذا علاوة على مايتلى له من القرآن فى شهر رمضان وكان يتولى هذه التلاوة صغار الاطفال ممن يحسنون القراءة والبعض كان يهتم بامر هذه التلاوة لا فى شهر رمضان وحده وانما فى رجب وشعبان كذلك قلنا وقد انتهت هذه العادات جميعها فلم يبق منها سوى ثلاثة ايام العزاء بين العشاءين ٠

نعود بعد هذا الاستطراد عن عادات الناس فى ايام الوفاة الى الشيخ احمد الزهراء فنقول انه كان من ابرز المقرئين فى مدينة جدة ولهذا كان منشغلا فى كثير من الايام بتلاوة القرآن فى المآتم وفى ايام العشرين والاربعين والحول كما اسلفنا وكان يتناول طعامه فى كثير من الايام فى البيوت التى يدعى اليها ، كما ان تلامذته كانوا يتحفونه بأطيب الطعام فى بعض الايام ويخدمونه ويقومون على تمريضه اذا مرض والله سبحانه وتعالى هو الذى يدبر الامور بحكمته فيسخر لهذا الرجل الكفيف البخيل من يقوم على اصلاح امره وتسيير شؤونه ٠

هذا وكان الشيخ كثير الوسواس فلم يكن على تمكنه من التجويد وحفظه للقرآن الكريم وحسن ترتيله بمستطيع ان يتولى الامامة فى المساجد وهى الوظيفة الطبيعية لامثاله ، لانه كان كثير الوسوسة وكنت اراه فى مسجد الشافعى وهو

ينوى للصلاة ـ صلاة النفل فاسمعه يقول الله الله الله اكبر وما هى الا ثوان ثم يعود لتكبيرة الاحرام بنفس الاسلوب السابق يكرر النطق بلفظ الجلالة مرات ومرات حتى يستقيم له الدخول فى الصلاة ، ولكن الرجل لم يكن بحاجة الى الامامة لان موارده من المآتم وتلاوة القرآن كانت كبيرة فى ذلك الزمان لاينفق منها شيئا وقد اخذ نفسه بهذه الحياة الضيقة الشديدة وقد تجمعت لديه ثروة كبيرة هيأت له ان يشترى ثلاثة بيوت من اشهر بيوت جدة اولها فى منطقة باب مكة مما يلى سوق البدو وكان يسكن فى جزء منه ويؤجر الاجزاء الباقية وهى كثيرة للمستأجرين ويتسلم الغلة فيضيفها الى مايكنزه من مال والبيتان الآخران وكان يطلق عليها اسم بيوت الشرايبى على ماذكر وهما يقعان الان فى قلب شارع الملك عبدالعزيز فى وسط شارع الاشراف بين شارع الملك عبدالعزيز والسوق الكبير وكانت هذه المنطقة قبل تعمير شارع الملك عبدالعزيز تسمى باب الصبَّه وهو باب يؤدى الى البحر وكان هذا الباب من داخل سور مدينة جدة الموازى للبحر وكان هذا الباب فيه حرس للجمارك وتخرج منه العربات المحملة بالارزاق ولعل معنى الاسم انه الباب الذى تنصب منه البضائع الى المدينة او لعل له تعليلا آخر يعرفه المعمرون من اهل جدة او المهتمون بتاريخها ٠

لقد كان شراء الشيخ احمد الزهراء لهذه البيوت الكبيرة فى مدينة جدة حديث الناس فى ذلك الزمان فكانوا يعجبون لهذا المقرىء الاعمى الذى كان يجمع القرش الى القرش والريال الى الريال والدينار الى الدينار ثم يشترى البيوت الشهيرة التى تعرض للبيع ولست اشك ان كثيرا من التجار كانوا يرغبون فى شراء هذه البيوت او واحد منها على الاقل فجميعها تقع فى مناطق تجارية ولكن التجار كانوالايفكرون كثيرا فى شراء امثال هذه البيوت إذا لم تكن لهم حاجة ضرورية اليها لانها تجمِّد المال السائل الذى يتعاملون به فى تجاراتهم ولم يكن فى

البلاد بنك واحد حتى يتعامل معه الناس او يقترضوا منه وكانت العملة السائدة هى الجنيهات الذهبية بنوعيها العثمانى والانجليزى ثم الدينار الهاشمى والسعودى والريالات المجيدية اولا ثم الهاشمية والسعودية فيما بعد ولم تكن اوراق البنكنوت بالعملة الرائجة الا فى مواسم الحج يشتريها الصرافون من الحجاج حينما يقدمون ويبدلونها لهم بالعملة المحلية ثم يبيعونها للحجاج حينما يعودون الى بلادهم باسعار اقل ويستفيدون الفرق بين السعرين وكانت اغلب العملات التى ترد مع الحجاج عملات فضية كالروبيات الجاوية والهندية وقد رأيت التجار يشترون الروبيات الهندية خاصة ثم يصدرونها الى عدن او الى الهند وبعد ذلك كثر التعامل بأوراق البنكنوت فأصبح الناس يفضلون التعامل بها لأنها اخف حملا واسهل حفظا وباستثناء البنك العثمانى الذى افتتح فرعا له فى مدينة جده فى العهد الهاشمى ثم فى اوائل العهد السعودى ولم يستمر طويلا كان اول بنك اسس فى المملكة هو الشركة التجارية الهولندية وكان الصرافون يشترون العملات المختلفة ويبيعونها

له ويقوم هو بتصديرها الى الخارج عن طريق قسم الحوالات والطرود بالبريد فى ظروف كبيرة مختومة بالشمع الاحمر ومؤمن عليها ويزن الواحد منها ألفى غرام ٠

نعود بعد هذا الاستطراد عن العملات الاجنبية فنقول ان شراء الشيخ احمد الزهراء لهذه البيوت كان حديث الناس والتجار منهم خاصة فى مدينة جدة لأن هذا المقرىء الاعمى استطاع ان يجمع هذا المال الكثير الذى يشترى به هذه البيوت الكبيرة فى مدينة جدة عبر سنوات طويلة من التقتير على نفسه والتضييق عليها ولكن المفاجأة العظمى التى فاجأ بها الشيخ احمد الزهراء الناس جميعا هى انه وهب هذه البيوت الثلاثة الى مدارس الفلاح وأوقفها عليها فختم الرجل حياته احسن ختام اذ تنازل عن ثروته الكبيرة التى جمعها خلال سنوات عمره الطويل من التضييق على نفسه لعمل من انبل الاعمال وأجلها فوهب ثمرة سعيه فى هذه

الحياةِ لتصرف على العلم والتعليم ممثلة فى مدارس الفلاح التى كانت رائـدة التعليم فى ذلك الزمان وهكذا استحق الشيخ احمد الزهراء ان يسجل اسمه بين اعلام الرجال فى عصره بهذه الهبة العظيمة التى لم يقدم عليها أثرياء عصره فكان بها فريد العصر وواحد الزمان ·

ولقد توفى الشيخ احمد الزهراء فى منتصف القرن الرابع عشر الهجرى عن عمر يناهز الثمانين عاما تغمده الله برحمته الواسعة وتقبل منه عمله الطيب العظيم ·





احمد صالح قنديل

أحمد صالح قنديل

معتدل القامة اقرب الى القصر ، اسمر اللون شديد السمرة ، ممتلىء الجسم واسع العينين ، ذكي لماح ، خفيف الظل ، مرسل الشعر فى غير اسراف ، كان فى مطلع شبابه يرتدى الكوفية الحجازية والشال وهو ما يستعمل للاعتمام وكان من انواع كثيرة ترد من الشام وبعد ان التحق بوظائف الدولة اصبح يرتدى العباءة والعقال ، ولد بمدينة جدة فيما أقدر فى أواخر العشرينات او اوائل الثلاثينات من القرن الهجرى وتلقى تعليمه فى مدرسة الفلاح وبعد تخرجه منها عمل بها استاذا

وقد ادركته وهو استاذ بالمدرسة التحضيرية فى الفلاح ، والتى كانت تسمى المجتمع وهو البيت الذى انشأه المرحوم الحاج محمد على زينل مؤسس الفلاح ليكون مقرا للاجتماعات الخاصة بالمدرسة ثم تحول الى مدرسة تحضيرية تابعة لمدرسة الفلاح ، وهو منفصل عن مبانى الفلاح الحالية وقد تخرب فلم تمتد اليه يد الاصلاح واخشى ان يكون قد اندثر أو هو فى طريقه الى الاندثار ، ثم عمل استاذا بمدرسة الفلاح الكبرى واستمر يعمل فيها لسنوات طوال الى ان انتقل الى مكة رئيسا لتحرير جريدة صوت الحجاز عام ١٣٥٥ هـ بترشيح من صديقه

المرحوم الاستاذ حمزة شحاتة لدى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان رئيس الشركة العربية للطبع والنشر .

قنديل وحمزه شحاته

وكان الاستاذ احمد قنديل ينشر شعره فى صوت الحجاز بتوقيع الصموت الحساس وقد استرعى هذا التوقيع انتباه الاستاذ حمزة شحاتة فسألنى ان كنت اعرف هذا الشاعر الذى بدأت بواكيره الطيبة منذ القصائد الاولى التى نشرتها له صوت الحجاز فقلت انه الاستاذ احمد قنديل وهو مدرس بمدرسة الفلاح واعرفه منذ ان كنت تلميذا بها وكان هو فى الفصول الاخيرة ثم استاذا بالمدرسة المذكورة ، وطلب منى الاستاذ حمزة ان اجمعه بالقنديل بل واعرفه عليه وكان شحاتة يومها اديبا جهيرا وشخصية مرموقه فاتصلت بالقنديل رحمه الله واعربت له عن اعجاب الاستاذ حمزة بما ينشره من شعر وضربت له موعدا للاجتماع بالاستاذ حمزة فى ـ مربعة الجمجوم ـ وهو مبنى كان يومها خارج مدينة جدة بالعمارية قريبا من مقبرة حواء ، كان قد بناه المرحوم الشيخ محمد انيس جمجوم ، وكان هذا المبنى الخلوى الذى يسمى مربعة اشبه ما يكون بنادٍ يجتمع فيه آل جمجوم واصدقاؤهم عصر كل يوم وصدرا من الليل ، وكنت والاستاذ حمزة شحاته من رواد هذا المجتمع الجمجومى كل اصيل ونحن جميعا فى مطلع الشباب فى اوائل الخمسينات من هذا القرن وقد استمرت صلة القنديل بالاستاذ شحاته منذ ذلك الوقت والى ان توفى الاستاذ حمزة شحاتة باستثناء فترة ليست بالطويلة حدث بينهما من الجفوة ما اوقف هذه الصلة ولكن هذا التوقف لم يستمر فعادت صلتهما الى ما كانت عليه من قبل يرحمهما الله .

البَوَاكِير الأُولى

لقد ذكرت ان بواكير شعر القنديل الاولى فى الخمسينات كانت تبشر بميلاد شاعر كبير وأود ان اذكر ان اغلب من عرفت من الشعراء والكتاب الموهوبين كانت بواكيرهم الاولى تنبىء عن نهاياتهم العظيمة ، ولعل الشاعر أو الكاتب الاصيل تولد معه الموهبة فاذا استطاع التعبير ظهرت بذور هذه الموهبة فى بواكيره الاولى وما تلبث هذه الموهبة ان تتمكن وتتجلى بالدراسة والتجاريب ٠

عَـــودٌ عَلى بَـدء

نعود بعد هذا الاستطراد الى ترجمة حياة الاستاذ قنديل فنقول انه عمل رئيسا لتحرير صوت الحجاز وانتقل بعمله هذا الى مكة المكرمة وكانت فترة رئاسة تحرير القنديل لصوت الحجاز من الفترات الخصيبة فى تاريخها فقد افسح صدر الجريدة لمقالات الكتاب وقصائد الشعراء كما انه عين المرحوم الاستاذ عبدالله المزروع ـ والد الدكتور المزروع ـ مخبرا صحفيا يوافيه بالأخبار الداخلية وخاصة الاخبار الحكومية وخلال رئاسته لصوت الحجاز نظم قصائده الأولى من الشعر (الحلمنتيشى) وهو الشعر الذى تختلط فيه العربية بالعامية وكانت صحيفة صوت الحجاز مجال النشر لقصائده الاولى من هذا الشعر وقد استمر القنديل رئيسا لتحرير صوت الحجاز من ٤ شعبان سنة ١٣٥٥ هـ إلى ١٢ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ هـ وقد أقصى عن صوت الحجاز بعد أن نشر قصيدة أسيىء تفسيرها بتوقيع رمزى وحملها المرحوم الدكتور محمد على الشواف الى صاحب السمو الملكى الامير فيصل النائب العام لجلالة الملك ـ جلالة الملك فيصل فيما بعد ـ وقد اصدر سموه امره بإيقاف الشاعر واقصائه عن الجريدة ثم تبين ان الشاعر هو رئيس

التحرير نفسه ولم تمض ايام طويلة حتى فاء سموه الى الرضا وأفرج عنه فعاد الى مدينة جدة مسقط رأسه مرة اخرى وعمل فترة فى مكتب رئيس وكلاء مطوفى الجاوه ـ الأندنوسيين ـ الشيخ محمد نور جوخدار رحمه الله ثم انتقل مرة اخرى للعمل فى مكة المكرمة فى ديوان التحرير بوزارة المالية زميلا للاساتذة عبدالوهاب آشى ومحمد حسن فقى ومحمد حسن كتبى ثم عين رئيسا لمصلحة املاك الدولة بوزارة بالمالية وكانت تتخلل مابين هذه الوظائف فترات تعطل ثم عين اخيرا مديرا لادارة الحج بجدة فى اول تأسيسها وكان اول مدير عام للحج هو الشيخ محمد صالح قزاز مد الله فى عمره وكان مركزه فى مكة المكرمة وبعد انتداب الشيخ محمد صالح قزاز للعمل فى توسعة الحرم المدنى لانتقاله الى المدينة المنورة .. اصبح الاستاذ احمد قنديل مديرا عاما لادارة الحج بجدة ثم احيل الى التقاعد وهاجر الى مصر لبضع سنوات افتتح خلالها مكتبا تجاريا له بالاشتراك مع الاستاذ رشاد برنجى واحد اصدقائهما من المصريين ثم عاد مرة اخرى الى الحجاز وما لبث ان هاجر مرة اخرى الى بيروت ، وفى بيروت تفرغ للانتاج الفنى للاذاعة والتليفزيون وعكف على طبع مؤلفاته عن جدة ودواوينه الشعرية الكثيرة وبعد ان اندلعت الحرب الاهلية فى بيروت عاد مرة اخرى الى جده وكان يسافر بين الفينة والاخرى الى القاهرة لموالاة اعماله الفنية سواء فى طبع مؤلفاته او لعرض اعماله الفنية فى الاذاعة والتليفزيون الى ان توفاه الله تعالى وهو يكتب الحلقة الاخيرة من قناديل رمضان لعام ١٣٩٩ هـ فى صباح الجمعة ١٢ شعبان ١٣٩٩ هـ

الشعر الضاحك

تميز الاستاذ احمد قنديل رحمه الله الى جانب ابداعه الشعرى ومكانته فى الكتابة والادب بشعره الضاحك الذى كان ينشر مقطوعة منه كل صباح فى

جريدة البلاد اولا ثم فى جريدة عكاظ تحت عنوان(قناديل)، ثم اصبح يستعمل هذا النوع الضاحك ولكن فى اسلوب نثرى وكان ينشر فى الاعوام الأخيرة فى جريدة البلاد بعنوان قناديل ملونة وهذه القناديل الشعرية خاصة كانت سبب شهرته على المستوى الشعبى وقد خلقت منه شاعرا شعبيا محبوبا يتحدث عنه الناس فى طول البلاد وعرضها كما خلقت له قراء كثيرين يتابعون ما ينشر له فى كل يوم ويتفكهون به ويتحدثون عنه فى مجالسهم ومنتدياتهم وللتاريخ فانى سأورد هنا بداية القنديل فى هذا الشعر الضاحك فأقول .

الأُستاذ حُسين شفيق المصري ومجلّة الفكاهة

كانت دار الهلال فى القاهرة تصدر مجلة اسبوعية اسمها(الفكاهة)وهى مجلة فكاهية كما يدل عليه اسمها وكان يتولى رئاسة تحريرها الاستاذ حسين شفيق المصرى وهو شاعر مجيد وزجال مصرى معروف ، وكان الاستاذ حسين شفيق فيما اعرف هو اول من نشر الشعر الضاحك فى اسلوب عامى ولكن هذا الشعر العامى كان يحتفظ بالوزن والقافيه ، وكانت الطريقة انه يفتتح القصيدة بمطلع قصيدة من عيون الشعر العربى القديم ثم ينسج على منوالها كلاما موزونا مقفىً تختلط فيه العامية بالعربية الفصحى وكانت مواضيع هذا الشعر دائما انتقادية ولكنها فى اسلوب فكاهى مقبول ، وكنا نجتمع فى مكة المكرمة الاستاذ حمزة شحاته وأحمد قنديل رحمهما الله وانا وكان الوقت صيفا وكنا نهرب من حر مكة اللاهب الى اطراف الشهداء وكان فى موضع مكاتب وقراج الشركة العربية للسيارات بالزاهر مقهى لرجل اسمه العم حمزة وكان العمران فى مكة ينتهى عند قشلة جرول وكانت الارض بعدها خلاء وكنا نجىء الى هذا المقهى مع الغروب ونتسامر صدرا من الليل ونتناول عشاء خفيفا ثم يأوى كل منا الى فراشه الذى كان يحفظ فى

داخل المقهى والذى يحضره لنا العم حمزة مع ابتداء الظلمة وكنا نتخذ من كراسى المقهى العادية الطويلة سررا ننام عليها تحت السماء ، وذات ليلة جاء ذكر هذا الشعر الفكاهى ، وكان حسين شفيق المصرى يطلق عليه اسم الشعر (الحلمنتيشى) نقول جاء ذكر هذا الشعر (الحلمنتيشى) فسأل الاستاذ شحاته الأستاذ قنديل ان كان يستطيع النظم على هذا النسق فاجابه بالايجاب وفى اليوم التالى بدأت المحاولات الأولى للقنديل فى هذا الشعر وكانت موفقة جدا وما هى الا فترة بسيطة حتى بدأ القنديل فى نشرها فى صوت الحجاز فترة بعد اخرى ووجدت صدى شعبيا واسعا واستقبالا حسنا من جميع القراء خاصة وان (قنديل) رحمه الله تحاشى العامية المصرية التى كان يستعملها حسين شفيق المصرى ولجأ الى العامية الحجازية ثم توسع فيها وخلطها بالعامية النجدية فيما بعد ومن هذه القصائد التى لاتزال عالقة بالذاكرة مانشره القنديل فى صوت الحجاز والمطلع لقصيدة مشهورة لابن الفارض :

غيرى على السلوان قادر وسواى فى العشاق غادر

لى فى الصباح فطيرة والبيض أليق بالفطائر

وهناك قصيدة اخرى والمطلع كذلك لشاعر قديم :

صاح فى العاشقين يالكنانه رِشأً فى الفؤاد منه كنانه

شِمْرِقىٌّ مكحل ومُحَنّى حامل فى يمينه خيزرانه

هذه هى البدايات الاولى لهذا الشعر الضاحك وكانت القصيدة تنشر طويلة وليست مقطوعة صغيرة كما صارت اليه القناديل اخيرا ولكن النشر لم يكن يوميا كما هو الحال مع القناديل اليومية وانما كان اسبوعيا او اكثر من اسبوعى وآخر ما

نظمه قنديل فى هذا المجال الغزاوية الأخيرة وهى قصيدة القاها فى الجلسة الختامية للمؤتمر الأول للأدباء السعوديين وصف فيها الادباء القدامى والمحدثين ودعا فيها الى تكريم شيخ شعراء مكة الاستاذ احمد ابراهيم الغزاوى مدّ الله فى حياته وقد قوبلت بالاستحسان وقوطعت بالتصفيق وهى تمثل شعر قنديل الضاحك وقد نشرت بالمجلد الاول عن بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين كاملة فليرجع اليها من رغب الاطلاع عليها .

حمزة شحاته والشعر الضاحك

ولعل معظم القراء بل والأدباء لايعرفون ان المرحوم الاستاذ حمزة شحاتة كان ينظم هذا الشعر ولكنه لم يستمر عليه وإنما نظمه مرة واحدة او مرتين وله قصيدة جميلة اذكر بعض ابياتها فيما بعد وهذه القصيدة لها قصة لابأس من ايرادها فقد عُلم ان العراق سيرسل بعثة كشّافة الى المدينة المنورة ومكة المكرمة ولعل ذلك فى زمن الحج وارادت الحكومة ان تكرم كشافة العراق فاعدت لهم برنامجا حافلا كان من ضمنه إقامة حفل تكريم لهم فى جدة وتولى الاخ الشيخ محمد عبدالله رضا يومها امر ترتيب هذا الحفل الشعبى فارسل دعوة إلى شباب مدينة جدة للحضور إلى منزله ودعاهم للتبرع لإقامة هذا الحفل ولكن المرحوم حمزة شحاته لم يدع الى هذا الاجتماع مع اننا كنا جميعا على علم بالحفل الذى كان سيقام فى بيت نصيف وكان صديقنا المرحوم الاستاذ حسين محمد نصيف - مؤلف كتاب ماضى الحجاز وحاضره - يخبرنا يوميا عن هذا الحفل ويحثنا على الحضور فيه وغضب حمزة لعدم دعوته من قبل الشيخ محمد عبدالله رضا فانشأ قصيدة ضاحكة صور فيها ما وقع من المجتمعين للتبرع فى اسلوب ضاحك جميل والقصيدة اخذ مطلعها من قصيدة ابى تمام الشهيرة :

بسيفك يعلو الحق والحق اغلب ... ويضرب سيف الله أيأن تضرب
وبالامس قد ارسلت حِتّة دعوة ... الى فتية بالصالحات تحزبوا
فلم تك الا ساعةً او دقيقةً ... تجازوْا سراعاً بعدها وتكركبوا

ومنها يصف ملابسات التبرعات :

فجاء فتى منهم جرىء حَجَنْجَلُ ... فجاد بربع ريال فانبروا وتعجبوا
وقال استحي ياسى فلانٍ فانه ... قليلٌ ومن يكتب قليلا يُؤَنبَّ
فقال لهم ليش نسبتى تقتضى كدا ؟ ... فان راقكم قولى والاَّ فأحْسِبُوا
فبان حماسُ فوقَ وَجْهِ زعيمهم ... فسجَّل عشريناً وقد كاد يغضب

والقصة ان المرحوم الاستاذ محمد لارى ـ والد الاستاذ رضا محمد لارى ـ كان من ضمن من حضروا الاجتماع فجاد بربع ريال فقال المجتمعون انه قليل فقال لهم انه ليس قليلا بالنسبة لما تبرع به الشيخ محمد رضا فتحمسً الداعى وسجل عشرين ريالا اخرى وسواء اكانت القصة حقيقيةً ام من خيال الاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله ، واغلب الظن انها حقيقة فان محمد لارى كان معروفا بالجرأة ، فان ايرادها على هذا النحو فى هذا الشعر الضاحك كان مناسبة يتفكه بها مجتمع الشباب بل مجتمع جدة كلها فكاهة تخلو من الحرج والبذاء .

عَودَةُ القِناديل

نعود بعد هذا الاستطراد الى القناديل التى توسع فيها الاستاذ احمد قنديل وطورها الى ان صارت الى ما يعرفه جميع القراء فنقول ان الاسلوب الذى بدأ به قنديل هذا الشعر الضاحك ربما كان احبَّ الى الادباء من القراء لانه لم يسرف فى استعمال اللفظ العامى كما هو الحال بالنسبة للقناديل ولكن جوهر الفكرة واحد وهو النقد الاجتماعى واذكر ان قنديلا رحمه الله اراد ان يصدر المجموعة الاولى من

شعره الاصيل فعهد الى الاستاذ حمزة شحاتة رحمه الله ان يكتب مقدمة لهذه المجموعة ، كما انه حينما اراد اصدار المجموعة الاولى من شعره الفكاهى طلب منى كتابة مقدمة لها واذكر انى كتبت فى تقديم هذه المجموعة ولعل اسمها المركاز مامعناه :-

« اذا كان هذا الشعر الفكاهى لايدخل التاريخ من باب الأدب والشعر فانه يدخل التاريخ من اوسع ابوابه كفنٍ يصور الحياة الاجتماعية فى هذه البلاد فى اسلوب ساخر ضاحك فهو يتحدث عن امور يعانى منها كل فرد ـ ولا تخلو حياة أى مجتمع من المعاناة ـ مما يتصل بحياته اليومية فى مختلف وجوه هذه الحياة فى داخل المنزل ، او فى خارجه فى السوق ، فى المدرسة ، وفى الدائرة الحكومية ، فى البيع والشراء ، فى السفر والاقامة ، فى متطلبات الحياة اليومية ومشاكلها ، وسيعود المؤرخون الى هذا الشعر الساخر ليجدوا فيه مادة تصف الحياة بل تصف كثيرا من دقائقها وادوائها مما ينطوى مع الزمن ويتغير مع الايام » انتهى معنى ما كتبته لهذه المقدمة التى لم يكتب لها النشر فقد عدل قنديل رحمه الله عن نشر الكتابين بالمقدمات التى طلب من اصدقائه كتابتها وعلمت انه فضَّل ان يقابل القراءُ مؤلفاته دون تقديم وهو رأى له وجاهته على اى حال ٠

اقول ان هذا الذى كتبته عن هذا الشعر قبل اربعين عاما لايزال يمثل رأيى فى هذا الشعر او هذا الفن على الاصح فان هذا الشعر العامى لايمكن ان يدخل التاريخ كشعر رفيع ولكنه يدخل من اوسع ابواب التاريخ كفن يمثل الحياة الاجتماعية ومشاكلها وكفن يمثل النقد الفنى للحياة اذا جازهذا الوصف وما تحفل به من مفارقات ومشكلات ، وقنديل غنيٌّ بشعره المبدع الاصيل وبفنه الرائع الذى يتجلى فى مؤلفاته الشعرية الكثيرة عن اضافة هذه القناديل الى شعره

الاصيل ، انها فن مستقل يمثل الناحية الشعبية فى قنديل والتى سنتحدث عنها فيما يلى .

شعبيّة أحمد قنديل

الاستاذ احمد قنديل رحمه الله كان شعبيا بالمعنى الدقيق للكلمة اوابن بلد كما يقول العامة من الناس ولا غرو فى ذلك فقد ولد فى بيئة شعبية وبيت قنديل الذى ولد ونشأ فيه فى العلوى من محلة اليمن - كان من منازل جدة القديمة وكان آل قنديل جميعا يسكنون فيه وكان قنديل رحمه الله يسميه القرية لكثرة من يسكنه من آل قنديل والبيت يقع فى قلب حى شعبى مشهور يحيط به سوق العلوى المشهور والمؤدى الى باب مكة وتحف به بيوت شعبية للطبقة الوسطى من المجتمع التى عاش قنديل بينها والتى عبر عنها فى شعره الفكاهى أصدق وأجمل تعبير - ولقد كان ابوه الشيخ صالح قنديل رحمه الله مدرسا للقرآن فى الصفوف الاولى من مدرسة الفلاح كما كان من اشهر المقرئين والمأذونين وكان رجلا ظريفا سريع النكتة حاضر البديهة أنيس المجلس وقد اخذ عنه ابنه قنديل هذا الظرف ، كما ان شقيقه الاكبر يوسف قنديل كان ظريفا عفويا فى كلامه وتصرفاته وكان محبوبا من اصدقائه الكثيرين وقد نشأ قنديل فى هذه البيئة الضاحكة وكان اتصاله بالصحف والكتابة فيها وانتقاله الى مكة احدث له شهرة فى هذه البيئة الشعبية فكان الجميع يطلقون عليه لقب الاستاذ ، فاذا قيل الاستاذ فهو احمد قنديل وهو عند اصدقائه الخُلَّص - قنديل وكفى - وقد احتفظ قنديل بشعبيته هذه طيلة حياته واتخذ منها مادة لفنه الشعرى الضاحك وهذه الشعبية تتجلى فى كل شىء فى وصف المكان والزمان واللهجة الخاصة الشعبية واصطلاحاتها والمقارنة بينها وبين الحاضر ، وبين يدى الآن قصيدته الغزاوية

التى اسلفت الحديث عنها انقل منها بعض الابيات فهى ابلغ فى وصف هذه المادة الشعبية من كل تعبير :

وقــد تعجــب من حالى بلا سبب   الباب والعقب والروشان والقففُ
كما تطلّــع نحــوى زاغــرا ابدا   فى سقفه القندل المرصوص والحَصفْ

ومنها :

وكل تمشيتى ـ بولطـا ـ أقـوم بها   فوق السطوح يوازينى بها الطنف

ومنها :

بردان ففضفت من ظهرى وفى ركبى   شىء اذا غزهـا من جلستـى اقف

وليس هذا مجال الاطالة فى الاقتباس فان كل ابيات هذا الشعر الضاحك تمثل الشعبية الصميمة التى تتجلى فى كل كلماته ومقاطعه ٠

شعر الأفراح

ولعل القراء لايعرفون ان « قنديلا » كان ينظم الشعر للمنشدين الذين جرت العاده بحضورهم احتفالات العرس ،فكانوا جميعا يلجأون اليه لينظم لهم الشعر الذى يلقونه فى هذه الحفلات والذى يجب ان يتضمن اسم العريس واسم آل العروسين والذى يلقى حين خروج العريس من داره بصحبة المأذون والرجال الذين يصاحبونه فيقف المنشد ويحييه ويهنئه بما هو مقدم عليه ، فإذا وصل الموكب الى دار العروس وقف الجميع فى فناء الدار وألقى المنشد مقطوعة اخرى يحيى فيها العريس ولابد من تحية اهل العروس كذلك بذكر اسم اسرتهم واسم اسرة العريس ، وبعد انتهاء حفل العقد يلقى المنشد تحيته الاخيرة للعروسين وآلهما وكان المنشدون فى جده يلجأون وخاصة فى حفلات العرس الكبيرة الى قنديل

رحمه الله فينظم لهم المقطوعات المطلوبة من الشعر الفصيح متضمنة اسم العريس واسماء آل العروسين ولم يكن يتقاضى منهم مقابل ذلك شيئا وانما يفعله بدافع من صداقته لهم وهذه العادة لاتزال باقية الى اليوم ولكنها فى نطاق ضيق جدا وفى بعض الأعراس الكبيرة التى يحرص اصحابها على احياء هذه العادات القديمة ·

القناديل والنقد

يتميز شعر القناديل بالنقد الساخر وهو النقد لأوجه الحياة اليومية التى يعانى منها الناس ولايملكون شيئا لتغييرها أو إصلاحها والقارىء اليومى للقناديل كان يرى فيها تعبيرا عما يشعر به او يشكو منه ولكن فى اسلوب ضاحك ساخر ولهذالقيت نجاحا على المستوى الشعبى لأنها كانت تعبيرا واقعيا عن الحياة اليومية فى اسلوب ساخر ينفس به الناس عن شعورهم ازاء مايحسون به من ضيق وقد شمل هذا التعبير كل اوجه الحياة ـ تعطيل المعاملات ، زحمة المرور ، تعطيل الكهرباء ، انقطاع الماء ، غلاء الاسعار ، تخريب الشوارع ، كثرة الاجانب ـ وقل ما شئت من مظاهر الحياة اليومية فستجدها واردة فى القناديل ولهذا احبها الناس وقرأوها وتحدثوا عنها فى كل يوم وهذه القناديل او هذا الفن الضاحك هو ما امتاز به قنديل من بين أدباء جيله فكان له هذا الصدى الشعبى الواسع الذى جعله بحق اديباً شعبيا راسخ القدم ، ثابت البنيان وكان اذا القى قصيدة من شعره الضاحك قوبلت بالاستعادة والاستحسان والتصفيق وعلى ذكر الالقاء اذكر هنا ان « قنديلا » رحمه الله فى بدء حياته الادبيه لم يكن يرغب فى القاء شعره ويفضل ان يلقيه غيره ممن يحسنون الالقاء او ممن اشتهروا بذلك ولكنه ما لبث ان اكتشف فى نفسه موهبة الالقاء ولذلك قصة نذكرها للتاريخ ·

قنديل وإلقاء الشعر

أقامت السفارة اللبنانية فى جدة حفل تكريم لمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان قدم له فيها القائم بأعمال السفارة اللبنانية السيد أسعد الأسعد فى ذلك الوقت ، الأمين المساعد للجامعة العربية حاليا ـ قدم له فيها وسام الأرز من درجة فارس على ما أذكر وطلب منى المرحوم الشيخ محمد سرور إلقاء كلمة الشكر نيابة عنه ، وحضر قنديل رحمه الله وقد اكتمل المدعوون وبدأت فقرات الحفل بخطاب السيد أسعد الأسعد فوقف إلى جانبى وقال لقد أعددت قصيدة لهذه المناسبة وأريدك أن تلقيها نيابة عنى قلت أنى سألقى كلمة الشكر نيابة عن الشيخ محمد سرور وقال وما العمل قلت قصيدتك أنت ولا يلقيها غيرك ·

وهكذا كان وقد قوبلت القصيدة يومها أحسن استقبال وانطلق بعدها قنديل يلقى شعره بنفسه وهو خير من يلقيه بلا مراء ·

قنديل الشاعر

لقد أطلنا الحديث عن فن قنديل الضاحك الذى تختلط فيه العامية بالفصحى والذى تحول إلى القناديل اليومية وآن لنا أن نتحدث قليلا عن أحمد قنديل الشاعر العربى الأصيل ·

أحمد قنديل شاعر مبدع ظهر إبداعه من القصائد الأولى والتى نشرت له فى صوت الحجاز فى الخمسينات وقد نظم فى جميع فنون الشعر شعرا جيدا موزونا وتميز عن كثير من أدباء جيله بأنه كان يوالى النظم والكتابة كما يوالى النشر إما فى الصحف أو فى دواوين خاصة بكل مجموعة شعرية وأمامى الأن خمس من

مجموعات هذا الشعر هى : اللوحات ، أوراقى الصفراء ، شمعتى تكفى ، قاطع الطريق ، الراعى والمطر ، ولاشك أن له مجموعات أخرى لم أذكرها وليست هذه الترجمة دراسة لشعر أحمد قنديل وإنما هى تصوير لحياته التى تميزت بالشعر فليس الاستقصاء من متطلبات هذه الترجمة وإنما هو مطلب الدراسة الكاملة لشعر أحمد قنديل وعطائه وسأورد بعض أبيات من هذه المجموعات دون اختيار للتعبير عن مكانته فى الشعر الأصيل ..

« أيها العاشق لاقى ما لقينا واصطبر
نحن كنا آية فى الحب تتلى فى حذر
يوم عشنا خفقة فى القلب رنَّتْ كوتر
إنما اليوم غدونا مثلما شاء القدر »

ويقول فى قصيدة أخرى : -

ودعت أيام الشباب تفيأت — زهراتها ظل الشباب الأملد
رفرافة الأوراق حيتها الصّبا — باللمس بين تَوُجّدٍ وتَوَدُّدِ
ممتدة الأعراض طاب غراسها — فى السفح فى الأغوار لم تتأبد
رفَّتْ على الأغصان نافحة الشذى — سفرا تنهد بغية المتنهد

والقارىء لمجموعات القنديل الشعرية يجدها حافلة بالصور فياضة بوهج العاطفة التى هى جوهر الشعر كله وبعض مجموعات القنديل تمثل موضوعات معينة مثل الراعى والمطر وقاطع الطريق ولا شك أن هذا العطاء الكثير ليستحق دراسة جادة شاملة متأنية تضع القنديل فى مكانه الصحيح لا بين شعراء المملكة فحسب وإنما بين شعراء العرب جميعا فى هذا العصر .

مكة المكرمة في الشعر

لقنديل قصائد شعرية فى مدينة جدة ومكة والمدينة بل وحتى فى سويسرا حينما زارها لأول مرة وقد كان يعمل قبل وفاته يرحمه الله على إصدار كتاب عن كل ما قال شعراء المملكة فى مكة المكرمة وقد زارنى وطلب منى موافاته بما لدى فى هذا المجال فبعثت إليه بعض ماعندى ولست أعرف أنِ هذا الكتاب قد طبع وربما كان تحت الطبع أو مازال مخطوطا بين أوراقه فقد علمت منه أن الكتاب قد اكتمل فحبذا لو عمل أبناؤه الأساتذة أمل وسمير على استخراج مخطوط كتاب مكة ونشره أو الأتفاق مع أحد النوادى الأدبية على إصداره وأنا على ثقة من أن جميع النوادى الأدبية ترحب بالمساهمة فى مثل هذا الأمر ٠

كتاب قنديل عن جدة

وللقنديل كتابان عن جدة مزينان بالصور وهو من الشعر الضاحكك الذى تختلط فيه العامية بالفصحى وهو يصف جدة الجديدة ويقارن بينها وبين جدة القديمة كما أن له كتابا آخر عن ذكريات طفولته وشبابه وهو يجمع بين هذا الشعر الضاحك والنثر يصور فيه بعض الشخصيات الشعبية التى صاحبت طفولته وشبابه كما يصور بعض الحكايات الشعبية فى أسلوب يجمع بين العامية والفصحى وهذه الكتب جميعها تصور شعبية القنديل التى تحدثنا عنها فى صدر هذه الترجمة بإسهاب ٠

---

(١) وللقنديل كتاب آخر ظهر بعد وفاته اسمه (الجبل الذى صار سهلا) وقد قامت بنشره ادارة النشر بمؤسسة تهامة وهو يمثل (قنديل) متحدثا اكثر مما يمثله كاتبا ولكن الكتاب فى حد ذاته تسجيل فريد لذكريات القنديل فى شبابه وهو مما يدخل فى باب التراث ٠

شعر الملاحم

ولقنديل إلى جانب هذا الشعر الضاحك والمجموعات الشعرية الأصيلة التى تحدثنا عنها ملحمة شعرية عظيمة نشرت كاملة فى المجلد الأول من بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين تصل إلى ما يقارب الألف بيت من الشعر استعرض فيها سيرة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم وتاريخ الجزيرة العربية وهى من أطول ما أنتج القنديل من الشعر وهى تدل على اطلاع واسع وتمكن فى النظم والتصوير ٠

إنتاجه للإذاعة والتلفزيون

كما أن للقنديل إنتاجا وافرا كان يبثه التليفزيون السعودى وخاصة فى شهر رمضان من كل عام تحت عنوان « قناديل رمضان » وكان هذا الانتاج فى معظمه يلقى ترحيبا شعبيا واسعا لأنه تصوير لعادات الشعب وحياته ٠

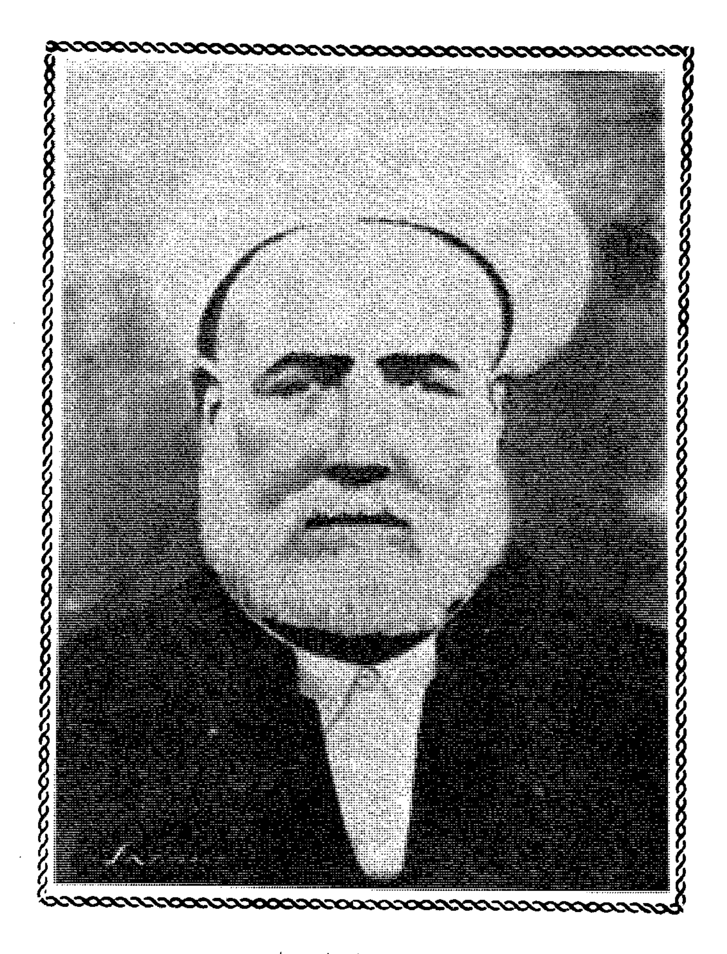
لقد كان قنديل وفيا للقلم ، حفيا بالفن ، معطاء لا تفتر حماسته للكتابة والشعر وقد صور نفسه أصدق تصوير حين قال من قصيدة قديمة :

صناعتى فى الورى الكلامُ ☆ به أحيا وحرفتى الأدب

وقد استمر فى تقديم انتاجه للصحف ولوسائل الاعلام وللطباعة خمسين عاما دون توقف وحين أدركته الوفاة كان يكتب الحلقة الأخيرة من « قناديل رمضان » كما ذكرت فى صدر هذه الترجمة فقضى والقلم فى يده وكانت وفاته صباح يوم الجمعة الثانى عشر من شهر شعبان ١٣٩٩ هـ وقد تركت وفاته رنة حزن عميق وشارك الناس جميعا فى عزاء أبنائه وأفراد أسرته وقامت بلدية جدة مشكورة

باطلاق اسمه على الشارع المؤدى الى منزله بجدة وهو تكريم يستحقه بلا مراء وشارك الأدباء والشعراء فى رثائه ، رحمه الله رحمة واسعة فقد كان من الشعب وإلى الشعب لسانا معبرا ناطقا وشعرا مصورا سائرا يصور حياة الناس اليومية ويعبر عن آمالهم وأحلامهم • غفر الله له وأحسن جزاءه فى دار الخلود ••





الحاج زينل على رضا

الحاج زينل علي رضا

قصير القامة أبيض اللون تشوب بياضه حمرة ، تزين وجهه لحية بيضاء متكاملة ونظرة رقيقة حانية وكان دائما يرتدى البياض فتراه فى لباسه الأبيض من الكتان وقد وضع العمامة الحجازية على رأسه فتطالعك صورة رجل وقور الا أنك تشعر أن هذه الصورة تفيض حنوا وحبا ، وقد أدركته فى الأربعينات قبل دخول السيارات إلى البلاد وهو يمتطى صهوة حصان أحمر اللون ـ ولقد كان كبراء جدة جميعا يستعملون الخيل فى تنقلاتهم فى العهد العثمانى والعهد الهاشمى ـ حيث لم تكن السيارات قد وصلت إلى البلاد أو على الأصح لم يكن يسمح بدخولها الشريف الملك الحسين بن على كما أسلفنا فى حلقات سابقة من هذه التراجم وكان لهؤلاء الكبراء اسطبلات للخيل وسواس يرعونها ولقد أدركت هذا العهد الذى ظل سائدا فى مدينة جدة إلى أن بدأ العهد السعودى فسمح بدخول السيارات وتألفت شركات خاصة وعامة لها بعد ذلك ·

نعود بعد هذا إلى الحاج زينل على رضا فنقول إنه كان من أكبر تجار جدة وقد أسس مع شقيقه الأصغر الحاج عبدالله على رضا قائممقام جدة الأسبق بيتهم التجارى فى مدينة جدة ثم فى بومباى ، وكان الحاج عبدالله هو المدير الفعلى لهذا البيت التجارى فى الوقت الذى كان فيه الحاج زينل يكبره فى السن ·

إن ما يلفت النظر فى سيرة الحاج زينل ليس ثراؤه وتجارته فما أكثر التجار وأصحاب الثراء ولكن ما عرف عنه من البذل الكثير وخاصة للفقراء والمساكين ، لقد رأيت الحاج زينل والمساكين يحيطون به فى مسجد المعمار كلما ذهب لأداء الصلاة ويلتفون حوله وهو خارج من داره سواء للمسجد أو لزيارة بعض أصدقائه ، فيقف لهم باسما ويمنحهم الأعطيات ، ولم يكن يظهر عليه التأفف أو الضيق وهم يعانقونه ويتوددون إليه ، بل كثيرا ما رأيتهم يوقفونه فى الطريق ويدلون إليه بحاجاتهم فلا يجدون إلا يداً سخية ووجهاً باشا وكلاما حسنا ، وهذه الصفات لا تدل على الكرم المطبوع فحسب وإنما تدل على أن نفس الرجل قد اشربت حب الخير والعطف على المحتاجين فبذل لهم من نفسه كما بذل لهم من ماله ورفده ٠

وخلال الحرب السعودية الهاشمية كانت مدينة جدة محاطة بالأسلاك الشائكة وكان السلطان عبدالعزيز يعسكر بجيشه فى الرغامة وكانت المدينة تعانى من الحصار ، كما أن واردات جدة من البضائع قد تأثرت بسبب حالة الحرب أقول فى تلك الأيام كان الحاج زينل على رضا يتولى ذبح الذبائح وطبخ الطعام من الأرز ليطعم هؤلاء الفقراء والمساكين وكنت أراه وهو يقف بنفسه أمام القدور العظيمة التى يطهى فيها الطعام وينظر إلى الطاعمين فى بشاشة ولطف وإيناس ، كما رأيته وهو يأمر باخراج بالات السليطى ـ قماش من القطن نباتى اللون تستعمله البادية فى الثياب ـ فتوزع على هولاء الفقراء ثيابا تكسو أجسادهم وتدخل السعادة إلى قلوبهم ولقد اشتهر الحاج زينل رحمه الله بحبه للفقراء وحدبه عليهم حتى لقب بأبى المساكين ٠

وَالِـدُ مُؤَسِّسِ الفَلاح

ولعل من المهم هنا أن نذكر أن الحاج محمد على زينل مؤسس مدارس الفلاح الشهيرة والعظيمة هو الابن الأكبر للحاج زينل رحمهما الله فكأنَّ حب الخير الذى تأصل فى نفس الحاج زينل قد انتقل إلى ابنه البكر الحاج محمد على فقام بعمله العظيم الخالد فى إنشاء مدارس الفلاح والإنفاق عليها طيلة ما يقرب من أربعين عاما فكانت حسنة عظيمة وصدقة جارية فكان هذا الشبل من ذاك الأسد ٠ ولقد كان الحاج زينل يرغب أن يرى ابنه محمد على وهو يعمل فى بيته التجارى ليكون امتدادا لاسمه وعمله ولكن فكرة نشر العلم التى استأثرت بجهود محمد على صرفته عن العمل فى ظل أبيه فانفرد بعمله الخاص فى تجارة اللؤلؤ ، وقرت عين الحاج زينل بابنه محمد على وهو من أعظم الرجال ثراء وإن كان يستعمل هذا الثراء فى تعليم أبناء الأمة وإعدادهم رجالا للبلاد ، ولا شك أن الله تعالى اختار لكليهما ما هو خير فليس أسعد من أن يرى الانسان ابنه وقد شق طريقه فى الحياة وأثمر سعيه وتهيأت له أسباب النجاح فظهر اسمه ولمع نجمه ٠

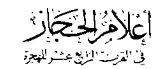
ولقد رأى الحاج زينل ذلك فى ابنه محمد على كأحسن ما يمكن أن يرى أب فى أبنائه وهذا هو صنع الله العلى القدير لمن شاء من عباده وحكمته البالغة فى التدبير والتقدير ٠

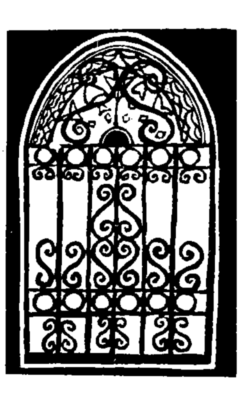
وَفَـاةُ الحَاجِّ زَيْـنَل

هذا ولقد توفى الحاج زينل على رضا عام ١٣٤٨ هـ بمدينة جدة عن عمر يناهز الرابعة والثمانين من العمر إذ كانت ولادته عام ١٢٦٥ هـ واشترك أهل

جدة كلهم فى تشييعه والصلاة على جثمانه ، وكان أبرز ما رؤى فى هذه الجنازة بكاء الفقراء وعويلهم على الفقيد الراحل ومزاحمتهم الأعيان والأثرياء فى حمل جثمانه والصلاة عليه ، تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان مثلا فى البر بالفقراء والمساكين .




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ ضياء الدين حمزة رجب

الشيخ ضياء الدين حمزة رجب

مستدير الوجه واسع العينين عظيم الأنف ، حنطى اللون معتدل القامة أقرب إلى الامتلاء خفيف اللحية حليق الشارب والعارضين ، يتخذ زيَّ العلماء السلفيين فيرتدى العباءة والغترة ولا يضع على رأسه عقالا وقد تمسك بهذا الزي طيلة حياته رحمه الله ، ولد بالمدينة المنورة سنة **١٣٣٥** هـ وتلقى العلم على أيدى علماء المسجد النبوى الشريف ومن أبرز أساتذته الشيخ الطيب الأنصارى العالم السلفى المشهور والشيخ أبوبكر التمبكتى والشيخ عبدالكريم كردى والشيخ العايش وهو من علماء الأزهر المجاورين بالمدينة المنورة ، كما أنه تأثر بخاله الشيخ عبدالحفيظ كردى شاعر المدينة المنورة ومن قضاتها المشهورين فى العهد الهاشمى ، وبعد إتمام دراسته اشتغل بالتدريس فى مدارس المدينة المنورة كما عمل فى تحرير جريدة المدينة المنورة أول ظهورها ، ولم تطل إقامته بالمدينة المنورة فعين **١٣٥٧** هـ قاضيا بمدينة العلا شمال المدينة المنورة وانتقل اليها لبضع سنين وما لبث أن عاد الى المدينة المنورة بعد أن ترك العلا ليعمل فى المحاماة وضاقت المدينة بنشاطه فى المحاماة فانتقل إلى مكة المكرمة فى أواخر الخمسينات وعمل بها فى المحاماة فترة من الزمن ، ثم عين رئيسا لكتاب

مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة ثم مستشارا قضائيا لأمانة العاصمة فى عهد المرحوم الشيخ عبدالرؤوف الصبان ثم عضوا بمجلس الشورى فى أوائل عهد الملك سعود وقد بقى يمارس عمله فى مجلس الشورى إلى أن انتقل بأسرته إلى سوريا ثم إلى مصر وتكرر انقطاعه عن المجلس فترات طويلة فأحيل إلى التقاعد ، وقد بقى فى مصر عدة سنوات إلى أن حصل نجله حمزة رحمه الله على البكالوريوس من جامعة القاهرة فعاد بأسرته الى جدة وافتتح مكتبا للمحاماة نجح فيه نجاحا كبيرا وقد بقى يمارس هذا العمل إلى أن توفى فجأة بالرياض بتاريخ ٢٤ صفر ١٣٩٦ هـ رحمه الله رحمة واسعة ، كان الشيخ ضياء الدين رجب نمطاً فريدا من الناس وقد استطاع بما وهبه الله من سماحة نفس وهدوء طبع أن يجمع القلوب حوله فأحبه الناس والتفوا حوله فكانت داره كما كان مكتبه يزدحم بالناس من كافة الطبقات وكانت له قدرة عجيبة على الاستماع إلى الناس ومشاركتهم فيما يهتمون به من شؤون أنفسهم وكانت هذه المشاركة تقتضى منه التوسط لدى المسؤولين فى الإدارات المختلفة ، أو لدى القادرين من الناس ولم يكن عمله فى المحاماة قائما على المادة وحدها وإنما كانت معظم أعماله تتصف بالصبغة الانسانية أكثر مما تتصف بالعمل المادى المنظّم ، وكان هذا الأمر يتجلى إذا كان أصحاب الحق من المستضعفين من الناس أو من النساء اللاتى فقدن الناصر والمعين ، ولم يكن يلجأ فى مثل هذه الحالات إلى المقاضاة وإنما كان يتخذ طريق الإصلاح وسيلة لفض هذه المنازعات وقد اكتشفنا بعد وفاته رحمه الله حوادث كان يمكنه أن يربح من ورائها الملايين ولكنه بدلا من أن يلجأ إلى التعاقد مع أصحاب ـ أو على الأصح ـ صاحبات القضايا دخل فيها بروح النجدة لامرأة استضعفها أهلها فحرموها حقوقا كثيرة فقام هو باستخلاصها لها بهذه الروح الطيبة التى تندفع بدافع المروءة والنجدة وتتناسى ما يجنيه أمثاله فى هذه

المواقف من أموال طائلة تعتبر بالنسبة لمن يمارسون هذا العمل من الفرص القليلة النادرة ، وكان الشيخ ضياء الدين ذا صلة وثيقة بالمرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وعُرفت هذه الصلة بينهما خاصة خلال الفترة التى ولى فيها المرحوم الشيخ محمد سرور وزارة المالية ، وخلال إقامته فى مصر بعد خروجه من الوزارة فكان الشيخ ضياء الدين ينقل إليه حاجات الناس ومطالبهم وخاصة أولئك الذين يمنعهم الحياء من الطلب أو الذين يتحرجون فى إيصال مطالبهم إليه وكان الشيخ محمد سرور رحمه الله يستجيب لهذه المطالب بروح من السماحة والبذل وبدافع من ثقته الشخصية بالشيخ ضياء الدين وسعيه فى الخير وكان الرجلان يكتمان من أمور الناس ما يجب كتمانه ويستران من العورات ما يجب ستره ، وكان الشيخ ضياء الدين رحمه الله كريما فى جميع الحالات حتى فى الأوقات التى كان يعانى فيها من ترك العمل أو خلو ذات اليد فإذا وصل إلى يده شيء سرعان ما أسعف به غيره من أصحاب الحاجات ولعل البعض من هؤلاء الناس كان أحسن منه حالا ولكنه يرحمه الله كان مفطورا على النجدة والعطاء على الإقلال والإعسار ، وحينما حسنت أحواله كان له الكثير من الإحسان الخفى وكان ينفق على ذوى قرباه ويصلهم ويرعى شؤونهم .

وكان أصدقاء الشيخ ضياء الدين من كافة الطبقات بدءاً بالعامة من الناس وانتهاء بالوزراء كما كان معروفا لدى الكثيرين من العلية والحكام وكان الجميع يحبونه وكان الكثيرون يعتمدون عليه فى قضاء حوائجهم ، وما أكثر هذه الحوائج وكنت أعجب له رحمه الله كيف يستطيع احتمال كل هذه الأعباء إلى جانب عمله الشاق فى المحاكم وفى مكتبه الذى يغص بأصحاب القضايا والحاجات حتى وقت متأخر من الليل ، وكان هاتفه لا ينقطع من المكالمات التى تحمل فى ثناياها هذه التكاليف العجيبة ولكنه كما ذكرت كان ذا قدرة عجيبة على إرضاء الناس وعلى

الإصغاء اليهم ، وتفهم حاجاتهم وكان ذا بصيرة بطباع أصدقائه والمتحدثين إليه فكانوا يتركونه وهم يشعرون بالراحة وحتى ولو لم تقض لهم حاجة أو يتحقق لهم مطلب فإن شعور المرء بأن هناك من يشاركه فى همومه ومشاكله يخفف من أعبائه النفسية ويشعره بالراحة والاطمئنان ، وهكذا فإن مشاركة الشيخ ضياء الدين رحمه الله للناس فى اهتماماتهم أكسبه محبة الناس وتقديرهم ، وقد تجلّى هذا الحب فى حياته حينما فقد ابنه الشاب المرحوم حمزة ضياء الدين رجب وهو فى اكتمال فتوته وأوج شبابه فكانت مشاركة الناس للشيخ ضياء الدين فى فجيعته بوحيده البكر ، - كان المرحوم حمزة رجب هو الولد الوحيد وبقية ذرية الشيخ ضياء الدين من الإناث - مشاركة عظيمة تجلت فى إقبال الناس عليه بالتعزية والمواساة ، وتجلّت فيما كتبه الكثيرون من أصدقائه أو معارفه فى رثاء ابنه ومواساته ، كما تجلت هذه المشاركة بعد وفاة المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب رحمه الله فقد لمسنا من مواساتهم مقدار ما كان يتمتع به فى نفوس الناس من محبة وتقدير .

وللشيخ ضياء الدين رحمه الله إلى جانب أخلاقه الشخصية الكريمة نواحٍ أخرى فهو شاعر من أكبر شعراء المملكة وكاتب من أقدر الكتاب وكان ينشر إنتاجه الأدبى بجريدة المدينة المنورة فى أول ظهورها فقد كان أحد كتابها البارزين ، كما كان ينشر بين الفينة والفينة فى جريدة صوت الحجاز والمنهل ما تجود به قريحته من شعر ونثر وفى السنوات الأخيرة من حياته واصل الكتابة للاذاعة السعودية فكانت له أحاديث يومية مذاعة ، كما واصل الكتابة فى جريدة البلاد وكانت له كلمة يومية تنشر بعنوان « قطوف » كما كان له مقال أسبوعى فى هذه الصحيفة ، هذا عدا ما تنشره المجلات الأخرى مثل « قافلة الزيت » « والمنهل » وخلافهما من شعر ونثر ، والكتابة اليومية فى الصحف إذا كانت ناجحة ليست عملا سهلا كما يتصور البعض من الناس ، لأنها تعتمد أولا على

ذكاء الكاتب وسعة إطلاعه ، وشمول إدراكه وحساسيته إزاء ما يصادفه فى حياته اليومية مما يقرأ ويسمع ومما تضطرب به حياته وحياة من حوله من الناس ، فإذا استطاع الكاتب أن يشدَّ القراء إلى عموده اليومى مهما كان قصيرا فهو كاتب أصيل ممتاز وأشهد أن قطوف الشيخ ضياء الدين رحمه الله كانت تجذبنى إلى قراءتها صباح كل يوم ضمن القليل الذى أحرص على قراءته فى مختلف الصحف مع ضيق وقتى عن القراءة بما يزدحم به يومى من أعمال ، وإذا كان لى أن أقول كلمة صغيرة عن الشيخ ضياء الدين رحمه الله كأديب فهو فى رأيى كاتب مجيد وشاعر عظيم يذكرنى بالصفوة المختارة من الشعراء بأسلوبه العربى الأصيل ، وعاطفته الدافقة الثَّرَّةَ وهو يمثل نمطا فريدا من الشعراء فكأنك تستمع إلى الفحول من شعراء العصر العباسى كالشريف الرضى ومهيار الديلمى أو كأنك تستمع إلى شوقى فى ديباجته الناصعة ولعلى لا أفشى سرا إذا ذكرت هنا أن الشيخ ضياء الدين رحمه الله كان يسره أن يستمع إلى من ينشد ما ينظمه من شعر فكان يحضر إلى مكتبى إذا نشرت له قصيدة ويطلب منى إنشادها وأشعر بنفسه تهتز رضا وهو يستمع إلى هذا الانشاد ، ولعله كان يعجب بحرصى على فهم معانى القصيدة ومراميها ، فقد كنت أناقشه دائما فى كل ما ينشر له من شعر ، وكثيرا ما كنا نعقد المقارنات بين القصائد التى تنشر لأعلام الشعراء فى موضوع واحد وإنى لأذكر هنا أننا تدارسنا القصائد التى نظمت فى رثاء المرحوم رياض الصلح زعيم لبنان الكبير وفى أمثال هذه المناسبات كنا نتدارس القصائد الموسمية التى تلقى فى موسم الحج والتى يشترك فيها شعراء كثيرون من داخل المملكة وخارجها وكان الشيخ ضياء الدين رحمه الله على صلة واسعة بشعراء عصره وأدبائهم فحين إقامته فى الشام توثقت صلته بشعراء سوريا الكبار شفيق جبرى وسليمان الأحمد وغيرهم كما أنى اجتمعت فى داره بدمشق بالأستاذ نصوح

بابيل صاحب جريدة الأيام الشهيرة فى سوريا إذ ذاك وكان على صلة وثيقة بالسيدين أبو الخير الميداني والسيد محمد مكى الكتانى رحمهما الله وكليهما من علماء سوريا وزعمائها الدينيين وفى مصر اجتمعنا فى منزله بالأستاذ الشاعر أحمد رامى الذى كان ممن توثقت صلة الشيخ ضياء الدين بهم رحمه الله ، كما علمت أنه كانت له صلات كثيرة برجالات العلم والأدب فى كل من القطرين وفى مصر كنت أرى الشاعر المرحوم محمد مصطفى حمام والشاعر محمد جبر لدى الشيخ ضياء الدين فى أوقات متقاربة وغير هؤلاء كثيرون ممن لا تحصيهم الذاكرة وحينما كان فى مصر كان على صلة كبيرة بالأمير عبدالكريم الخطابى قائد ثورة المغرب الشهيرة ضد أسبانيا وفرنسا وحينما توفى رثاه بقصيدة عصماء نشرتها له مجلة « قافلة الزيت » فى تلك الأيام أما صلة الشيخ ضياء الدين رحمه الله بشعراء وأدباء عصره فهى صلة الصداقة الكريمة والحب الخالص ، كان يحب الجميع وكان الجميع يحبونه ويقدرونه وكان بما وهبه الله من خلق سمح ولسان عف يبعد عن المنازعات التى تكدر علائق المودة بين الأدباء فلا يهاتر ولا يخاصم ووقف من هذه الخصومات الأدبية التى كانت تحدث بين أدباء عصره وشعرائهم موقف المحايد النائى بنفسه عن التورط فيما لايليق بمقام العالم والأديب .

نعم لقد كان الشيخ ضياء الدين قبل كل شيء وبعده لا ينسى أنه طالب علم ، وأنه تقلد القضاء وهو عمل من أرفع الأعمال وتولى التدريس وهى مهنة شريفة كريمة ، وقد كان مع من يحيط به من الشباب الذى يحبونه فى مقام الأبوة الحانية يرشد ويعلم ويحنو ويكرم دون أن يشعر من حوله بشيء من الاعتزاز بعلمه أو الإدلال بمكانته ، بل أنه يشعر من حوله بأنه منهم وإليهم وبهذه الصفات الكريمة السمحة تبوأ مكانه فى النفوس ورسخت محبته فى القلوب رحمه الله رحمة واسعة .

مُبالغتهُ في تقديرِ سِنّه

ومن طرائف الشيخ ضياء الدين رحمه الله أنه كان يبالغ فى تقدير عمره خلافا لما جرى عليه العرف بين الناس وقد رأيته مرة يذكر أنه فى الثمانين من العمر وكانت المبالغة واضحة فقلت له الم تذكر لى أنـك توليت القضـاء وأنـت فى العشرين من العمر قال نعم قلت فكيف بلغت الثمانين ولم يمض على هذا الأمر الأربعون عاما فضحك وقال إننى فى الحقيقة لا أدرى قلت ولكنك تتعمد المبالغة قال لقد رأيت الناس يحاولون إنقاص أعمارهم فأردت أن أخرج من النزاع فى هذا الأمر بالزيادة بدل النقصان ..

الشَّيخ ضياء الدِّين والنسيان

ومن طرائفه أيضا أنه كان كثير النسيان حتى عرف بذلك بين أصدقائه ، وأنا شخصيا أعرف أنه كان يبالغ فى التظاهر بكثرة النسيان فقد كان كما ذكرت فى صدر هذه الترجمة مقصودا من الناس فى أمور كثيرة ومن المؤكد أن وقته كان يضيق بالقيام بهذه الأمور بل ببعضها فكان النسيان والسرحان هو العذر الذى يلجأ اليه والذى يقبله الناس عملا بالحديث الشريف « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ، ولقد رأيته رحمه الله يحفظ أرقام التليفونات ولا يكتبها فى مذكرة وإنما يستمدها من ذاكرته العجيبة التى تحفظ ما تريد وتتناسى ما لاتريد ، ولاشك أنه كان لاينسى إطلاقا ما يهم من الأمر ولكن حادثة طريفة سمعتها منه تعتبر من أعاجيب السهو والنسيان

قال: وفد عليه من الطائف المرحوم محمد بصراوى ـ وكان يلقب بالبيك ـ وكان مديرا لأوقاف الطائف وخرجا من إدارة الأوقاف بالمالية بمكة بعد انتهاء

ساعات العمل وذهبا إلى منزل الشيخ ضياء الدين فى جرول لتناول الغداء وترك الشيخ ضياء الدين ضيفه فى الدور الأول من المنزل ونسى أن يذكر لأهل الدار أن ضيفا سيتناول الغداء معه قال الشيخ ضياء الدين:وكنت متعبا فاستلقيت على السرير ونمت ولم أقم إلا وقد غشينا العصر فتغديت ونسيت الضيف الذى ينتظرنى فى الدور الأول وقد أوشكت الشمس على المغيب وحينما هبطت اليه وجدته يكاد يبكى من الجوع وضاعت معه كل حيلى فى الاعتذار بالسهو والسرحان وظل يشكونى إلى كل من يراه إلى أن توفاه الله ·

المحاماة في القرآن

ومن الطرائف التى ذكرها لى الشيخ ضياء الدين رحمه الله ، أنه كان يعمل بالمحاماة بعد أن صرف عن قضاء العلا ، ويبدو أن بعض القضاة شكوه إلى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله واقتضى الأمر أن يقابل هو جلالة الملك عبدالعزيز ويشرح له الموضوع قال ، قال لى جلالة الملك:ولكن المحاماة لا أصل لها فى الشرع ، قال فقلت لجلالته إن لها أصلا فى القرآن قال هاته · قال : قلت :قال تعالى فى سورة النساء « ولا تكن للخائنين خصيما » ، أى مدافعا عنهم والمحاماة هى الدفاع عمن لا يستطيع الإدلاء بحجته فقبل جلالته ذلك راضيا. ومما يذكر أن هذه الآية كانت مكتوبة بخط جميل فى لوحة خشبية وكان الشيخ ضياء الدين يضعها فى مكتبه الذى يمارس فيه عمل المحاماة بحيث يراها كل من يجلس إليه من أصحاب القضايا ، وكأنه بهذا يوحي إليهم أنه لا يقبل من القضايا الا ما كان أصحابها على حق وهو مبدأ لو تمسك به المتخاصمون لأراحوا واستراحوا ·

ديوان الشيخ ضياء الدين

هذا وقد جمع المرحوم الشيخ ضياء الدين قصائده فى مجموعات كبيرة مجلدة ومنسوخة بالآلة الكاتبة وكثير من هذه القصائد لم ينشر فى حياته وقد اتفقت أسرته مع نادى جدة الأدبى على نشر هذه القصائد فى مجموعات متفرقة ولابد أن المجموعة الأولى ستنشر قريبا بإذن الله وهى خدمة عظيمة للأدب السعودى يقدمها نادى جدة الأدبى مشكورا فإن الشيخ ضياء الدين يعتبر مفخرة من مفاخر الشعر العربى فى هذا العصر لا فى المملكة العربية السعودية وحدها وإنما فى الوطن العربى كله وهو بأسلوبه الناصع ومعانيه الثرة وعاطفته المتوهجة يمثل النسق الشعرى الأصيل فى صفائه وجودته ورقته ·

بعد كتابة ما تقدم يسرنى أن أذكر أن المجموعة الكاملة لشعر الشيخ ضياء الدين رجب قد تم إعدادها للطبع على نفقة صاحب السمو الملكى الأمير الشاعر عبدالله الفيصل وآمل أن تكون قد ظهرت قبل طبع هذا الكتاب ·

تمسكه بالشعر العمودي

ولعل مما يحسن ذكره ونحن نتحدث عن شعر الشيخ ضياء الدين أنه كان من المتمسكين بالشعر العمودى المنظوم ولم يكن يمارس هذا الخلط الذى يسمونه الشعر المنثور بل ولا يستسيغه أو يعترف به كما هو شأن الكثرة من الشعراء المجيدين ·

فتى سلع

كما أن الشيخ ضياء الدين كان ينشر شعره الغزلى بتوقيع مستعار هو ـ فتى سلع ـ ولقد كان يتبع هذه الطريقة منذ بداية نشره للقصائد الشعرية فى الخمسينات وإلى أن توفاه الله وهو يهدف إلى الشيخوخة ·

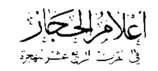
مُؤلّفَاتُه الأخرى

هذا وقد كان الشيخ ضياء الدين رحمه الله أخبرنى أن له مؤلفا صغيرا بعنوان ـ وقفة فى ديار ثمود ـ وقد ألفه حينما كان قاضيا بالعلا ولكننى لم أجد مخطوط هذا الكتاب ضمن ما تركه من آثار أدبية ،وإنى لأرى أن أديبا كبيرا كالشيخ ضياء الدين يستحق أن تتكفل كلية الآداب بإحدى جامعاتنا بجمع آثاره المنشورة بالصحف والمذاعة بالمذياع لاختيار ما يصلح منها للنشر توطئة لطبعه ونشره لتكون هذه المنشورات وسيلة كافية للدراسة الكاملة لأدبه وإنتاجه ٠

وفَـاتُـه

هذا وقد أدركت الوفاة المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب فى الرياض فى ليل الرابع عشر من شهر صفر ١٣٩٦ هـ وكان بدار ابنته « لميس » فشعر بضيق فى التنفس وألم فى الصدر وحينما نقل إلى المستشفى لإسعافه أسلم الروح وهو فى الطريق إلى المستشفى رحمه الله وكانت لوفاته رنة حزن عظيمة فى جميع الأوساط وقد نقل بطائرة تابعة لوزارة الدفاع من الرياض فى صباح يوم الخامس عشر من صفر ١٣٩٦ هـ إلى جدة حيث جهز ونقل إلى مكة المكرمة وصلى على جثمانه فى المسجد الحرام ودفن بمقبرة المعلاه رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلا خيرا وعالما نيرا وأديبا وشاعرا كبيرا ٠٠




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





سليمان أمان قابل

سليمان أمين قابل

متوسط القامة ممتلىء الجسم شديد السمرة واسع العينين يضع على عينيه نظارة ذهبية كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ثم أصبح يرتدى العباءة والعقال المقصب فى العهد السعودى ٠

إن ما لفت نظرى فى تاريخ الشيخ سليمان قابل هى عصاميته الفذة فلقد بدأ حياته مع أخيه الشيخ عبدالقادر قابل بداية بسيطة ولكنه استطاع بطموحه وعصاميته ان يتبوأ المناصب الكبيرة فى العهد الهاشمى ثم فى العهد السعودى وان يستطيع محله التجارى افتتاح شارع من أهم شوارع مدينة جدة كما سيأتى ايضاحه فيما بعد ٠

رئيس المحكمة التجارية

عرفت الشيخ سليمان قابل وهو يتولى منصب رئيس المحكمة التجارية بمدينة جدة ، وهى أول محكمة من نوعها تقام فى العهد السعودى للفصل فى الأمور التجارية التى لها طابع خاص وذلك لما تتميز به مدينة جدة من التخصص فى أمور التجارة بأنواعها[١] ، كما كان يمارس الأمور المتعلقة بالتجارة منذ العهد

(١) كما كان رئيسا لبلدية جدة فى العهد الهاشمى ٠

الهاشمي فلقد كان يرأس الإدارة التي تمنح تراخيص الاستيراد في وقت من الأوقات وهو أمر إن دل على شيء فإنما يدل على أن الرجل قد استطاع الفوز بثقة الدولة في العهد الهاشمي والعهد السعودي على السواء وهو يدل كذلك على ان شخصيته العصامية وطموحه قد مهدا له السبيل للبروز بين أقرانه من الرجال ولعله من المناسب أن نذكر أن الشيخ سليمان قابل تولى رئاسة أول شركة للسيارات تأسست في مدينة جدة في أوائل العهد السعودي ولكن هذه الشركة لم تستمر فقد واجهتها مشاكل كثيرة انتهت بتصفيتها .

شارع قابل

على أن أهم إنجاز يتميز به الشيخ سليمان قابل في نظري هو افتتاحه لشارع قابل المعروف والمسمى باسم أسرته حتى اليوم وهو شارع من أهم شوارع مدينة جدة كما هو معلوم ، ولهذا الشارع قصة يحسن ذكرها فان الملك الحسين بن على هو الذي قام ببناء الشارع في الثلاثينات في عهد ولايته عرش الحجاز وفي عهد ابنه الملك على بن الحسين اشتراه آل قابل من الملك على مقابل بعض المال وبعض الأغذية التي كانت حكومته في أشد الحاجة إليها لتصرف للجند خلال الحرب السعودية الهاشمية ، قالوا وكانت الصفقة في مصلحة المشترى أكثر منها في مصلحة البائع وليس هذا هو المهم في الأمر ولكن المهم ان الشيخ سليمان قابل استطاع بذهنيته المتفتحة ان يجعل من هذا الشارع أهم شارع في مدينة جدة في ذلك الزمان فلقد كان الشارع مكشوفا فتعاقد بيته التجاري مع شركة ألمانية على تسقيفه وتم تغطية الشارع بسقف من المعدن المضلع ـ التوتوه ـ يقوم على أعمدة حديدية ويرتفع ارتفاعا كبيرا لأن علو الشارع كان قد بنى عليه دور من المكاتب التجارية ، ولقد شاهدت العمل في تغطية الشارع في الأربعينات في أوائل العهد

السعودى وهو يسير على قدم وساق حتى تمت التغطية على أحسن ما تكون فى ذلك الزمان ولم يكتف آل قابل بهذا التجديد ، ولكنهم استوردوا مكينة كهربائية ضخمة وأدخلوا النور الكهربائى والتهوية الكهربائية إلى كل دكان ومكتب فى الشارع فتدافع أصحاب الدكاكين إلى الاستئجار فى شارع قابل وأصبح الشارع مختصا بالقماشين ومن اليهم ممن تحتاج بضائعهم إلى مثل هذه التحسينات والتجديدات التى تميز بها شارع قابل ، إن آل قابل قد أفادوا كثيرا من التحسينات التى أدخلوها على شارعهم ، ولكنهم فى نفس الوقت قد أفادوا الناس ، وقدموا للمدينة التى ينتمون اليها خدمة حضارية لاشك فيها ، ولقد ذكرت فيما مضى من هذه التراجم أن الربح لا يغض من قيمة العمل المفيد ولا ينقص من تقديره وأن الجانب الذى يعنينا منه هو مقدار ما يفيد منه الناس وما يدخل على الوطن من أسباب الحضارة والتيسير وفى رأيى أن هذا العمل إذا كان تجاريا فان توفر عنصر الربح جوهرى لبقائه ودوامه .

موائد الإفطار في رمضان

وكان منزل آل قابل فى مدينة جدة يتميز كذلك باقامة موائد الإفطار فى كل يوم من أيام رمضان من بداية الشهر إلى نهايته وكانت هذه الموائد تضم فى كل يوم كبار موظفى دائرة حكومية مع بعض أعيان المدينة وتجارها وكانت هذه العادة الجميلة تتيح لآل قابل توثيق علاقاتهم بكبار موظفى مدينة جدة وهو نوع مما يسمى فى الوقت الحاضر بالعلاقات العامة لم يكن معروفا فى ذلك الزمان ، على أى حال لقد كان منزل آل قابل مفتوحا مغرب كل يوم فى رمضان وكانت موائدهم منصوبة لاستقبال الضيوف كما كان منزلهم فى مساء كل يوم مفتوحا لأصدقائهم من أعيان المدينة وكنت أرى الحاج عبدالله على رضا قائممقام جدة وشقيقه

الحاج زينل على رضا ممن يحضرون إلى منزل آل قابل أصيل كل يوم حيث يصلون المغرب جماعة ويتسامرون ساعة من الليل ثم يعود كل منهم إلى داره على عادة كبار أهل جدة فى ذلك الزمان .

وكان منزل آل قابل من المنازل القليلة التى تضاء بالكهرباء فى وقت لم تكن فيه الكهرباء معروفة إلا فى منازل السفارات والشركات الأجنبية .

وكان منزل آل قابل يقع فى الحدود ما بين حارة الشام وحارة المظلوم ولايزال هذا المنزل قائما ولكن أهله قد تركوه منذ سنوات طويلة بعد وفاة كبار رجال العائلة وأصبح المنزل خربا غير مسكون .

أهل الحارة وعنعناتهم

وعلى ذكر منزل آل قابل الذى ذكرنا أنه يقع فى الحدود ما بين حارة الشام والمظلوم نذكر هنا حادثة طريفة تتعلق بموضوع حارات جدة والعنعنات التى كان يتمسك بها رجال الحارة أو الحارات على الأصح وهى تدل على مدى العقلية التى كانت تتحكم فى عقول بعض الناس فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجرى الذى ودعناه منذ بضعة شهور ، كانت مدينة جدة تنقسم إلى أربع حارات هى : حارة الشام وكانت فى شمال المدينة وفيها مقر الحكومة ومقر السفارات والشركات الأجنبية ، مما يلى البحر والشمال وحارة المظلوم وهى تقع فى شرق مدينة جدة وتمتد إلى وسطها ، وحارة اليمن وهى فى جنوب جدة وكان يتمركز فيها وكلاء الحجاج وينزل فيها الحجاج قبل بناء مدينة حجاج البحر وحارة البحر وهى ممتده إلى جوار البحر من الجنوب باتجاه الشرق ويسكن فيها البحارون وملاك الزوارق البحرية وما إليها وكل من تتعلق أعمالهم بالبحر يوم

أن كان للبحر رجاله وعماله من أهل المدينة قبل التطور العظيم الذى أدخل على ميناء جدة[1] .

نقول كان رجال كل حارة يعتبرون حارتهم معقلا لهم وينظرون إليها نظرة فيها كثير من العصبية إذا جاز هذا التعبير فلا يسمحون لرجال الحارات الأخرى بالدخول إليها فى المواكب والحفلات إلا بعد ترتيب خاص يخبرون فيه أهل الحارة بقدومهم ، وحدث أن أقام الشيخ محمد الطويل كبير جدة فى ذلك الزمان عرسا لأحد أقربائه وكان الشيخ محمد الطويل من سكان حارة الشام وكان أهل العروس يسكنون فى حارة اليمن وفى الهزيع الأخير من الليل قام موكب العريس من بيت الشيخ محمد الطويل بحارة الشام يحف به المنشدون المشهورون فى ذلك الوقت وتتقدمه المصابيح الغازية الكبيرة ـ الأتاريك ـ يحملها الرجال ، كما كان يمشى حملة مباخر العود بين يدى العريس وحينما وصل الموكب الذى كان يمشى فيه كثير من أعيان المدينة ورجالها وشبابها إلى حدود حارة اليمن وتقع هذه الحدود أمام مسجد المعمار عند بيت آل الجمجوم فى ذلك الوقت تعرض بعض أهل حارة اليمن للموكب وطلبوا منه العودة من حيث أتى قائلين ـ هذه حارتنا ولن نسمح لكم بالدخول وأصر أهل حارة الشام على الدخول فكيف يعودون ومعهم هذا الموكب الضخم العظيم وفقد رجال الحارتين اعصابهم فتسابوا ثم استعملوا عصيهم يضربون بها بعضهم بعضا وانفرط عقد الموكب وتفرق الناس خائفين على أنفسهم من نتائج المعركة المجنونة التى نشبت فجأة دون إنذار والتى أوقد شعلتها شباب غير مسؤولين فقدوا أعصابهم فى ساعة من ساعات الحمية الكاذبة ولم يستطع العقلاء التدخل وإيصال العريس إلى منزل عروسه الا بعد مشقة وتعب ولكن كان الضرب قد حدث وكذلك الإصابات فى الجانبين وتدخلت الشرطة وأخذت

(١) اصبحت محلات جدة او حاراتها الان اكثر من عشرين حيا واصبحت لها عدة بلديات بعد ان تضاعف نمو المدينة اكثر من عشرين ضعفا ..

الجميع إلى السجن وكان مساعد قائممقام جدة يومها المرحوم الشيخ عبدالعزيز ابن زيد وسمعته يقول : إن كانت هذه المعركة بسبب الحدود فاننا سنرسل المتقاتلين الى الحدود الحقيقية لحمايتها أما هذه الحدود داخل المدينة الواحدة فهى حدود كاذبة مفتعلة ولقد كانت هذه الحادثة هى آخر ما أعرفه عن حوادث الحدود بين الحارات إذ كان تصرف الدولة الحازم كفيلا بالقضاء على هذه النعرات الى غير رجعة والحمد لله ٠

نعود بعد هذا الاستطراد الذى جرنا إليه موقع منزل آل قابل فى مدينة جدة الى الشيخ سليمان قابل فنقول إنه توفى الى رحمة الله تعالى بعد مرض أَلَمَّ به سافر من أجله للاستشفاء فى مدينة القاهرة ثم عاد الى مدينة جدة ولكن الأجل كان قد دنا فتوفى وكأنما كانت وفاته نذيرا بانطواء تاريخ الأسرة التى كان يجمع شملها ويرفع اسمها رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلا عصاميا طموحا وقد استطاع أن يبرز بين رجال مدينة جدة بهذه العصامية وبهذا الطموح ٠




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





السيد صالح بن بكري شطا

السَّيِّد صَالِح بن بكري شَطَا

طويل فارع ، معتدل الجسم ، أبيض اللون تشوب بياضه حمرة خفيفة ، واسع العينين ، أقنى الأنف ، يضع على عينيه نظارة ذهبية ، كان فى العهد الهاشمى يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، وقد أدركته فى الخمسينات وهو يرتدى العباءة العربية والغترة البيضاء دون عقال وهو الزى الذى يتميز به علماء الدين والقضاة ، ولا عجب فى ذلك فالرجل من بيت علم ودين وقد ظل محتفظا بصفته هذه رغم المناصب الكبيرة التى أسندت إليه فهو من أولئك الرجال الذين تنفرد شخصياتهم بما وهبها الله من صفات فتضع بصماتها على ما يسند اليها من منصب أو عمل فلا يجرفها المنصب أو الجاه ، ولا يبطرها الثراء أو الحسب لأنها تستمد قوتها من صفاتها الشخصية التى تفرض حبها على الناس فى بساطة ويسر .

ولد السيد صالح شطا عام ١٣٠٢ هـ بمكة المكرمة وتوفى والده وهو فى الثامنة من العمر فكفله أخوه الأكبر السيد أحمد شطا المدرس بالمسجد الحرام ، وحفظ القرآن الكريم فى صباه وتلقى تعليمه على أيدى أعلام العلماء من أسرته ومن علماء مكة المكرمة الذين تعقد حلقات دروسهم فى رحاب المسجد الحرام

أمثال السادة : احمد وعمر شطا والسيد عبدالله دحلان والسيد حسين الحبشي وغيرهم[١] وبعد أن أتم دراسته حصل على إجازة بالتدريس من هيئة العلماء بمكة المكرمة فكان يلقى دروسه فى رحاب المسجد الحرام بباب الزيادة .

سمعت باسم السيد صالح شطا رحمه الله أول مرة فى أوائل الأربعينات حينما وفد بأسرته من مكة المكرمة إلى جدة خلال الحرب السعودية الهاشمية ونزل بدار الشيخ عبدالرحمن باجنيد ـ كانت هذه الدار فى شارع قابل أمام مسجد المعمار وقد أزيلت وأدخلت مع البيوت التى حولها فى الشارع الجديد المسمى شارع الذهب حاليا ـ أقول سمعت باسم صالح شطا لأول مرة حينما وفد بأسرته من مكة المكرمة ولكن لم يمض طويل وقت حتى شاع فى مدينة جدة خبر التجائه الى مخيم السلطان عبدالعزيز آل سعود بالرغامة ـ خارج مدينة جدة ولهذا الالتجاء خلفية لابد من ذكرها وقد حدثنى عنها السيد صالح شطا نفسه رحمه الله قال : كنت أقاوم حكم الشريف الحسين بن على لأنه كان ظالما بطاشا ولقد سجنت ومعى الشريف رضا « والد المرحوم الشريف محمد شرف رضا » فى سجن الحسين بمكة المكرمة لأن الحسين كان يعرف عنا هذه المعارضة ، قال وكنت أرسل المقالات إلى الجرائد المصرية « ولعله ذكر اسم مجلة المقتطف » أعدد فيها مظالم الحسين بتوقيع مستعار ، وكانت هذه المقالات تنشر ولا يعرف كاتبها إذ كانت الصحيفة تحتفظ باسم الكاتب سرا إذا رغب فى ذلك ، أقول ان هذه الخلفية للسيد صالح شطا رحمه الله توضح اختراقه للأسلاك الشائكة التى تحيط بمدينة جدة فى أيام الحصار والتجاءه إلى مخيم السلطان عبدالعزيز فهو إنما فعل هذا مدفوعا بكراهيته للعهد القائم إذ ذاك وهذه الحادثة بالذات تظهر مدى قوة شخصية الرجل وشجاعته فى اقتحام المخاطر ، فلو أن محاولته للخروج من مدينة

---

(١) سير وتراجم بعض علمائنا فى القرن الرابع عشر الهجرى تأليف عمر عبدالجبار صفحة ١٤١ ..

جدة كشفت أو ألقى القبض عليه من قبل الجيش المدافع عن المدينة ، لكان مصيره فى مهب الريح ، ولكان فى موقف من أسوأ المواقف التى يتعرض لها من يقتحم هذه الأخطار بينما كانت أسرته الكبيرة مقيمة بمدينة جدة • هذا ماكنت قد كتبته عن هذه الحادثه المشار اليها ونشر فى الحلقة الخاصة بالمرحوم السيد صالح شطا • وقداتصل بى ابنه الأخ السيدمحمود شطا عضو مجلس الشورى وأخبرنى أن والده لم يلجأ إلى مخيم السلطان عبدالعزيز وأنه إنما ذهب مع من ذهبوا من زعماء مكة وجدة لمقابلة السلطان عبدالعزيز بالرغامة لإبداء آرائهم فيما تتعرض له مدينة جدة من المخاطر بما تضمه من الأهالى ورعايا الدول الأجنبية وأن الشريف الملك على بن الحسين لم يكن راضيا عن ذهابهم ولكنه لم يستطع منعهم وأنهم حينما عادوا سجنوا بالقشلة وأبعد منهم من أبعد عن البلاد وأن والده السيد صالح شطا كان من ضمن المسجونين بالقشلة مع المرحوم الأفندى محمد نصيف والشيخ سليمان عزايه • هذاوقد وجدت فى كتاب ماضى الحجاز وحاضره للأستاذ حسين محمد نصيف رحمه الله ما يدل على أن السيد صالح شطا كان أحد أعضاء الحزب الوطنى الذى تأسس فى مدينة جدة أيام الحرب الهاشمية السعودية وللتوفيق بين ما كنت كتبته عن التجاء السيد صالح شطا إلى مخيم السلطان عبدالعزيز حسب المعلومات التى كانت متداولة فى ذلك الوقت وبين ما ذكره لى ابنه السيد محمود شطا أقول إن السيد صالح رحمه الله كان معروفا بمعارضته الشديدة للحكم الهاشمى ولابد ان البعض حينما علم بذهابه مع من ذهبوا لمقابلة السلطان عبدالعزيز على كره من الملك على أنهم ظنوا أنه لجأ الى مخيم السلطان عبدالعزيز أو أن هذه الاشاعة أطلقت لتبرير سجنه مع زملائه الذين سجنوا وأبعدوا فيما بعد •

ولعله من المناسب أن نذكر الآن طرفا من الحالة الاجتماعية التى كانت تسود

البلاد فى هذه الفترة من الزمان فى أوائل الأربعينات من هذا القرن الهجرى الذى يوشك على الانتهاء .

كانت الحياة الاجتماعية فى الحجاز مبنية على الترابط والسماحة وكانت البيوت مفتوحة لاستقبال الضيوف ولم تكن هناك فنادق أو خانات ينزل فيها المسافرون بين مدينة وأخرى وإنما كانت هناك علاقات صهارة أو صداقة أو عمل تربط بين الناس فكان المسافر من مكة إلى جدة . أو من جدة إلى مكة ينزل فى بيت قريب أو صديق وكانت أغلب المنازل بها أماكن مخصصة للضيافة وكانت ضيافة الرجال فى الدور الأرضى من المنزل الذى كان يحتوى على دواوين ومقاعد بما يلزم لها من خدمات ، أما النساء فكانت استضافتهن فى الأدوار العليا مع نساء العائلة فإذا حضر الرجل بأهله دعى ليلا إلى الصعود إلى مجلس فى هذه الأدوار يخصص لمبيته مع أهل بيته لايختلط بنساء العائلة أو رجالها فإذا كان الصباح ترك هذا المجلس إلى الدور الأرضى حيث يجتمع الرجال جميعا لتناول الإفطار ثم طعام الغداء وتبقى هذه البيوت مفتوحة طيلة النهار وصدرا من الليل يقوم على خدمتها المكلفون بذلك من الرجال . لهذا فإنه حينما وقعت الحرب الهاشمية السعودية وهاجر الكثيرون من أهل مكة إلى مدينة جدة بعائلاتهم نزل كل هؤلاء المهاجرين تقريبا فى بيوت أهل جدة فالقريب نزل عند أقربائه أو أصهاره والصديق نزل فى بيت صديقه ، والذى لا قريب له أو صديقا نزل كذلك فى بيوت عرف أصحابها بالكرم والنخوة ، ولقد كان لكبير جدة فى ذلك الوقت الشيخ محمد الطويل رحمه الله دور عظيم فى إسكان الوافدين من أهل مكة وإنزالهم فى جدة بحكم منصبه العظيم وزعامته فى مدينة جدة فى ذلك الزمان .

ونعود بعد هذا الاستطراد إلى الحديث عن السيد صالح شطا رحمه الله

فنقول كان من المؤكد بعدما ذكرنا عن معارضته الشديدة لحكم الشريف الملك الحسين بن على ثم لابنه الملك علي مع ما للرجل من صفات شخصية ومركز عائلى مرموق أن يكون من أبرز رجال العهد السعودى فى الحجاز بعد ان اصبح السلطان عبدالعزيز ملكا على الحجاز عام ١٣٤٤ هـ ـ فكان عضوا بمجلس الشورى عن مكة المكرمة فى بداية تأسيس المجلس عام ١٣٤٥ هـ ثم عهد إليه بإدارة المعارف العامة ، ثم عين مساعدا للنائب العام لجلالة الملك فى الحجاز ـ وكان النائب العام فى ذلك العهد هو صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ـ جلالة الملك فيصل فيما بعد ـ وهو منصب من أرفع المناصب الإدارية وقد استقر الأمر بالسيد صالح شطا بعد أن أصبح النائب الثانى لرئيس مجلس الشورى (النائب الأول للمجلس هو صاحب السمو الملكى الأمير فيصل) وكانت رئاسته للمجلس شرفية إذ أن سموه لم يكن يحضر إلا حفلات افتتاح المجلس الرسمية فى كل عام وكانت الرئاسة العملية هى للنائب الثانى وهو المنصب الذى شغله المرحوم السيد صالح شطا سنوات طويلة وأداره بمنتهى الكفاءة والحزم .

ولعله من المناسب أن نذكر هنا ان مجلس الشورى كان له تأثير كبير فى شؤون الدولة وخاصة فى النواحى القانونية والتنظيمية فى الوقت الذى لم تكن الوزارات فيه قد تأسست ولم يكن هناك كذلك مجلس للوزراء فكانت جميع الأنظمة التى تفكر فيها الدولة تحال الى المجلس لصياغتها أو دراستها واقرارها ، وأذكر أننى ذهبت إلى مجلس الشورى اكثر من مرة لمناقشة الأنظمة الاقتصادية التى وضعت لبعض الشركات العربية فى ذلك الوقت كشركة التوفير والاقتصاد وغيرها منتدبا من مجلس ادارة هذه الشركات وكانت مواد هذه الأنظمة تناقش بدقة كما كان يحال إلى المجلس الكثير من القضايا الإدارية وغيرها لدراستها وإبداء الرأى فيها ، وكان لرأى المجلس وزن كبير فيما يعرض عليه وخاصة فى

عهد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ولم يكن السيد صالح رحمه الله رئيسا عاديا ولكنه كان شخصية مؤثرة فالرجل طالب علم منذ نشأته وهو بحكم مركزه الاجتماعى من دعاة الإصلاح والتنظيم ، فلم يكن يكتفى بادارة جلسات المجلس وإنما كان يشارك فى المناقشات ويؤثر فيها بشخصيته القوية الحازمة فكان بعمله هذا يضفى على مناقشات المجلس حيوية دافقة تجعلها ذات قوة وتأثير (ولعل أستاذنا الكبير الشيخ أحمد ابراهيم الغزاوى النائب الثانى لرئاسة المجلس حاليا يحدثنا عن المجلس وتاريخه بحكم خبرته العملية الطويلة وخاصة عن ذكرياته فيه بكل معجب وطريف مد الله فى حياته وأسبغ عليه أثواب الصحة والعافية) .

إلغاء الكوشان

حينما سمح الملك عبدالعزيز بدخول السيارات إلى الحجاز لأول مرة فرضت الدولة رسما مقداره أربعة وثلاثون قرشا ذهبا « مايساوى ثلث الجنيه » للسفر الى مكة المكرمة ، ورسما آخر لعله يكون جنيهين للسفر إلى المدينة المنورة ـ وكنت ذكرت قبلا أن واردات الدولة قبل ظهور الزيت كانت تتألف من الجمارك ومن هذا الرسم الذى كان يسمى الكوشان والذى كان مفروضا على الأهالى كما كان مفروضا على الحجاج ـ ولعل كلمة الكوشان من أصل تركى تؤدى هذا المعنى ـ نقول إن هذا الرسم أو هذه الضريبة فرضت مع السماح بدخول السيارات الى المملكة واستعمالها فقد كانت ممنوعة فى العهد الهاشمى كما أسلفنا إذ كانت سياسة الشريف الحسين بن على تتلخص فى أن إدخال السيارات إلى البلاد تستنزف ثرواتها فهو يعتبر أن الجمل هو الوسيلة المثلى للنقل من الناحية الاقتصادية لأن البادية وهى تكون سواد الشعب إنما تعيش على الجمل فى حين أن السيارات تحتاج فى وقودها وصيانتها وإدارتها إلى الخارج وهو أمر يستنزف ثروات البلاد بينما أن

الجمل يحفظ ثروة الأمة داخل حدودها ، ولهذا فلم يكن فى العهد الهاشمى أى نوع من السيارات يسمح به باستثناء سيارة الملك نفسه ، قالوا وكان فى مكة المكرمة ثرى كبير اسمه السيت جان كندوانى وهو من أصل هندى وكان يرغب فى استيراد سيارة له فاستأذن الشريف الحسين فى ذلك فلم يجب عليه بشىء فظن أن سكوت الشريف معناه الموافقة فاستورد السيارة وحينما وصلت السيارة إلى مكة وأراد استعمالها تعرض له الصبية والسفهاء فقذفوها بالحجارة وأتلفوا بعض أجزائها ولما لم يجد من يعترض على هذا الأذى أدرك أن الشريف لم يوافق على استيراد السيارات ولن يوافق عليها وهكذا كان ونعود الآن إلى موضوع الكوشان فنذكر أن هذه الضريبة كانت مفروضة على السفر إلى كل من مكة والمدينة المنورة فلما تم توحيد المملكة كان بقاء هذه الضريبة رغم أهميتها للدولة لاختصاصها بالمدينتين المقدستين غير مستساغ ، قالوا وكان أول من طالب بإلغائها فى المدينة المنورة هو المرحوم الشيخ سعود دشيشة نائب المدينة المنورة فى مجلس الشورى حيث خاطب الملك عبدالعزيز بما معناه إنك ياطويل العمر قد وحدت هذه المملكة وآخيت بين الرعية فلماذا يدفع أهل المدينة ضريبة كلما أرادوا ان يعودوا إلى مدينتهم حينما يخرجون منها فرفع جلالته الضريبة عن أهل المدينة المنورة وفى الحال تقدم السيد صالح شطا الى جلالته قائلا إن نائب المدينة طلب إعفاء أهلها من الضريبة وانا أتقدم باسم أهالى مكة المكرمة لطلب إعفائهم منها وقد استجاب جلالة الملك عبدالعزيز لطلبه فألغيت هذه الضريبة أو الغى رسم الكوشان عن الأهالى وبقى مفروضا على الحجاج الى أن تم الغاؤه فى عام ١٣٧٠ هـ ، وهكذا أثبت السيد صالح شطا رحمه الله أنه كان رجل مكة المكرمة ونائبها بحق فلقد كان الرجل رغم مناصبه العظيمة يعيش مع الناس يتحسس آلامهم ويتفهم مشاكلهم وكانت داره مفتوحة لاستقبال الناس طيلة النهار وصدرا من الليل يفد إليها الوافدون لا

يصدهم عن لقائه حجاب وإنما يجدون صدرا رحبا ووجها كريما باشا وبساطة محببة .

لعمرك ليس الجود أن تطعم القرى
ولكنما وجه الكريم جواد

الطائف وعاصمة الدولة في الصيف

ومما يدخل فى هذا الباب عن تحسسات السيد صالح شطا رحمه الله نذكر ان الدولة كانت تنتقل إلى الطائف صيف كل عام بكامل أجهزتها طيلة عهد الملك عبدالعزيز رحمه الله وأوائل عهد الملك سعود وكانت عاصمة الدولة الرسمية فى مكة المكرمة فإذا حل الصيف انتقلت الدولة بكامل إدارتها إلى الطائف وكان أهل مكة المكرمة كما هو معلوم ترتبط مصالح الكثيرين منهم بأعمال الحج ، وشؤون الحجاج ، فإذا ما اقترب موسم الحج رغبوا فى العودة إلى مكة المكرمة لمباشرة أعمال الحجاج وكان الكثيرون منهم إلى جانب ارتباطهم بأعمال الحج والحجاج موظفين فى الدولة ولا يستطيعون العودة إلى مكة إلا إذا اذنت الدولة بذلك ، وكان الجميع مرتبطين بصاحب السمو الملكى الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك فى الحجاز جلالة الملك فيصل فيما بعد وكان الإذن بالعودة يتأخر فى كثير من الأوقات عن الوقت الذى يرغب فيه الموظفون وخاصة إذا تأخر الصيف واقترب الموسم وبدأت طلائع الحجاج فى القدوم فمنهم من يرغب فى استئجار البيوت اللازمة لحجاجه ومنهم من يرغب فى تأجير منزله على الحجاج ، والكثيرون منهم يرتبطون بعمل الحج بشكل من الأشكال وكان الشخص الوحيد الذى يتصدى لهذا الأمر هو المرحوم السيد صالح شطا فيتحدث إلى سمو النائب العام

فى الأمر ويستصدر الإذن بعودة الدوائر الرسمية الى مكة المكرمة بينما يبقى هو شخصيا بالطائف الى حين عودة سمو الأمير نفسه إليها ·

إمامة المسجد الحرام

قالوا وكان السيد صالح شطا يؤدى صلاة المغرب يوما فى المسجد الحرام فتأخر الإمام المرحوم الشيخ عبدالظاهر أبوالسمح، وكان يسكن بالصفا بجوار المسجد قبل إدخال هذه البيوت فى التوسعة الأولى فى المسجد الحرام ، ورأى السيد صالح أن تأخر الإمام قد زاد عن الحد الطبيعى فلم يكن منه إلا أن تقدم الى المحراب وأشار إلى المؤذن بإقامة الصلاة وصلى بالناس وكان الشيخ عبدالظاهر قد حضر بعد إقامة الصلاة فتقدم من السيد صالح شاكرا وداعيا له بالخير ·

هذه الحوادث البسيطة وأمثالها تدل على مدى شعور الرجل بالمسؤولية إزاء الناس سواء فى أمور دينهم أو دنياهم وهى تحسسات قد يشعر بها الكثيرون ولكنهم لا يملكون الشجاعة للتعبير عنها بالأسلوب العملى الذى يحل المشكلات ويرفع الضيق عن الصدور ·

تشجيع الكفاءات

ولقد لمست كما لمس غيرى فى السيد صالح رحمه الله تشجيعه للكفاءات وخاصة للشبان الذين لم تعرف أسماؤهم أو تظهر مواهبهم وأذكر لذلك حادثة او حادثتين وقعت معى شخصيا وأبدأ بالحادثة الثانية فلقد فوجئت يوما فى أوائل عهدى بالعمل التجارى أن دعيت لحضور إجتماع رسمى للبحث فى أمور العملة فى الطائف وكان هذا فى منتصف الستينات وذهبت إلى الطائف لحضور الاجتماع

وكنت فى عجب من دعوتى اليه بينما أننــى تاجر حديث وهناك من هم أكبر سنا وأعظم خبرة وأكثـر تجربة من أصحـاب الاسماء الكـبيرة والتقيت فى الطـائف بالصديق الأستاذ محمد عمر توفيق ـ معالى وزير المواصلات فيما بعد ـ وكان يعمل بديوان سمو النائب العام ولم أكتمه عجبى من اختيارى لحضور الاجتماع فقال لى أن السيد صالح شطا كان يتابع ما تكتبه من مقالات اقتصادية فى صوت الحجاز وهو الذى رشحك لدى سمو النائب العام لحضور هذا الاجتماع أمـا الحادثة الأولى فاذكر أننــى كتبت مرة بحثا عن النقد فى جريدة صوت الحجاز ونشر فى حلقتين او أكثـر أوضحت فيه رأيى فيما يجب أن يكون عليه النقد والصفات التى يجب أن يتحلى بها الناقد من علم تام بما ينقد ، ومن حيدة لا تؤثر فيها العواطف والأهواء وقلت فيما قلته إن الناقد هو قاض عادل يزن الأمور بميزان دقيق فيؤدى أمانـة النقد كاملة فيذكر ما له كما يذكر ما عليه وكنت يومها أصيف بالطائف ولم اشعر إلا والمرحوم السيد عبدالحميد الخطيب عضو مجلس الشورى والسفير السعودى فى باكستان فيما بعد ، يزورنى ويذكر لى ثناء السيد صالح رحمه الله وإعجابه بما قرأ وحديثه عن ذلك فى المجلس وحينما أعـود الآن بذكرياتى عن هذا الامر بعد ما مر بى من تجاريب الحياة يتمثل لى السيد صالح شطا وأمثاله من عظماء الرجال رجالا كبارا ، فلقد كان الرجل فى ذروة مجده رئيسا لمجلس الشورى وزعيما من زعماء مكة المكرمة بل من أكبر زعمائها وكنت أنا شابا فى بداية الطريق أعمل سكرتيرا لمعالى الشيخ محمد سرور وكان الفارق بينى وبينه كبيرا فى كل شيء ولكن هذه الفوارق على سعتها لم تمنع الرجل من التحدث بما استحسنه حتى وصل به الأمر إلى الأخذ بيدى إلى الظهور بينما أننى رأيت بعد ذلك من الناس الأعاجيب فى غمط حقوق الغير وطمس اثارهم وإظهار الحسنات بمظهر السيئات وهذه هى الصفة الغالبة على الناس بكل أسف لم ينج منها إلا كبار النفوس والعقول .

وهذا الذى فعله السيد صالح رحمه الله معى من المؤكد أنه فعل أمثاله مع الكثيرين غيرى ولعل من يقرأ هذه الحلقات يستطيع أن يضيف إلى ما اكتبه وما كتبته عن هؤلاء الأعلام الكثير من الأخبار والحوادث التى تجلو شخصياتهم وتبرز مآثرهم فما أحق هذا التاريخ أن يدون وأن يعرفه أبناؤنا وأحفادنا ليكون لهم قدوة تحتذى ومنارا به يهتدى .

محاضرات جمعية الإسعاف

كانت جمعية الإسعاف بمكة المكرمة تنظم محاضرات أسبوعية لتثقيف الجمهور وكانت تستدعى كبار العلماء والأدباء لإلقاء محاضراتهم فيما بعد صلاة العشاء من احدى ليالى الأسبوع وكان الإعلان عن هذه المحاضرات يتم بالنشر عن ذلك فى جريدة صوت الحجاز وفى لوحة ترفع أمام مبنى الجمعية الذى كان أمام الحميدية فى أجياد ـ وقد هدم هذا المبنى فيما بعد مع المبانى الكثيرة وأدخل ضمن التوسعة الأولى للمسجد الحرام وكان الناس يقبلون على سماع هذه المحاضرات بأعداد كبيرة مما يجعل الصالة المخصصة لذلك تضيق بالحاضرين وكان من أبرز المحاضرين فى جمعية الإسعاف السيد محمد شطا ـ مد الله فى حياته ـ وكانت محاضراته عن قصص القرآن وكان مبدعا فى القائه وتعبيره كما أن مبنى الجمعية شهد محاضرات دينيه كثيرة من فضيلة الشيخ بن حميد وسعادة الشيخ احمد ابراهيم الغزاوى وكان موضوع محاضرته ما نحن احوج اليه ، واذكر ان أطول محاضرة القيت فى الجمعية هى محاضرة المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة لأنها كانت عبارة عن مؤلف صغير استغرق عدة ساعات نقول وكان السيد صالح شطا من ابرز المحاضرين فى جمعية الاسعاف وكان الناس يحرصون ألا تفوتهم محاضراته لما عرف عنه من صراحة واخلاص وقد تم جمع القسم الاول من هذه المحاضرات وطبعت فى كتاب صدر منه جزء واحد باسم محاضرات الإسعاف .

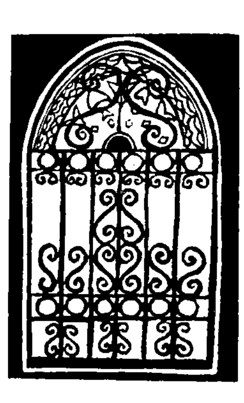
وفاة السيد صالح شطا

وكان موضوع محاضرته الأخيرة « الإسلام والدعوة القومية » وفى الليلة التى تحدد فيها إلقاء المحاضرة قبيل المغرب رن جرس التلفون فى مكتب الشيخ محمد سرور ورفع السماعة ثم وجم وجوما شديدا ثم قال الدوام لله فسألته ما الأمر قال : لقد ذهب السيد صالح إلى رحمة الله وساد المجلس وجوم وأسى فلم تكن الفجيعة فى فرد من الناس وإنما كانت فى رجل عظيم كبير ٠

ولم يكن خبر الوفاة قد أعلن فحضر الناس إلى جمعية الإسعاف للاستماع إلى السيد صالح شطا وهو يحاضر عن الدعوة القومية فى نظر الإسلام فأعلنت الجمعية للحاضرين وفاة السيد صالح شطا ثم ألقيت المحاضرة نيابة عنه وكان رأى السيد صالح رحمه الله كما هو متوقع أن الاسلام لا يعترف بالقومية فالمسلمون إخوة كأسنان المشط لا فضل لعربى على عجمى ولا أبيض على أحمر الا بالتقوى وهكذا كان مسك الختام للسيد صالح شطا رحمه الله دعوة بالقلم واللسان إلى الخير والإصلاح ٠

رحم الله السيد صالح شطا رحمة الأبرار فلقد كان من عظماء الرجال ٠






أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



الشيخ عباس يوسف قطان

الشيخ عباس يوسف قطان

متوسط القامة ، ممتلىء الجسم قمحى اللون واسع العينين يضع على عينيه نظارة طبية له لحية خفيفة كان يرتدى العباءة والعقال المقصب فى العهد الهاشمى ثم أصبح يرتدى العباءة والعقال العادى فى العهد السعودى .

ولد الشيخ عباس قطان بمكة المكرمة سنة ١٣١٣ هـ وتلقى تعليمه الابتدائى فى الكُتّابْ . والكتاب عبارة عن مدرسة صغيرة يتلقى فيها الأولاد مبادىء القراءة والكتابة على يد أحد المشايخ وبعد فترة قصيرة انتقل الى المدرسة الصولتية وهى من أوائل المدارس الخيرية الخاصة التى أنشئت بمكة المكرمة فى أوائل القرن الهجرى الرابع عشر من قبل بعض أثرياء الهنود المسلمين. وكانوا يتولون الإنفاق عليها وهى لا تزال قائمة حتى الآن وهى تقوم على تعليم العلوم الدينية وكان لها دور بارز فى هذا المجال وخاصة قبل انتشار المدارس الحكومية فى العهد السعودى ، وكان الشيخ يوسف قطان وهو من أثرياء مكة وأعيانها المعروفين قد عنى عناية خاصة بتعليم ابنه البكر الشيخ عباس قطان فكان يحضر له بعض المشايخ فى الدار لتجويد القرآن الكريم ولتلقى بعض دروس الفقه واللغة كما كان يرسله لحضور حلقات الدرس فى المسجد الحرام بين العشاءين فكان يحضر حلقات الدروس التى يعقدها علماء مكة المكرمة فى ذلك الزمان أصحاب الفضيلة الشيخ

عباس مالكى والشيخ سعيد يمانى والسيد المرزوقى والشيخ عمر باجنيد والشيخ عمر حمدان وجميعهم من أعلام العلماء فى مكة المكرمة فى النصف الأول من القرن الرابع عشر رحمهم الله وهكذا تزود الشيخ عباس قطان من العلم بقدر ما كان يسمح به الزمن الذى نشأ فيه .

وقد نشأ الشيخ عباس قطان فى ظل والده الشيخ يوسف قطان الذى كان من اكبر اعيان مكة المكرمة وأثريائها وكان وزيرا للنافعة - ووزارة النافعة هى وزارة الأشغال العامة - فى عهد الملك الشريف الحسين بن على كما كان على صلة تامة بأمراء مكة قبل ذلك ولقد قيل لى أنه هو الذى أشرف على بناء قصر شبرا فى الطائف للشريف على باشا أمير مكة الأسبق فى العهد العثمانى ، كما أنه كان من المقربين لجلالة المرحوم الملك عبدالعزيز بعد فتح الحجاز وقد زاره جلالته فى داره حينما مرض فهو اذا من أولئك الرجال الذين تظهر شخصياتهم فى مختلف العهود ، نقول ان الشيخ عباس قطان نشأ فى ظل والده الذى أسلفنا ذكره وكان هذا الوالد عظيم الثراء فلم يهيىء إبنه للوظائف الحكومية ولعله كان منشغلا بأعمال والده ولكنه على أى حال أصبح عضوا فى المجلس البلدى بمكة المكرمة فى أوائل العهد السعودى وفى عام ١٣٤٧ هـ عينه جلالة الملك عبدالعزيز أمينا للعاصمة - وكانت مكة المكرمة هى عاصمة الدولة منذ أوائل العهد السعودى واستمرت كذلك طيلة عهد الملك عبدالعزيز وفى عهد الملك سعود تم نقل العاصمة الى الرياض وأصبحت مكة المكرمة هى العاصمة المقدسة فيقال الآن عن رئيس بلدية مكة المكرمة أمين العاصمة المقدسة للتفريق بينها وبين العاصمة الرياض وقد استمر الشيخ عباس قطان أمينا للعاصمة بمكة المكرمة من عام ١٣٤٧ هـ إلى نهاية عام ١٣٦٤ هـ وبعدها عين عضوا فى مجلس الشورى إلا أنه طلب من جلالة الملك عبدالعزيز إعفاءه من هذا العمل حيث كان راغبا فى التفرغ للأعمال الخيرية التى كان ينوى القيام بها .

ولقد كان الشيخ عباس قطان موضع ثقة جلالة الملك عبدالعزيز فكان يكلفه بمهام الأمور فى عهد رئاسته لأمانة العاصمة فحينما انتهت امارة الأمير عبدالعزيز إبن إبراهيم على المدينة المنورة كلف جلالته الشيخ عباس قطان بالسفر إلى المدينة المنورة وتصريف شؤونها إلى حين تولى الأمير عبدالله السديرى إمارة المدينة المنورة ، كما كان يعهد إليه بالعمل فى بعض الأمور التى تطرأ والتى يرغب جلالته اتخاذ إجراء معين فيها ، وكانت دار الشيخ عباس قطان فى مكة المكرمة وفى الطائف أيام الصيف مفتوحة للناس تغص بروادها من أهل العلم والفضل ومن الضيوف الذين كانت تنصب لهم الموائد صباح مساء وكانت هذه الدار تستقبل الضيوف من كبار الحجاج فى موسم الحج ، من كل عام وحينما قدم الدكتور محمد حسين هيكل باشا الكاتب المصرى المعروف ورئيس مجلس الشيوخ المصرى إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج نزل بدار الشيخ عباس قطان بمكة المكرمة بالشامية وفى هذه الرحلة رغب التعرف على آثار مكة ومعالمها فطلب من الشيخ عباس قطان أن يختار له مرافقا ملما بهذه الآثار فاختار له المرحوم الشيخ عبدالحميد حديدى العضو بأمانة العاصمة ومن أبرز رجالات مكة العارفين بتاريخها وآثارها وقد صحب الشيخ عبدالحميد رحمه الله الدكتور محمد حسين هيكل إلى زيارة آثار مكة المكرمة ومن أبرزها غار حراء وقد كتب الدكتور هيكل عن ذلك بالتفصيل فى كتابه المشهور فى منزل الوحى الذى الفه بعد كتابه « حياة محمد » ﷺ ومما أذكره عن رحلة الدكتور هيكل هذه إلى مكة المكرمة أنه كان أحد الخطباء فى الحفل الذى كان يقيمه شباب مكة وأدباؤها فى كل عام فى منى فى أيام التشريق ولم يكن قد أعد نفسه للخطابة ولكنه استجاب للطلب وألقى خطابا جيدا فى ذلك الحفل نشرته جريدة صوت الحجاز فيما بعد وأشرف على تصحيحه الشاعر والكاتب الكبير الأستاذ محمد حسن فقى بطلب من الدكتور هيكل نفسه كما علمت منه فى ذلك الزمان •

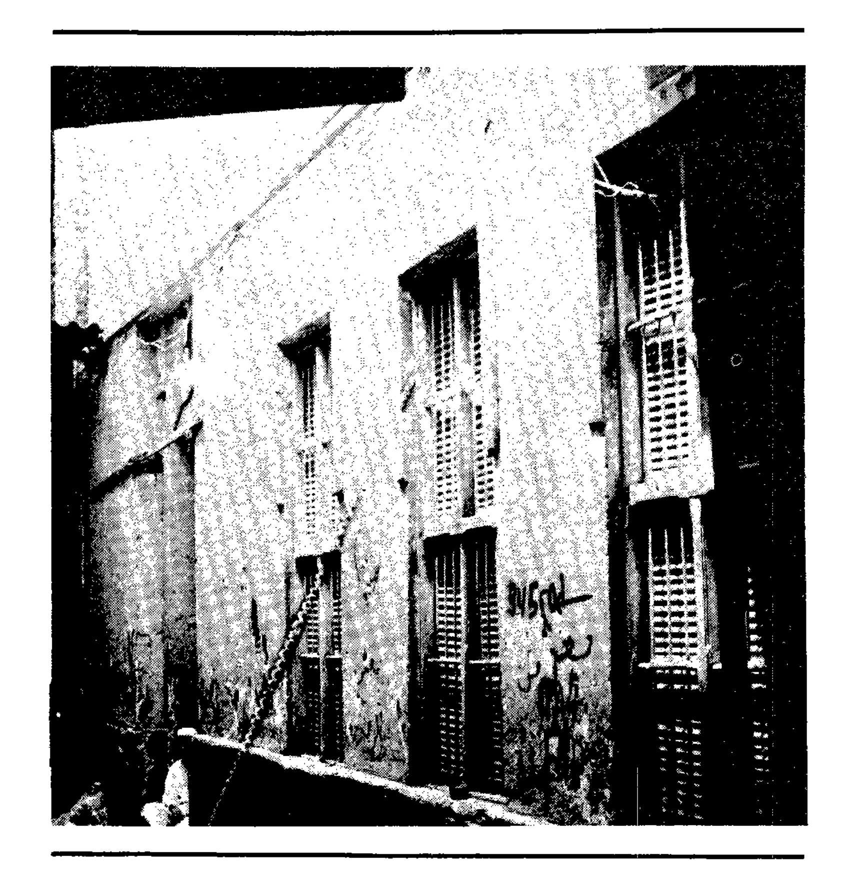
مَـوْلِـدُ النَّـبِيّ ﷺ

ولد النبى صلى الله عليه وسلم بمحلة شعب على المعروفة بمكة المكرمة والتى تسمى فى الوقت الحاضر سوق الليل وكان الشيخ عباس قطان يتمنى أن يقيم فى هذا المكان مكتبة عامة واتفق مع اصهاره آل الكردى أن يشترى منهم مكتبة المرحوم الشيخ ماجد كردى الشهيرة بالمكتبة الماجدية وهى من أثمن المكتبات الخاصة وينقل محتوياتها إلى هذه الدار صيانة للموضع الذى ولد فيه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه من أن يبقى معرضا للاهمال وتكريما له باقامة عمل نافع للناس فيه ، وكانت العقبات التى واجهها الشيخ عباس قطان لتحقيق هذه الأمنية الكبيرة كثيرة ولكنه استمر فى محاولاته تلك دون كلل أو ملل فاستطاع بعد سنوات طويلة من الصبر وتصيد الفرص المناسبة أن يحظى بموافقة جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز للسماح له باقامة المبنى الذى يريد وما أن حصل على الإذن من جلالته بإقامة المبنى حتى سارع باتخاذ الاجراءات اللازمة لذلك عام ١٣٧٠ هـ وكان يشرف على البناء بنفسه فى كل يوم راغبا فى سرعة إنجازه وتحقيق الأمنية التى كان ينشدها برؤية المكتبة العامة مشيدة فى موضع مولد النبى صلى الله عليه وسلم وفى يوم من أيام شهر رجب ١٣٧٠ هـ ذهب كعادته لرؤية العمارة مصطحبا بعض أصدقائه ولكنه شعر بألم مفاجىء وهو واقف فى الموقع فقد فاجأته نوبة قلبية حادة فأمسك به الحاضرون من أبنائه واصدقائه واستدعى له أحد الأطباء ثم نقل إلى بيته وفى اليوم التالى فارق الحياة فكانت هذه العمارة التى تمنى أن ينشئها هى الخاتمة السعيدة لحياته ولقد قام أبناؤه من بعده بإكمال العمل الطيب الذى بدأه والدهم العظيم كما نقلوا إليها المكتبة الماجدية وسلمت إلى وزارة الحج والأوقاف وهى مفتوحة للجميع .



موضع مولد النبى ﷺ





موقع بيت السيده خديجه رضى الله عنها



دَارالسَيّدة خَديجَة

حينما تزوج النبى ﷺ أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد كان يسكن فى منزلها فى زقاق الحجر المعروف بزقاق الصَّوَغ وفى هذا المنزل نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ وفيه ولدت السيدة خديجة رضوان الله عليها أولاد النبى صلى الله عليه وسلم من ذكور وإناث وبعد وفاة السيده خديجة رضوان الله عليها استمر النبى ﷺ ساكنا هذه الدار الى حين هجرته إلى المدينة المنورة فأخذ الدار عقيل بن أبى طالب رضى الله عنه وباعها إلى الخليفة الأموى معاوية بن أبى سفيان فجعلها مسجدا[1] ، ولقد عدت على هذه الدار عوادى الزمن فأصبحت خرابا وكان الشيخ عباس قطان قبل وفاته قد استأذن من جلالة الملك عبدالعزيز فى إنشاء مدرسة لتحفيظ القرآن فى هذا المكان الذى نزل فيه القرآن والذى كان مسكنا لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه لسنوات طويلة وكما حصل على الإذن ببناء موضع ولادته صلى الله عليه وسلم حصل على الإذن بتشييد المدرسة المطلوبة فى دار السيدة خديجة والتى أصبحت تسمى أخيرا (مولد السيدة فاطمة) نسبة الى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، وقد باشر الشيخ عباس قطان عمارة هذا المكان عام ١٣٦٨ هـ مبتدئا به قبل عمارة مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وحينما توفى أكمل أبناؤه من بعده إتمام العمارة المذكوره وسلمت إلى وزارة المعارف لافتتاحها للغرض الذى بنيت من أجله وقد تم افتتاح المدرسة لهذه الغاية وهى مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ولا تزال باقية حتى اليوم • إن هذا العمل العظيم الذى قام به المرحوم الشيخ عباس قطان هو من الأعمال الجليلة دون شك فعلاوة على ما بذله من المال

---

(١) ملخصا عن كتب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم لمؤلفه الشيخ محمد طاهر الكردى •

فى تشييد المكتبة والمدرسة وافتتاحهما للإفادة منهما فإنه صان بذلك المكان الذى ولد فيه النبى ﷺ كما صان المكان الذى نزل فيه القرآن على قلبه صلوات الله وسلامه عليه ، ولقد كانت محاولة الحصول على الاذن ببناء هذين المكانين فى حد ذاتها تتسم بالإخلاص والشجاعة لأن بعض الناس كانوا يتخذون من بعض الأماكن الكريمة مقرا للشعوذه والضحك على بسطاء العقول وخاصة من الحجاج والجهلة ولقد أدركت الناس فى جدة فى العهد الهاشمى وهم يتخذون من مقبرة حواء مكانا للشعوذة ويدخل إليها الحجاج للتبرك ويستدرون منهم الأموال بهذه الوسيلة ولست أشك أن جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله كان يعرف أولا إخلاص الشيخ عباس قطان وصفاء عقيدته ولهذا سمح له باقامة المدرسة والمكتبة فى المكانين المشار اليهما ولم يكن من السهل على غير الشيخ عباس قطان فى ذلك الزمن الوصول إلى ما وصل اليه وقد أعانه الله على ذلك فكانت له هذه الحسنة الجارية فى بلد الله الأمين تقبل الله منه وجزاه أفضل الجزاء .

القرى لقاصد أم القرى

ومما يذكر للشيخ عباس قطان رحمه الله انه قام على طبع القرى لقاصد أم القرى لمؤلفه محب الدين الطبرى وهو كتاب جليل فى تاريخ مكة المكرمة فكلف بعض النساخين بنسخ أصل الكتاب المذكور وطبع منه ألفى نسخة على نفقته الخاصة قام بإهدائها إلى العلماء والأدباء وإلى أصدقائه من محبى المعرفة والاطلاع وهى مأثرة حسنة تضاف إلى مآثره الكثيرة .

إصلاح ذات البين

حينما كنت آقيم بمكة المكرمة فى الفترة ما بين ١٣٥٥ ـ ١٣٦٤ هجرية كان الشيخ عباس قطان مشهورا بإصلاح ذات البين وكان يتحرى الاصلاح بين

العائلات التى يطول بينها الجفاء أو يستقر بينها العداء أو الأفراد الذين تشتد بينهم البغضاء فتقطع أواصر المودة ويحل الكره محل الحب ولقد كان قضاة مكة يحيلون إليه من القضايا التى تعرض عليهم ما يرون أن من المصلحة تدخله فيها حفظا لصلة الرحم وحسن الجوار وكان الشيخ عباس قطان رحمه الله يبذل جهده ووقته للإصلاح ما وسعه ذلك مستعينا بمن يتوسم فيهم الخير من الرجال لتحقيق هذه الغاية باذلا فى ذلك جاهه وماله وربما اقتضى الأمر مراجعة المسؤولين فى دوائر الحكومة لتذليل العقبات التى تعترض سبيله حتى إذا أثمر سعيه جمع المتخاصمين فى داره المضيافة على مائدة العشاء أو الغداء مع من إشترك معه فى الاصلاح ليذهبوا فى اليوم التالى إلى المحكمة فيطلبون من القضاة إلغاء القضايا التى كانوا يقيمونها معلنين تصالحهم وتراضيهم ولاشك أن هذا العمل من أجل الأعمال التى لا يقوم بها إلا أولئك الرجال الكبار الذين اتسعت صدورهم لمشاكل الناس فرأبوا الصدع وأقاموا المودة مقام العداوة وسعدوا بما رأوا من ثمار سعيهم الطيب بين الناس .

وفـــاتـــه

لقد ذكرت أن الشيخ عباس قطان فاجأه المرض وهو يقف على العمارة التى أنشأها فى مولد النبى ﷺ وقد توفى فى اليوم التالى بداره بالشامية صباح الاثنين ١٦ رجب ١٣٧٠ هـ عن عمر يناهز الثانية والخمسين عاما بعد حياة قضاها فى العمل الطيب تغمده الله برحماته الواسعة وأحسن جزاءه فى دار الخلود .





عبدالله محمد باحمدين

عبدالله محمد باحمدين

قصير القامة ممتلىء الجسم أسمر اللون واسع الجبهة نظراته تشع ذكاء وفطنة يضع على عينيه نظارة ذهبية ويرتدى العباءة العربية بينما يعمم رأسه بعمامة ملفوفة على الطريقة الحجازية ـ وهذه العمائم يستعمل فيها الشال البغدادى وهو من صناعة حلب ـ ولد بمكة المكرمة فى عام ١٣٢٩ هجرية وتعلم بمدارسها ثم تعلم اللغة الانكليزية على يد بعض أساتذتها من الهنود بمكة المكرمة كذلك ، وكان المتكلمون بهذه اللغة فى مكة بالذات من أبناء البلاد ندرة قليلة تعد على الأصابع ٠

وتوفى والده وهو شاب وكان يعمل فى متجر أبيه بالجودرية واراد الشاب عبدالله باحمدين أن يجمع شمل الأسرة وأن يبقى المتجر الذى أسسه والدهم مفتوحا يعمل فيه الجميع ، ولكن إخوته لم يوافقوا على هذا الرأى واقتسموا الثروة التى تركها والدهم وانفرد كل منهم بعمله الخاص ، ورأى عبدالله باحمدين نفسه وحيدا ولم يكن نصيبه القليل من تركة أبيه كافيا لتحقيق طموحاته الكبيرة حدثنى عن هذه الفترة من حياته ، قال كنت قد اشتريت سيارة لاستعمالى الشخصى وكانت السيارة تحتاج الى سائق وإلى مصاريف للوقود فتركتها مخزونة بضع شهور لأنى لم أكن قادرا على توفير ما يلزم لها من منصرفات ٠

وانكب الشاب عبدالله باحمدين على العمل فى المتجر الذى أسسه لنفسه وأخذ يواصل عمل أبيه فى استيراد الأقمشة وما إليها ولكن طموحه كان أعظم من هذا العمل الروتينى المحدود فما أكثر حوانيت الأقمشة من حوله وما أكثر مستورديها ، إنه يفكر فى أعمال كثيرة تحتاج اليها مكة المكرمة ولم يقدم عليها أحد بعد وهكذا فكر عبدالله باحمدين رحمه الله فى صناعة الثلج ٠

مَصْنع الثّلج

كان هناك مصنع وحيد للثلج فى مكة المكرمة أسسه رجل سورى إسمه الحاج نسيم واشترك معه فى تأسيسه من الناحية المالية بعض أهالى مكة وكان عبدالله باحمدين واحدا من هؤلاء المساهمين ولست أدرى أن كانت هذه المساهمة من عهد والده وأرجح انها كانت كذلك المهم فى الأمر ان عبدالله باحمدين وجد نفسه فى المجال الذى يرغب والذى يعلم أنه الأصلح لمواهبه والألزم لبلاده ولم يكن عبدالله باحمدين راضيا عن شركة الثلج بأوضاعها تلك ففكر فى استيراد مصنع خاص للثلج يديره هو ، وكانت مكة مفتقرة إلى أكثر من مصنع فالبلد شديد الحرارة والجو الحار يبقى أكثر من سبعة شهور فى العام ولم تكن هناك الكهرباء ولا الثلاجات ـ فكانت الحاجة إلى الثلج تستمر طيلة العام وتزداد فى موسم الحج وهكذا أقدم عبدالله باحمدين على الدخول فى مضمار العمل الصناعى وهو فى مطلع شبابه فاستورد لنفسه مصنعا كبيرا للثلج واختار له مكانا مناسبا فى منطقة المعلاة بجوار مقبرة المعلاة ، ولقد استطاع التغلب على المشاكل الفنية التى واجهته فى استيراد المصنع ونقله إلى مكة ثم تركيبه وإدارته ولقد علمت أنه كان يشرف على كل صغيرة وكبيرة أثناء تركيب المصنع الذى تم بواسطة فنيين محليين ويشارك فى تذليل الصعاب التى تعترض إتمام هذا العمل حتى أنه قضى ما يقرب

من يوم وليلة فى مقر المصنع منهمكا فى العمل ناسيا أنه لم يطعم ولم ينم حتى تم إنجاز العمل ورأى الآلات تدور ، وهذا التصميم إن دل على شيء فانما يدل على العزيمة القوية والإرادة العظيمة لتحقيق النجاح مهما كانت المصاعب والعقبات ·

الشركة العربية للتوفير والاقتصاد

لم يكتف عبدالله باحمدين بما حققه لنفسه من تأسيس مصنع كبير للثلج يسد حاجة مكة المكرمة فى ذلك الوقت أو معظم احتياجاتها من الثلج فلقد كان رجلا واسع الطموح ، عظيم الهمة وكان يرى أن بلاده مفتقرة إلى الكثير الذى يمكن تحقيقه من الأعمال الجديدة وخاصة ما يتعلق بالصناعة ولكن إمكانياته المادية لم تكن لتساعده على تحقيق ما يريد ، وكان عضوا فى مجلس إدارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة ثم أصبح رئيسا لمجلس إدارة الشركة وأخيرا عهد اليه بإدارة أعمال الشركة المذكورة فوجد المجال أمامه مفتوحا لتحقيق بعض طموحاته فى هذه الشركة الفتية فقام بشراء باخرتين صغيرتين للشركة وأخذ يسيرهما بين موانىء البحر الأحمر وخاصة بين موانىء جدة والحديدة ، ولقد شهدت الرجل يتنقل بين مكة وجدة كلما وردت هذه البواخر أو إحداهما ليهيىء لرحلتها القادمه مستخدما كل جهده وتفكيره فى إنجاح هذا العمل الجرىء ، ولقد علمت أن معالى الشيخ عبدالله السليمان وزير المالية حين ذاك قدر هذا العمل لمدير عام الشركة العربية للتوفير والاقتصاد وأبدى له من صنوف التشجيع ما جعله مطمئنا إلى الاستمرار فى العمل فليس سرا أن عملا من هذا النوع معرض للخسارة أكثر مما هو معرض للربح وفى الأوقات المعتادة تضمن الحكومات لشركات البواخر نسبة معنة من الأرباح للإبقاء على الاتصالات البحرية بين

بلادها والبلاد الأخرى حاملة للبضائع والركاب فالموضوع له أهمية اقتصادية عظيمة للدول ولقد افتتح عبدالله باحمدين فرعا فى جدة لمواجهة أعمال البواخر والاشراف عليها من قريب وبقيت هذه البواخر تمخر عباب البحر الأحمر طيلة المدة التى قضاها عبدالله باحمدين على قيد هذه الحياة ٠

مَصْنع النسيج

وكان لشركة التوفير والاقتصاد مصنع صغير للنسيج فقام عبدالله باحمدين بادخال التحسينات عليه وهو مصنع يدوى على الطريقة القديمة ولقد رأيت الصناع من الشباب السعودى يعملون على هذه الأنوال اليدوية وينتجون بعض الأقمشة وكان هذا فى أيام الحرب العالمية الثانية وأذكر أننى كنت فى القاهرة وكان عبدالله باحمدين هناك وكنا جميعا فى مجلس الشيخ محمد سرور الصبان ـ رحمه الله ـ بداره بمصر الجديدة وكان يحضر المجلس أحد كبار أصحاب مصانع النسيج من أصدقاء الشيخ محمد سرور فجاء ذكر مصنع الشركة العربية للتوفير والاقتصاد فاقترح معالى الشيخ محمد سرور أن يقوم عبدالله باحمدين وأنا بزيارة مصانع الغزل الذهبية التى أسسها الرجل الحاضر معنا بالمجلس وحدد لنا الرجل فى الحال موعدا فى اليوم التالى وذهبنا إلى هناك فرأينا الآلات الميكانيكيه تنتج الأقمشة المتنوعة فى سرعة وإتقان وجمال وخرجنا من المصنع ونحن ممتلئون إعجابا بما رأينا ، وتحدثنا فى الأمر فاتفق الرأى على أن مصر تزرع القطن ولديها مصانع الغزل التى تحول القطن إلى خيوط ومن ثم يمكن لمصانع النسيج أن تستعمل هذه الخيوط فى نسج الاقمشة وإنتاجها ، ونحن فى بلادنا نحتاج إلى استيراد كل شيء ، استيراد خيوط الغزل من الخارج ثم نسجها إذا أردنا استيراد مصانع للنسيج مثل تلك التى شاهدناها ، وكان السؤال الذى يدور فى رؤوسنا

أيهما أجدى اقتصاديا هل هو استيراد خيوط الغزل ونسجها فى البلاد أم استيراد القماش منسوجا وجاهزا ؟ وهل تستطيع الصناعة المحلية الناشئة مزاحمة السيل المتدفق من الصناعة الخارجية من جميع أنحاء العالم ، هذا هو السؤال الذى كان يدور فى أذهاننا بعد مشاهدة هذا المصنع الميكانيكى للنسيج ويبدو أنه كان هاما ولايزال ليس لصناعة النسيج فحسب ولكن لأى صناعة يراد إدخالها إلى البلاد ولهذا فإن وزارة الصناعة تطالب قبل إصدار ترخيص بأى صناعة جديدة تطالب بدراسة للجدوى الاقتصادية وتقوم الوزارة نفسها بالدراسات للصناعات المختلفة قبل اتخاذ قرار بشأنها وهى الطريقة المثلى لإقامة الصناعات على أسس سليمة قوية حتى لا تتعرض للتعثر والانهيار .

المحافظة العربية

فى أيام الحرب العالمية الثانية حدث نقص فى أشياء كثيرة كما يحدث فى أيام الحروب وكان بمستودع الشركة العربية للطبع والنشر التى تطبع فيها جريدة صوت الحجاز فى ذلك الزمان كميات من الورق على اختلاف أنواعه . وكانت الشركة تعانى من الخسارة وعلم عبدالله باحمدين بالأمر فقال ليس من المعقول أن تخسر الشركة وفى مستودعاتها الورق المعدوم فى الأسواق والذى يحتاج إليه الناس وطلب الاطلاع على قائمة البضائع الموجودة بالمستودعات وما أن إطلع عليها حتى أبدى استعداده لشرائها وقد دفع فيها ثمنا يبلغ أربعة أضعاف الثمن المقدر لها فى ذلك الوقت.وتمت الصفقة وكنت أتوقع أن يقوم بعمل عادى مثل تصنيع الورق إلى دفاتر للكتابة وبيعه فى الأسواق ولكنه فاجأنى كما فاجأ الناس جميعا بشىء لم يكن فى الحسبان ، كانت فى مستودعات الشركة كميات كبيرة من الورق المتين الذى يصلح لغلافات الكتب.وكانت الشركة فيما

مضى تمارس طبع بعض الكتب المدرسية ثم توقفت عن ذلك وبقى هذا الورق بمستودعاتها كميات مهملة لا يستفاد منها ، أقول أن عبدالله باحمدين فاجأنى باستخراج هذا الورق وقصه وتقسيمه الى ملفات لحفظ الأوراق مثل الملفات - (الدوسيهات) التى كانت ترد إلينا من الخارج والتى كانت معدومة فى الأسواق تماما ، وطبع على هذه الملفات كلمة (الحافظة العربية) ولم يكتف بهذا فأحضر إلى مقر المطبعة بعض السماكرة الذين كانت دكاكينهم مجاورة لها بالشامية - وأطلعهم على الحدايد التى تمسك الأوراق التى توضع فى الملفات واشترك معهم فى ترتيب الصنع وما هى إلا أيام حتى كان السماكرة الوطنيون قد صنعوا هذه الحدايد وخرجت الحافظة العربية ملفا كاملا لا أغالى إذا قلت أنه كان يمتاز على الملفات الخارجية بجودة الورق وجمال الطبع • وأذكر أن وزارة المالية اشترت كل ما أنتجه عبدالله باحمدين من هذه الملفات لأن الدوائر الحكومية كانت تفتقر إليها • أن الورق كان موجودا فى مخازن الشركة ولكن المسؤولين عنها كانوا يعتبرونه كمية مهملة وقد استطاع عبدالله باحمدين بفكره النير أن يحول هذه الكمية المهملة إلى عمل نافع يسد به حاجة البلاد فى ذلك الوقت العصيب ، ومن هنا تظهر إتجاهاته الفكرية التى تدل على ذهن متفتح يبحث دائما عن الجديد والمفيد[1] •

مكائن الكهرباء

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أدخل عبدالله باحمدين تطورا ملموسا على تجارته أو على الأصح حاول إدخال تطور مفيد فى التجارة فى مكة المكرمة فلقد كان من أوائل الناس الذين قاموا باستيراد المكائن الزراعية ومكائن الانارة -

(١) بعد نشر هذه الحلقة اتصل بنا كثير من اصدقاء المرحوم عبدالله باحمدين مشيرين الى مصنع الحلاوة الطحينية الذى اسسه عبدالله باحمدين فوجبت الاشارة الى ذلك ••

المجموعات الكهربائية ـ فى مكة المكرمة وبذلك يسر على الناس إنارة بيوتهم أو محلاتهم التجارية ، وإنى لأذكر مدينة جدة والإنارة الكهربائية مقتصرة فيها على بيوت السفارات ولم يكن فى مدينة جدة كلها مكينة كهربائية إلا فى بيت الشيخ محمد نور جوخدار. وكان من أوائل المواطنين الذين أدخلوا الكهرباء إلى بيوتهم وأذكر أن الحاج عبدالله على رضا حينما احتفل بزواج ابنه ـ معالى الشيخ محمد عبدالله رضا ـ وزير التجارة الاسبق ـ قام الشيخ محمد نور جوخدار بمد النور الكهربائى من منزله إلى منزل الحاج عبدالله على رضا لهذه الغاية كما أن آل قابل كانوا من أوائل الناس الذين أدخلوا الكهرباء لا إلى منزلهم فحسب وإنما قاموا بإنارة شارع قابل المعروف باسمهم حاليا وزودوا كل دكان بمصباح للإضاءة ومروحة كهربائية.وكان هذا العمل فى ذلك الوقت يعتبر فتحا جديدا لأنه أتاح الانارة الكهربائية والتهوية لشارع كامل.وبهذه المناسبة فإن هذا الشارع كان قد قام بتعميره الشريف الملك الحسين بن على ابان العهد الهاشمى الأول وفى عهد الملك على بن الحسين اشتراه آل قابل من الحكومة ومن الملك على شخصيا رحمه الله لأنه كان محتاجا إلى المال والتموين لصرف أغذية ومرتبات الجنود أثناء الحصار الذى كان مضروبا على مدينة جدة خلال الحرب الهاشمية السعودية .

نعود الآن إلى المرحوم عبدالله باحمدين فنقول إنه بعمله هذا فى إدخال التطور الحضارى على تجارة مكة المكرمة فقد يسر للراغبين الحصول على المكائن الكهربائيه لإنارة بيوتهم ومحلاتهم بما يتبع هذه الإنارة من تهوية وتبريد وأنى لأذكر أن هذه التجارة كانت محصورة فى أيدى البيوت التجارية الأجنبية فإذا رغب المرء فى شراء مكينة كهربائية ذهب إلى أحد هذه البيوت التجارية وطلب مترجما للدخول على المدير الانجليزى وبعد شرح الطلب يدفع معظم القيمة التى

يحددها هذا المدير وهى عادة كبيرة ومبالغ فيها ثم ينتظر بضعة شهور حتى ترد الماكينة فتسلم له أوراقها لإخراجها من الجمارك ثم يبحث عن مهندس لتركيبها واذا كان هذا الأمر يتم بهذه الصعوبات فى مدينة جدة التى يكثر فيها الأجانب ويكثر فيها الفنيون والمتكلمون باللغة الانجليزية فإن الأمر بالنسبة لمكة المكرمة أكثر صعوبة دون شك ، ولهذا فإن النظرة إلى هؤلاء الرجال الذين اتجهوا بتجاراتهم إلى توفير الوسائل الحضارية للناس يجب أن تكون نظرة تقدير وإكبار وخاصة فى ذلك الزمن السحيق •

رحلته إلى أمريكا

انتهت الحرب العالمية الثانية وقبيل انتهائها قام عبدالله باحمدين رحمه الله برحلته الأولى إلى امريكا وأراد الله أن أقوم برحلة بعده مباشرة إلى هناك وكانت السفارة السعودية فى واشنطن قد قامت مشكورة باختيار مرافق لى فى هذه الرحلة وكان هذا هو نفس الرجل الذى رافق عبدالله باحمدين أثناء زيارته للولايات المتحدة ، وحدثنى الرجل عن انطباعاته عنه بعد مرافقته بضع أسابيع ، قال كان عبدالله باحمدين مهتما باستيراد قطع الغيار ولكنه لم يكن يتصل بالبائعين وإنما يحاول الوصول إلى الصناع الذين يمونون البائعين بإنتاجهم ولقد سمعت أحد رؤساء الشركات الأمريكان يثنى عليه ويقول له إنك نمط فريد من الرجال الذين يزورون هذه البلاد من الشرق الأوسط أحدثك عن البيع فتحدثنى عن الصنع ، وهذه الحوادث وأمثالها تظهر طريقة تفكير الرجل كما تكشف عن تطلعاته •

مصانع باحمدين

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية أتيح لعبدالله باحمدين أن يحقق بعض طموحاته فحصل على أرض كبيرة خارج مكة المكرمة وأنشأ عليها مصانع

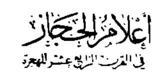
باحمدين ، هذه الأرض أقامت عليها الدولة فندق مكة انتركونتنتال وهدمت مبانى مصانع باحمدين بعد شراء الدولة لها لإقامة هذا المبنى عليها ، والذى كان الغرض منه أن يكون مبنى للمؤتمرات الدولية ثم تحول إلى فندق كما هو عليه الحال الآن • نقول أقام عبدالله باحمدين على هذه الأرض مصانعه أو على الأصح النواة الأولى لهذه المصانع فأنشأ عليها مصنعا كبيرا للثلج ومصنعا كبيرا للنجارة كذلك وورشة ميكانيكية ، وكان قد بدأ النواة الأولى لتأسيس عمله العقارى بشراء أرض فى مدخل مكة المكرمة وإقامة فيلات صغيرة عليها ثم بيعها للراغبين وقد أنشأ فعلا فيلا بمدخل مكة المكرمة اشتراها فيما بعد المرحوم الشيخ ضياء الدين رجب من ورثته كما أسس فيلا أخرى أمام المصانع وقد بيعت لأحد المواطنين حين بيع المصانع •

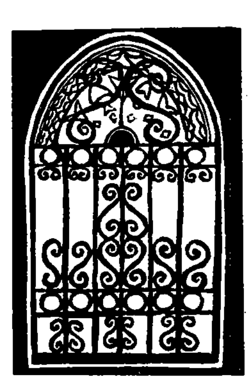
وفاة عبدالله باحمدين

كان عبدالله باحمدين يفكر فى أشياء كثيرة ويعمل لأشياء كثيرة وكان منكبا على عمله فى متجره وفى مصانعه وفى الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بجهد عظيم فلقد كان من الرجال الذين يحبون العمل ويتفانون فيه حتى أنه كان يقضى كل نهاره فى مكتبه ومتجره متناولا غداءه وربما عشاءه فى مقر العمل ولا يعود الى داره إلا بعد صدر من الليل وفى يوم من ايام رمضان عام ١٣٦٩ هجريه شعر بتأثر فى صحته فلم يستسلم للراحة أو يستدعى الطبيب وظن انه مرض عارض لا يلبث ان يزول وذهب إلى المسجد الحرام للافطار هناك وصلاة المغرب جماعة كما تعود وطاف بالبيت وصلى المغرب وعاد الى داره وبعد الإفطار شعر بأعراض المرض ولكن النوبة القلبية التى داهمته كانت شديدة فأسلم

الروح وانطفأ كما ينطفىء المصباح وهو أكثر ما يكون حيوية وأعظم ما يكون نشاطا وأشد ما يكون طموحا نعم اختطف الموت عبدالله باحمدين وهو فى عنفوان رجولته إذ كان عمره حوالى الأربعين ولكن للقدر أحكامه وللخالق حكمته فتوفى مبكيا عليه من كل من عرفه من الناس وما أكثرهم ودفن فى اليوم التالى بمقبرة المعلاه وظلت الصحافه تنشر للكتاب من أصدقائه مرثياتهم له وذكرياتهم عنه رحمه الله رحمة الأبرار فلقد كان طلعة بين من عرفت من الرجال فى ذلك الزمان ·




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ عبدالرؤوف جمجوم

ولد الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بمدينة جدة عام ١٢٩٩ هـ وكان أبوه الشيخ عبدالعزيز جمجوم قد ورث عن والده الشيخ صلاح جمجوم تجارة واسعة وكان بيت الجمجوم معروفا بمركزه التجارى الكبير فى مدينة جدة فى ذلك الزمان وتعلم الشاب عبدالرؤوف جمجوم الكتابة والقراءة والعلوم الدينية على أيدى أساتذة عصره وكان جميل الخط جيد الحساب وبعد اكمال تعليمه عمل فى بيتهم التجارى إلى أن توفى والده وهو فى سن الشباب وكانت وفاة الوالد كارثة على الشاب وإخوته من آل الجمجوم مما اضطر الشاب عبدالرؤوف إلى العمل كاتبا لدى التجار بعد أن كان لأسرته بيت تجارى مرموق ، وكانت العائلة التى يتكون منها آل الجمجوم كبيرة وتحتاج الى مصرف كبير فعمل الشاب عبدالرؤوف وكان كما قلنا حسن الكتابة جيد الحساب عمل لدى أربعة من التجار فى وقت واحد فكان يعمل لدى الحاج على لطيفه ، جد معالى الشيخ محمد عبدالله رضا ـ وزير التجارة الأسبق لوالدته ـ ولدى الشيخ عبدالله الصغير التلمسانى ، سبقت الترجمة له فى إحدى الحلقات السابقة ، ولدى الشيخ على شبكشى والد الأستاذ عبدالمجيد شبكشى واخوانه ، ولدى التاجر صديق ميرخان وكان يقسم أوقاته فى العمل لدى هؤلاء التجار الأربعة من الصباح إلى ما قبل منتصف الليل وكان فى

نفس الوقت يشترى الغاز بالجملة حيث يقوم أخوه الشيخ محمد صالح جمجوم على بيعه بالتفرقة فى بيتهم التجارى كما كان يقوم بأعمال الدلالة بين التجار وهكذا وجد الشاب عبد الرؤوف نفسه ملزما بالعمل المتواصل من الصباح الباكر إلى منتصف الليل ليقوم بالإنفاق على هذه العائلة الكبيرة التى تركها أبوه ولتربية اخوته وتعليمهم ولقد استمر على هذه الحال ثلاث سنوات ثم تولى العمل وكيلا لتجار مكة المكرمة بالدلالة يقوم بشراء البضائع لهم وتحميلها بالجمال إلى مكة المكرمة وكان يقوم بالعمل بمفرده مشتريا للبضائع ومشرفا على استئجار الجمال ثم تحميلها وعلى كتابة الرسائل المتعلقة بها إلى التجار المكيين وقيد حساباتهم فى الدفاتر وهو عمل مضن يتولى القيام به عدة أناس ولكن عبدالرؤوف جمجوم وجد نفسه متحملا مسؤوليات عظيمة وهو فى هذه السن الباكرة فاضطر أن يجعل من نفسه وكيلا يقوم بكافة الأعمال فى وقت واحد ·

وعلى ذكر البيوت التجارية أود ان أذكر ان البيوت التجارية فى جدة كانت عبارة عن مدارس صغيرة يتعلم فيها الطلبة أعمال الحسابات التجارية حيث يعملون كتاب حسابات للتجار يمسكون دفاترهم (على طريقة الدوبيا) وبعد سنوات طويلة يتحول قدامى الكتبة التجاريين الى تجار وقد حذقوا أثناء عملهم الطويل فى البيوت التجارية أعمال التجارة نفسها ولقد كان بيت المرحوم الشيخ محمد بن حمد ـ والد الشيخ أحمد بن حمد التاجر المعروف حاليا ـ من أبرز البيوت التى يلتحق بها التلاميذ التجاريون إن صح هذا التعبير ولقد التحقت شخصيا كتلميذ فى هذا البيت وأول ما كنا نتعلمه هناك هو القيد فى دفتر الخرطوش ، وهو دفتر صغير تسجل فيه الأعمال اليومية للمبيعات ثم ينقل منه الى القيد فى دفتر اليومية الدفتر الكبير ، كما تعلمنا فيه كتابة التحارير التجارية وتتم بأن يجلس الكاتب بين يدى التاجر فيملى عليه الرسائل الى العملاء مبتدئا بافتتاح الكتاب

مستفسرا عن صحته أولا هو وصحة عائلته ثم يتحدث عما يريده مما يتعلق بالأعمال التجارية ثم يختم الكتاب بالتحيات وما إلى ذلك وبعد إتمام كتابة الرسائل تطبع فى مطبعة (البالوظة) ويتم الطبع بإلصاق الرسالة فى دفتر معد لذلك من الورق الخفيف بعد أن توضع بداخله الرسالة وعليها قطعة مبللة بالماء من الخيش ثم يوضع الدفتر بكامله تحت مكينة ضغط من الحديد تدار باليد لتضغط على الرسالة فيتم طبعها على الورق الخفيف داخل الدفتر بطريقة الضغط فإذا الرسالة مطبوعة نصا وحرفا وهذا بطبيعة الحال قبل وجود الآلات الطابعة والآلات المصورة التى تزخر بها المكاتب التجارية فى الوقت الحاضر ، ويتدرج التلميذ فى العمل فإذا أنس التاجر منه نجابة كلفه بالكتابة فى الدفاتر الكبيرة مثل دفتر اليومية او دفتر الذمامات والصوافى وما إلى ذلك فإذا احتاج البيت التجارى إلى كاتب حسابات انتقل التلميذ الى مرحلة العمل ولقد عرفت كثيرا من تجار جدة الكبار وقد بدأوا حياتهم كتابا فى هذه البيوت التجارية أذكر منهم المرحومين الشيخ محمد بن حمد والشيخ حسين فايز وكانا يعملان فى بيت الفضل ثم انفرد كل منهم بتجارته الخاصة وأصبح من اشهر تجار جده وخلفهم أبناؤهم من بعدهم والشيخ عبدالرزاق عجلان شفاه الله وعافاه كان كاتبا لسنوات طويلة فى بيت الشيخ محمد بن حمد ثم انفرد بعمله التجارى المستقل ، والشيخ محمد على أبوداود كان كاتبا فى بيت الشيخ ابوبكر باغفار رحمه الله ثم أسس عمله التجارى الضخم المعروف الآن مع شقيقه الشيخ إسماعيل أبوداود رئيس الغرفة التجارية وآل داود هم أصحاب مصانع التايد والكلوركس ومؤسسوها والغرض من ذكر هذا الاستطراد هو أن البيوت التجارية كانت عبارة عن مدارس صغيرة يتخرج منها المحاسبون ثم التجار ، وكان البيت التجارى مفتوحا من الصباح إلى المساء يتناول فيه التاجر مع أبنائه وكتبته وضيوفه طعام الغداء ،

ويستمر العمل فيه إلى المساء ثم يعود أكبر الكتاب بعد صلاة العشاء ليقضى ساعة أو أكثر فى القيد فى الدفاتر وفى هذه الحالة يتناول الجميع طعاما خفيفا العشاء ، وهكذا فإن العمل كان يستمر طيلة النهار وصدرا من الليل فى بعض الأحيان كما أن أيام الجمع لا تعتبر ايام أجازات إذ تفتح فيها المكاتب التجارية فى النصف الأول من النهار إلى وقت الصلاة وغالبا يتبادل فيها التجار الزيارات مع أصدقائهم من الموظفين والأعيان وكانت المكاتب التجارية فى مدخل البيت أو الدور الأول فيه بينما يسكن التاجر فى الأدوار العليا ، وكانت أغلب البيوت التجارية مزودة بمخازن تخزن فيها البضائع ، ولايزال بعض هذه البيوت موجودا بجدة حتى الآن على الوضع الذى وصفناه ٠

نعود بعد هذا الاستطراد الطويل عن البيوت التجارية ودورها فى تخريج التجار إلى الشيخ عبدالرؤوف جمجوم لنقول انه استطاع بعد جهاد شاق إعادة بيتهم التجارى إلى المركز المرموق الذى كان له فى حياة أبيه وجده ٠

مدارس الفلاح

ذكرنا فى ترجمة الحاج محمد على زينل رضا مؤسس الفلاح أنه حينما قام بتأسيس المدرسة الفلاحية فى جدة كان هناك له زملاء تعاونوا معه فى تأسيسها وذكرنا أن الشيخ عبدالرؤوف جمجوم وشقيقه الشيخ محمد صالح جمجوم كانا من هؤلاء الشبان الذين تعاونوا مع مؤسس الفلاح فكانوا يأخذون التلاميذ من بيوت آبائهم بعد غروب الشمس ويعيدونهم إلى بيوتهم فى جنح الظلام حينما كانت الدراسة فى المدرسة تتم ليلا لعدم الحصول على الترخيص من الحكومة العثمانية بافتتاح المدرسة وبعد الحصول على الترخيص لم تكن هناك حاجة لهذه الرحلات الليلية وخصوصا بعد أن أشترى الحاج محمد على المبنى الأول لمدارس الفلاح

والذى لاتزال المدرسة تشغله كواحد من أهم مبانيها ولقد ذكرت ان التوسع فى الدراسة اقتضى من الحاج محمد على زينل أن يهاجر الى الهند للعمل هناك حتى يتمكن من التوسع فى الصرف على مدارس الفلاح وهى تنمو عاما بعد عام ويزيد طلبتها فى كل يوم .

حينما قرر الحاج محمد على زينل السفر الى الهند كان محتاجا الى رأس المال الذى يبدأ به عمله هناك كما كان محتاجا إلى الانفاق على مدارس الفلاح فترة غيابه وقد اختار الشيخ عبدالرؤوف جمجوم وكان صديقا شخصيا له ومن اكبر معاونيه ليتولى وكالة مدارس الفلاح فى جدة ومكة ولقد قام الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بهذه الوكالة خير قيام فكان هو يتولى الإنفاق على المدارس الفلاحية ويحرص على تقديم مرتبات مدرسيها وموظفيها شهريا دون تأخير وكثيرا ما كان يدين المدرسة أو على الأصح مؤسسها المبالغ الطائلة فى سبيل هذا الإنفاق الى ان تصل المبالغ المطلوبة من الهند فى شكل بضائع أو نقود ، وجاءت الحرب العالمية الأولى فانقطعت التجارة بين الهند والحجاز وكان الحلفاء قد قرروا حصة الحجاز فى البضائع التى تصدر له من الهند فى باخرة واحدة شهريا تحضرها باخرة اسمها الكويت وكان الحاج محمد على يرسل فى هذه الباخـرة ما تسمـح به ظروف التصدير منها وكانت أقل كثيرا من حاجة مدرستى الفلاح فى مكة وجدة حتى أنه فكر فى الاكتفاء بمدرسة واحدة خلال سنوات الحرب ولكن الشيخ عبدالرؤوف جمجوم أصر على أن تبقى المدارس فى مكة وجدة مفتوحة الأبواب وأخذ على نفسه تدبير الإنفاق عليها مما اضطره إلى التضييق على عمله التجارى والاختصار فيه ، كان الناس يقبلون على شراء العقار والذهب الذى كان يباع بأرخص الأسعار ويكدسون أموالهم فيها ليستردوها مضاعفة بعد انتهاء الحرب ويقال ان بعض تجار جده اشتروا الكثير من العقار فى مكة فى تلك الأيام حيث كان يباع

البيت الواحد بما يساوى خمسين جنيها ذهبا ، وكان هو يجمع الدينار فوق الدينار ليواجه به مرتبات المدرسين والموظفين لمدارس الفلاح محتسبا ذلك كله عند الله قائما بعمله كوكيل لمدارس الفلاح بروح المؤمن المحتسب وكان بعض التجار يدفعون للمدرسة إعانات شهرية فلما طال زمن الحرب امتنعوا عن تقديمها ولم تكن ذات شأن .

ويروى الشيخ عبدالرؤوف جمجوم فى ذلك قصة لطيفة ، قال كنا فى أواخر شهر رمضان ١٣٣٤ هـ وحل موعد دفع مرتبات الفلاح وكنت قد دفعت آخر جنيه فى الصندوق لمرتبات المدرسين وآويت الى فراشى فى الليل وأنا مغموم فالعيد سيأتى غدا أو بعد غد ولم يبق عندى ما انفقه على أسرتى بما تضمه من أولاد وبنات كثيرين وفى الساعة السابعة ليلا ، قبيل الفجر وأنا أتقلب على فراشى وقد جفانى النوم من كثرة التفكير والهم وإذا مناد ينادينى من أسفل البيت ويدعونى الى مقابلته فنزلت فوجدت المرحوم الشيخ محمد الطويل ناظر عموم الرسوم ومعه الشيخ أحمد ناظر باشكاتب الجمرك ـ رئيس الكتاب ـ والشيخ محمد نور تركى امين صندوق الجمارك وهم يحملون معهم صرة من الريالات وقال لى الطويل : هذا مبلغ ستمائة ريال مجيدى ارسله لك الملك الشريف الحسين بن على لتصرف منه مرتبات خدم المساجد والأئمة والمؤذنين ـ وكان الشيخ عبدالرؤوف مديراً لأوقاف جدة ـ قال الشيخ عبدالرؤوف ولاشك أن هذا الفرج الذى أرسله الله إلى كان ببركة مدارس الفلاح وبحسن النية الذى انطوت عليه النفس فى القيام بهذا العمل ، قال وفى اليوم التالى صرفت مرتبات موظفى المساجد وكانت تبلغ ثلاثمائة ريال مجيدى واستدنت الثلاثمائة ريال الباقية للانفاق على أهلى وأولادى لأعيدها بعد العيد

ولسنا فى حاجة لأن نقول إن مؤسس الفلاح قام بتسديد كل ما أنفقه الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بعد نهاية الحرب وعودة الأمور إلى طبيعتها الاعتيادية ولكن

الفكرة هى : ماالذى كان يحدث لمدارس الفلاح لو لم يكن وكيلها الشيخ عبدالرؤوف على هذا المستوى العظيم من التفانى فى الإبقاء عليها وإبعادها عن أى تأثير يعوق مسيرتها الخيرة ؟ ففى مثل هذه المواقف العصيبة يظهر عظماء الرجال وتظهر تضحياتهم وأعمالهم ، ولقد كان الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بعمله هذا عظيما ومخلصا فى حبه للعلم وتيسيره للناس ٠

بدل مصاريف زواج ووفاة للفلاح

ولقد انعكس حب الشيخ عبدالرؤوف جمجوم للعلم الذى كانت مدارس الفلاح مثالا حيا له فى ذلك الزمان على التصرفات الاجتماعية بالنسبة لعائلة الجمجوم فقد اطلعت على الوصية التى تركها المرحوم الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بخط يده لإخوانه وفى مقدمتهم المرحوم الشيخ محمد صالح جمجوم الذى قام بعبء وكالة الفلاح من بعده أحسن قيام ، أقول اطلعت على الوصية التى كتبها الشيخ عبدالرؤوف جمجوم والتى يوصى فيها اخوته وفى مقدمتهم الشيخ محمد صالح جمجوم رحمهم الله أنه فى حالة حدوث زواج فى الأسرة ألا تقام الحفلات الباذخة بل تتم فى غاية البساطة ويستعاض عنها بدفع خمسين جنيها لمدارس الفلاح كما أنه فى حالة حدوث وفاة ان تتخذ اجراءاتها ببساطة متناهية وألا تقام الولائم فى العشرين والأربعين التى كانت تقام فى ذلك الزمان وأن يستعاض عنها بمبلغ عشرين جنيها ذهبيا تدفع لمدارس الفلاح ولاشك أن هذا التصرف يدل على منتهى الحكمة لدى الشيخ عبدالرؤوف جمجوم وآل الجمجموم لأنه توفير للمال وصرفه الى مصارفه الصحيحة النافعة وإعطاء القدوة الحسنة للناس على ما يجب أن يفعله الأغنياء فى سبيل الخير العام ولقد أدركت آل الجمجوم وهم يتبعون الوسائل المتناهية فى البساطة فى تزويج أولادهم وبناتهم فى الأربعينات وأوائل

الخمسينات رغم مركزهم التجارى الكبير ومكانتهم بين أكبر الأسر فى مدينة جدة ، ولقد قيل لى إنهم كانوا يسمون البنت حين ولادتها على ابن عمها الذى يكون قريبا من سنها ويكون معروفا لدى الأبوين أن فلانة لفلان وكان منزلهم الكبير فى جدة ملاصقا لمسجد المعمار وكان رجال العائلة وأولادهم يصلون الفرائض كلها فى المسجد ويراقبون أولادهم بل ويعاقبونهم أن تأخروا عن أدائها فاذا رأوا الفتى والفتاة قد بلغا مبلغ الزواج قام الأب فى صمت بإعداد حجرة الابن وجهزها بالفرش البسيط السائد فى ذلك الزمان وإعداد مراتب النوم والألحفة وشراء سحارة للملابس وكانت تقوم مقام الدواليب وكذلك تجهيز هذه الحجرة بالمصباح الغازى اللازم لها ويقوم والد العروس بالإشارة الى زوجه بإعداد الملابس اللازمة للفتاة وهى فى حدود المعقول ، ويجتمع الأبوان بعد صلاة العشاء فيعقدان للعروسين فى المسجد وينطلق الفتى ليجد عروسه وقد زفت اليه فى تلك الليلة ، وبعدها فى حفل يقتصر على كبار العائلة من رجال ونساء ولقد كنت أعزو ذلك إلى كثرة أفراد الأسرة واضطرارهم إلى تزويج أولادهم وبناتهم فلو انهم اتخذوا الأساليب المعتادة فى دفع المهور الغالية واقامة الأفراح والليالى الملاح التى تليق بمكانتهم فى المجتمع لما وسعهم ذلك ولم أكن أظن أن للشيخ عبدالرؤوف جمجوم يدا فى اتباع هذه الخطة الحميدة وأن وراءها فكرا ثاقبا ورغبة خيرة الا بعد أن اطلعت على الوصية التى كتبها بخط يده رحمه الله

مرضه ووفاته

فى عام ١٣٣٨ هـ شعر الشيخ عبدالرؤوف جمجوم بأعراض المرض فى صدره وبعد أن طال به الأمر سافر إلى الهند للاستشفاء واستقبله صديقه الحاج محمد على زينل أحسن استقبال وانزله بداره فى مدينة بومباى وعرضه على الأطباء

المختصين وبعد أن بقى فى الهند ما بقى عاد إلى الحجاز ولكنه كان يشعر بآثار المرض ونصح له أصدقاؤه بالسفر إلى الطائف وكان موسم الحج قد حل فذهب الى مكة وأدى فريضة الحج ونزل بمدرسة الفلاح وكانت بالقشاشية قريبا من المسجد الحرام ولكن المنية لم تمهله فتوفى فى شهر ذى الحجة عام **١٣٣٨** هـ بمكة المكرمة ودفن بمقبرة المعلاة وهو فى الثامنة والثلاثين من العمر ولئن كانت سنو عمره قصيرة فلقد كانت هذه السنوات مباركة مملوءة بالعمل الجاد النافع فلقد استطاع إعادة مجد الأسرة وحفظ كيانها كما استطاع القيام بأعباء مدارس الفلاح فى أشد الأوقات وأصعبها • جزاه الله خير الجزاء •





عبدالله السليمان الحمدان

عبدالله السليمان الحمدان

نحيل الجسم ، قصير القامة ، كبير الرأس ، أسمر اللون ، واسع العينين ، أقنى الأنف ، خفيف اللحية ، يرتدى العباءة العربية والعقال ٠

ولد الشيخ عبدالله السليمان الحمدان بمدينة عنيزة عام ١٣٠٢ هـ وتلقى العلم على أيدى علماء بلده كما أتقن الكتابة والحساب وكان يتميز بحسن الخط وجماله وكان عبدالله السليمان طموحا منذ نعومة أظفاره فما أن بلغ مرحلة الفتوة حتى توجه إلى الهند وعمل كاتبا فى بيت آل الفوزان فى مدينة بومباى كما كان يعمل أمثاله من الفتية الطامحين ، يلتحقون بالبيوت التجارية العربية فى الهند فيفيدون من ذلك دخلا حسنا ودربة جيدة على شؤون التجارة ، ولم يمض طويل وقت حتى انتقل إلى البحرين فافتتح له مكتبا تجاريا برأس ماله البسيط الذى جمعه أثناء عمله فى الهند ، فلقد كان الفتى عبدالله السليمان طموحا إلى عمل تجارى مستقل ، ولكن الفتى يقدر لنفسه شيئا وتريد الأقدار له شيئا أعظم فقد كان أخوه الأكبر محمد السليمان كاتبا فى ديوان السلطان عبدالعزيز آل سعود ـ جلالة الملك عبدالعزيز فيما بعد ـ فمرض محمد بأذنيه واضطر أن يعتزل العمل فترة من الزمان استدعى فيها أخوه عبدالله السليمان ليحل محله فى الكتابة للسلطان وانقضت الفترة المرضية وعاد محمد السليمان إلى عمله بديوان السلطان عبدالعزيز

فعاد هو إلى عمله فى البحرين الذى كان أخوه حمد السليمان يديره فى غيابه ، ولكن المرض يعاود الأخ الأكبر فيعتزل عمله لدى السلطان عبدالعزيز نهائيا ، ويطلب السلطان من عبدالله السليمان ١٣٣٠ هـ أن يتسلم الكتابة فى ديوانه ويعتزل عمله نهائيا فى البحرين ويتكفل السلطان عبدالعزيز بسداد ديون محله التجارى وتسوية أموره ليتفرغ لخدمة السلطان عبدالعزيز بصورة نهائية وهكذا دبر الله الأمور لعبدالله السليمان بحكمته الأزلية حين ربط أسبابه بأسباب السلطان عبدالعزيز الذى كان نجمه يسطع فى سماء الجزيرة العربية فى ذلك الزمان فتنضم أقطارها واحدة تلو الأخرى إلى عقد مملكته العظيمة فتنضم إليه إمارة حائل وعسير ، ومملكة الحجاز ، وقبلها تنضم إليه إمارة الهفوف ثم أخيرا إمارة الأدارسة فى جيزان ، ويرى جلالة الملك عبدالعزيز بفراسته العظيمة أن مجال عبدالله السليمان الحقيقى ليس هو فى ديوان الكتابة وإنما هو فى المهام العظيمة لهذه الدولة الفتية التى تمتد رقعتها يوما بعد يوم والتى تخرج من دور البساطة إلى مجال يتعاظم مع الزمن والتى تفتقر إلى جهود الرجال الكبار الذين يشيدون صرح الدولة ويقيمون أسسها بما يتفق مع متطلبات ضخامتها وامتدادها وتشابك مصالحها الداخلية والخارجية فأسند جلالته إلى عبدالله السليمان الشؤون المالية للدولة فكان مديرا لها ثم وكيلا للمالية وللتاريخ فإن أول من ولى الشؤون المالية لجلالة الملك عبدالعزيز بعد فتح الحجاز هو المرحوم الشريف شرف رضا ـ عضو مجلس الوكلاء فيما بعد ـ ثم النائب الثانى لرئيس مجلس الشورى أخيرا ـ وبعدها تسلم شؤون المالية الشيخ عبدالله السليمان ولم يمض طويل وقت حتى أصبحت وكالة المالية وزارة وكان عبدالله السليمان أول وزير لها ثم اسندت إليه وزارة الدفاع فيما بعد وفى وقت من الأوقات تولى وزارة الخارجية نيابة عن صاحب السمو الملكى الأمير فيصل الذى كان يتولى وزارة الخارجية منذ تأسيسها ـ جلالة الملك فيصل رحمه الله ـ

عَبدالله السُليمان وَزير الماليّة

ولكى نتحدث عن عبدالله السليمان لابد أن نذكر للتاريخ شيئا عن الصلاحيات الضخمة التى كانت فى يد الرجل أثناء ولايته لوزارة المالية التى امتدت طيلة حياة الملك عبدالعزيز رحمه الله ـ وفترة من عهد ولاية الملك سعود .

كانت أمور الدولة مقسمة إلى قسمين أو على الأصح بين رجلين ، الرجل الأول هو صاحب السمو الملكى الامير فيصل ـ جلالة الملك فيصل فيما بعد ـ وكانت وظيفته الرسمية النائب العام لجلالة الملك فى الحجاز وكان مرجعاً للشؤون الداخلية فكانت الشرطة والمعارف والبلديات والصحة والبريد والتلغراف تابعة له كما كان يتولى الشؤون الخارجية وهى تمثيل جلالة الملك عبدالعزيز فى الخارج كما كانت اتصالات السفراء الأجانب ومفاوضاتهم تتم عن طريق مكتب وزارة الخارجية ويرجع إلى سموه فى كل الأمور الخارجية وهو يعرض بدوره ما يرى عرضه على والده المغفور له الملك عبدالعزيز ، أما وزارة المالية التى كان وزيرها الشيخ عبدالله السليمان فكانت تمثل فى الواقع كل شىء فى الدولة باستثناء ما ذكرناه عن مهام النائب العام لجلالة الملك فكانت وزارة المالية هى المرجع فى الشؤون المالية جميعها ، كما كانت تقوم إذا صح هذا التعبير بأعمال وزارة الأشغال والحج والمواصلات والدفاع وأعمال الخاصة الملكية وكان الشيخ عبدالله السليمان يتلقى صلاحياته العظيمة من ثقة المغفور له الملك عبدالعزيز الشخصية فيه فكان يتمتع بسلطة عظيمة لانغالى إذا قلنا إنه كان ينفرد بها طيلة السنوات الطويلة التى قضاها فى منصبه العظيم ولقد قام بتدوين الدواوين فى وزارة المالية وأسند رئاستها إلى رجال أكفاء كما قام بتأسيس الدوائر الرسمية فى الملحقات الشرقية والجنوبية فتأسست رئاسة أموال وجمارك الاحساء كما تأسست رئاسة

أموال وجمارك جيزان وأخذ ينتدب الرجال المشهود لهم بالقدرة والكفاءة لإدارة هذه المراكز وتأسيسها وتثبيت قواعدها ، وكان يلقى من جلالة الملك عبدالعزيز تأييدا كبيرا وثقة كاملة فاستطاع بهذا التأييد وبهذه الثقة أن ينهض بالأعباء الضخمة التى وكل إليه أمرها فكان رجل الدولة وواحدها فى ذلك الزمان ، ولقد بلغ من ثقة جلالة الملك عبدالعزيز فيه أنه كان يدخل كل صباح مهجع جلالته دون استئذان ، وللتاريخ فان عبدالله السليمان كان رجلا يتميز بالإخلاص التام فى خدمة الدولة حتى أنه يعتبر من أكبر العاملين فى تأسيسها .

الملك فيصل وعبدالله السليمان

حدثنى المرحوم الشيخ إبراهيم السليمان بن عقيل رئيس ديوان صاحب السمو الملكى النائب العام لسنوات طويلة ـ السفير السعودى بالقاهرة فيما بعد ـ قال جاء الشيخ عبدالله السليمان مريضا إلى مصر وذهب إلى مدينة حلوان للاستشفاء وكان سمو الأمير يقصد الأمير فيصل رحمه الله ـ إذ ذاك فى القاهرة وعلم بالأمر فقال لى انه سيذهب لزيارة عبدالله السليمان فى حلوان ولكنه طلب منى أن أكتم أمر الزيارة لأنه يريد أن يفاجئه بها فلو علم عبدالله السليمان بأن فيصل سيزوره لسارع هو إلى ترك المصحة ، وبدأ سموه بالزيارة فكتمت الأمر وفى أصيل ذلك اليوم ذهبت بمعية سموه إلى حلوان وفوجىء عبدالله السليمان بزيارة فيصل فبكى من التأثر وقال لسموه أنت فيصل بن عبدالعزيز تحضر لزيارتى وما أنا إلا خادم لأبيك . قال الشيخ إبراهيم السليمان ولكن فيصل طيب خاطره وقال له إنك من بناة الدولة ـ والذين يعرفون الملك فيصل رحمه الله يعرفون أنه فى مثل هذه المواقف إنما يزن كلامه بميزان الذهب والواقع أن الرجلين يمكن أن يطلق عليهما أنهما من بناة الدولة رحمهما الله .

إلغاء رسوم الحج

حينما تم توحيد المملكة العربية السعودية كانت الدولة تعانى من صعوبات مالية عظيمة وخاصة فى سنوات الأزمة الاقتصادية العالمية فى الثلاثينات الميلادية وكانت واردات الدولة تتمثل فى الرسوم الجمركية ثم رسوم الحج وهو مبلغ خمسة جنيهات ذهبية تتقاضاها الدولة على كل حاج باعتبارها رسم المحجر الصحى ، وكان من أجلِّ أمانى الملك عبدالعزيز رحمه الله أن يلغى هذه الرسوم المفروضة على الحجاج لأن ضميره لم يكن مطمئنا لها ـ وطالما أفضى بأمنيته تلك إلى وزير ماليته عبدالله السليمان ، ولكن عبدالله السليمان لم يكن باستطاعته المجازفة بإلغاء مورد يعتبر المورد الثانى من موارد الدولة إذ ذاك وهى فى حاجة إلى المزيد من المال ، وحينما ظهر الزيت لأول مرة فى شرق المملكة راود جلالته الأمل فى أن يكون هذا الزيت سببا فى الغاء هذه الرسوم يعوض الله به الدولة ما تفقده منها ، ولقد كان من أعز أمانى عبدالله السليمان أن يحقق لجلالة الملك عبدالعزيز هذا الحلم العظيم ، وحينما توصل الشيخ عبدالله السليمان مع شركة أرامكو إلى اتفاق المشاركة الذى يسمح للدولة بمشاركة شركة أرامكو أرباحها أسوة بما فعلته فنزويلا فى اتفاقياتها سارع بالكتابة إلى جلالة الملك عبدالعزيز يزف إليه بشرى التوصل إلى هذه الاتفاقية ومن ثم يستطيع جلالته إلغاء رسوم الحج وتحقيق الأمنية الغالية التى كان يتمناها فبادر جلالة الملك عبدالعزيز بالغاء رسوم الحج وأعلن هذا الالغاء فى حينه ، وكان لهذا الإلغاء رنة فرح كبرى فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، وللتاريخ فان إتفاقية المشاركة هذه تعتبر أول اتفاقية من نوعها فى المنطقة بالنسبة للدول المنتجة للنفط فى ذلك الزمان وكان ذلك عام ١٩٥٠ ميلادية الموافق لعام ١٣٧٠ للهجرة ٠

انجازات عبدالله السليمان

إذا أردنا تقييم رجل من الناس فلابد أن ننظر فى إنجازاته وما قام به من عمل نافع فى حياة قومه وأثر هذا العمل فى نهضة البلاد وتقدمها فاذا تلمسنا هذه الآثار النافعة فى تاريخ عبدالله السليمان وجدناها بارزة فى إنجازاته سواء أكانت هذه الإنجازات وهو فى مركز القوة والسلطان وزيرا يأمر فيطاع أو رجلا عاديا تخلى عن المنصب والنفوذ وأصبح واحدا من الناس لايتميز عنهم إلا بما وهبه الله من صفات ، كما هو شأن الخاصة من الناس ، ولسنا هنا فى مجال إنجازات عبدالله السليمان كوزير للمالية فلسنا نترجم هنا للتاريخ وزيراً ورجل دولة بقدر ما نترجم لعبدالله السليمان كشخصية عامة ظهرت فى حياة الناس فأثرت بأعمالها فى هذه الحياة ولهذا فاننا سنترك الجانب الرسمى الحكومى من تاريخ عبدالله السليمان ونتحدث عن الجانب الشخصى الذى هو هدف الترجمة فنجلو منه ما يظهر الصورة الحقيقية للرجل بعيدا عن المنصب والسلطان .

إنشاء الفنادق

كانت المملكة فى العقود الأولى من تاريخها تعانى من نقص فى كل مظاهر الحضارة والتمدين فالحياة كانت تتخذ شكلا بسيطا فى النصف الأول من هذا القرن الهجرى ولقد كان القادمون إلى البلاد يفتقرون إلى فندق ينزلون فيه فلا يجدون من ذلك شيئا فى أى مدينة من مدن المملكة وكان هذا يظهر بصورة جلية فى مواسم الحج حينما يؤم البلاد أعداد ضخمة من الحجاج الموسرين والذين يرغبون أن يجدوا الفندق الملائم فى مكة وجدة والمدينة المنورة ومشاعر الحج ، كما أن الدولة نفسها كانت تفتقر إلى ذلك بالرغم من بيوت الضيافة التى خصصتها

لضيوفها وكان زعيم مصر الاقتصادى الكبير محمد طلعت حرب باشا قد أسس شركة مصر للملاحة كما أسس شركة مصر للسياحة وحضر إلى الحجاز لاداء فريضة الحج واتصلت أسبابه بأسباب الشيخ عبدالله السليمان رحمهما الله فأبدى رغبته فى إيجاد فنادق لحجاج مصر فى كل من جدة ومكة لينزل بها الحجاج المصريون وقام فعلا باستئجار منزل الحاج يوسف زينل على رضا ـ أمام فندق جدة بلاس ـ ليكون فندق مصر فى جدة ولكن المشكلة كانت فى إيجاد فندق فى مكة يضم الأعداد الكبيرة من الحجاج التى تفد للحج والتى تستقر جميعها فى مكة قبيل أيام الحج وبعد أداء المناسك وهنا انبرى الشيخ عبدالله فتكفل ببناء الفندق على حساب وزارة المالية وأفردت للفندق قطعة أرض فى شارع اجياد امام مبنى وزارة المالية وقامت الوزارة فعلا بتشييد الفندق الضخم المكون من عدة طوابق وبهذا تم تأسيس أول فندق حديث فى مكة المكرمة وأطلق عليه اسم فندق بنك مصر وقد تم تأجيره على شركة مصر للسياحة وكان الفندق يضم المئات من الحجاج المصريين وغيرهم فى كل عام ، هذا الفندق باعته وزارة المالية فيما بعد على الشيخ صدقة وسراج كعكى ولايزال يدار كفندق حتى اليوم ، الواقع أن عبدالله السليمان لم يكتف بهذا وانما شجع كذلك الشيخ عطا الياس على انشاء فنادق التيسير فى مكة وجدة والمدينة المنورة ومنى وكان هذا التشجيع نواة لانطلاق الحركة الفندقية فى البلاد ولكن عبدالله السليمان بطموحه لم يرض عن الفنادق المذكورة فقام هو شخصيا بإنشاء الفنادق الخاصة به فى جدة وهى فندق الكندرة وفندق البساتين ثم فندق قصر الكندرة ثم فندق قصر جدة الذى تم بناؤه بعد ترك الوزارة واستقدم لهذه الفنادق المديرين المتخصصين وأجهزة الادارة والخدمة الكاملة حتى أصبحت هذه الفنادق هى أولى فنادق الدرجة الأولى فى المملكة واعترف بها على المستوى الدولى للفنادق وهو بهذا العمل الجرىء قد

أدى لبلاده خدمة من أجل الخدمات لأنه سد حاجة البلاد من الفنادق كما أسبغ عليها مظهرا حضاريا كانت فى أشد الحاجة إليه ، قد يقول البعض ولكنه أفاد شخصيا من هذا العمل ربحا ماديا ودخلا مثمرا ونقول أنه ليس من الضرورى أن يكون العمل النافع مجردا من المنفعة والربح فما أكثر الأعمال المربحة والمثمرة ماديا ! ولكن العمل إنما يقاس بنفعه للبلاد والعباد فإذا كان يحقق هذا النفع ويعود على صاحبه بالربح فهو عمل طيب مشكور لا مراء فى ذلك ولا جدال ، ولا ينتقص منه إلا حاقد أو كسلان ..

المستشفى اللبنانى

وكما كانت البلاد تعانى من نقص الفنادق كانت تعانى كذلك من قلة المستشفيات ولعل الكثيرين لا يعلمون أن مدينة جدة بل كل المدن الكبيرة فى المملكة لم يكن فيها سوى مستشفى واحد هو المستشفى العام ـ مستشفى حكومى واحد فى كل مدينة ـ ومن المعلوم أن المستشفى العام الحكومى هو غير المستشفى الخاص سواء فى تجهيزاته أو خدماته ، وحينما قدم إلى جدة بعض الأطباء اللبنانيين ولديهم فكرة افتتاح مستشفى خاص فى جدة لم يجدوا من يحقق طلبتهم سوى الشيخ عبدالله السليمان فهل يعلم القراء ماذا فعل عبدالله السليمان لاخراج الفكرة إلى حيز الوجود ، لقد شجعهم فى البداية على افتتاح المستشفى وافتتح فعلا ولكن فى مبنى قديم متهالك فلم يلبث الشيخ عبدالله السليمان أن أخلى فندق الكندرة فى جدة ـ بعد استكمال بناء فنادقه الأخرى وحوله إلى مستشفى فانتقلت إليه إدارة المستشفى اللبنانى وقام الشيخ عبدالله السليمان ببناء جناح جديد فى المستشفى وهكذا قام أول مستشفى خاص فى مدينة جدة بل فى المملكة بتشجيع كريم من الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله وبمثل هذه الأعمال تقاس همم الرجال ..

عبدالله السليمان والملك عبدالعزيز

كان الشيخ عبدالله السليمان يسكن فى جدة فى بيوت صغيرة فى محلة الكندرة فى موضع فنادق الكندرة الحالية قبل بناء هذه الفنادق وكان بمعية جلالة الملك عبدالعزيز فى السيارة أصيل يوم فمر موكب جلالته أمام هذه البيوت فسأله جلالته أين يسكن ؟ فأشار إلى هذه البيوت الصغيرة فقال جلالته كيف ترضى وتطمئن للسكن فى هذه الدور الصغيرة فقال إننى مكتف بها يا طويل العمر وأثناء هذه الرحلة مر الموكب من طريق المدينة فرأى جلالة الملك عبدالعزيز قصراً مشيداً فى طريق المدينة المنورة فسأل لمن هذا القصر؟ فقيل : إنه للشيخ محمدرضا ولم يكن من جلالته إلا أن طلب من الشيخ محمد رضا أن يتنازل عن القصر بأثاثه لعبدالله السليمان ولم يجد الشيخ محمد عبدالله رضا بدا من إجابة الطلب واستدعى جلالته عبدالله السليمان وقال له : هذا القصر أصبح لك فانتقل إليه ولكن عبدالله السليمان قال لجلالته إن سمو الأمير فيصل لا بيت له فى جدة وهو أحق بهذا القصر منى أما أنا فيكفينى ما أنعم به من رضاء جلالتكم وهكذا يثبت الشيخ عبدالله السليمان بأدبه العالى أنه رجل الدولة يؤثر جانب المليك وأبنائه على نفسه ، ولم تكن هذه هى الأولى من عبدالله السليمان ، فحينما ولى العرش جلالة الملك سعود كانت الحاجة تدعو إلى وجود صاحب السمو الملكى فيصل بجانب أخيه الملك سعود فى جدة وكان الملك سعود قد بنى قصورا له فى جدة ولم يكن لفيصل سوى البيت الذى أشرنا إليه آنفا والمخصص لسكنه وأسرته ، وذهب عبدالله السليمان إلى فيصل فى مكة يقول له لابد من بقائك بجانب أخيك فى جدة قال ولكن لا يوجد لى مكتب فى جدة وكانت السيدة نورة الخريجى حرم الشيخ عبدالله السليمان وأم ابنه خالد قد شيدت فيلا جميلة فى جدة وأتمت تأثيثها فلم يكن من

عبدالله السليمان إلا أن قال له هذا بيت أم خالد بين يديك فاستعمله مكتبا لك ولم يقبل سموه بذلك فأرسل الشيخ عبدالله السليمان السيدة نورة إلى سموه ترجوه أن يقبل المنزل وهكذا كان ٠

هذه الالتفاتات العالية من الشيخ عبدالله السليمان تدل على علو همته ونبل شخصيته ولو كان غيره فى مكانه لفرح بمنحة الملك واستأثر بالقصر كما استأثرت زوجه بقصرها ولكن الرجل كان يتصرف بروح رجل الدولة وأحد بناتها ومؤسسيها رحمه الله ٠

الاستقالة

بعد وفاة جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وولاية الملك سعود للعرش تقدم الشيخ عبدالله السليمان إلى جلالة الملك سعود باستقالته من منصبه ولكن الملك (سعود) أصر عليه بالبقاء واستمر الشيخ عبدالله السليمان فى منصبه فترة من الزمن ولكنه رأى بثاقب نظره أن الظروف تتغير وأن الدولة الجديدة قد تحتاج إلى نمط جديد من الرجال ـ لكل زمان دولة ورجال ـ وهكذا لم يمض طويل وقت حتى رأى عبدالله السليمان نفسه مضطراً للتخلى عن المنصب الذى احتفظ به طيلة عهد الملك عبدالعزيز والذى امتد نحوا من خمسين عاما أو تزيد فتقدم من جديد إلى جلالة الملك سعود بالاستقالة وراجيا بإلحاح إعفاءه من العمل بعد أن كبرت سنه وضعفت صحته وهكذا أجيب إلى طلبه وصدر بلاغ من الديوان الملكى بقبول هذه الاستقالة مع كلمة تقدير طيبة لجهود الرجل فى بناء الدولة وتفانيه فى الإخلاص وهكذا بدأ لوزارة المالية عهد جديد كان مختلفا عن العهد الماضى القديم ، حينما كانت أمور وزارة المالية إنما تدبر بأمر رجل واحد وقد يكون ذلك العهد يفتقر إلى التنظيم ، على أى حال كان يتميز بالنفوذ العظيم لهذا الرجل الذى كان إخلاصه للدولة وللمليك واضح المعالم بارز السمات ٠

مَصنع الإسمَنت

لم يقبع عبدالله السليمان بعد تركه الوزارة فى منزله ليأسى على ما فاته من سلطان أو لينعم بما تجمع له من ثروات طيلة الخمسين عاما التى قضاها فى خدمة الملك عبدالعزيز وإنما نظر بثاقب بصيرته إلى ما تحتاجه البلاد من مشروعات وما تنتظر من مستقبل عظيم فقام بتأسيس أول مصنع للأسمنت فى المملكة فى مدينة جدة أكبر ميناء فى البلاد ، وكانت مدينة جدة قد بدأت تنمو وتمتد بعد إزالة السور الذى كان يحيط بالمدينة وبعد وصول الماء إليها ، كان هذا السور يمتد فى الناحية الشمالية أمام ميدان البيعة من عمارة النشار حاليا إلى عمارة الشيخ أحمد موصلى المتخذة كفندق وفيه باب اسمه باب جديد ويمتد شرقا من أمام عمارة باخشب إلى باب مكة وكان هناك باب يسمى باب مكة ويمتد غربا من موضع فندق قصر البحر الأحمر إلى موضع عمارة الشيخ سليمان الحمد فى ميدان الملك عبدالعزيز ، ويمتد جنوبا من موضع البنك العربى ماراً بامتداد شارع الملك عبدالعزيز إلى مقبرة الأسد وفيه باب اسمه باب شريف ، وكل العمران الذى حدث بعد ذلك هو حديث بعد إزالة السور وهو يساوى مئات أضعاف مساحة المدينة القديمة نقول رأى عبدالله السليمان إن المدينة ستنطلق وتنمو وتمتد ، وأنه لابد من إيجاد مصنع للأسمنت يسد حاجة البلاد وكان قد حصل على امتياز ببناء مصنع الأسمنت ، هذا ـ لعل ذلك فى أواخر عهد الملك عبدالعزيز ـ فقام بإبراز الفكرة إلى حيز الوجود وأسَّسَ شركة الأسمنت السعودية فى جدة التى باشرت فى بناء أول مصنع للأسمنت فى المملكة حيث قام ولايزال يقوم بسد كثير من حاجة البلاد إلى هذه المادة الهامة للإعمار ، وهكذا ساهم عبدالله السليمان بعمله هذا فى تعمير البلاد وتطوير وسائل الإعمار فيها .

توزيع الأراضي وتأجيرها

وعلى ذكر الإعمار - أوذ أن أذكر أن عبدالله السليمان رحمه الله ساعد على تعمير مدينة جدة بطريقة عملية فقد قام بتوزيع الأراضى فى شارع الكندرة وهو الشارع الممتد من مقبرة حواء إلى ميدان المطار القديم - فبنى فى هذه الأراضى آل الخريجى والمعلم محمد بن لادن رحمه الله والشيخ محمد السليمان التركى وغيرهم كما وزع أراضى أخرى من موضع عمارة الشيخ أحمد موصلى أمام قصر جدة إلى باب مكة وقد قام بالبناء فيها كل من الشيخ أحمد موصلى والمرحوم محمد باخشب والشيخ محمد سرور الصبان ، وغيرهم وكانت الأراضى فى منطقة البغدادية شمال جدة محجوزة لشركة عقارية تقدمت إلى الدولة بفكرة تعمير الأرض وبيعها بالتقسيط ولكنها لم تفعل شيئا طيلة سنوات ، فأشار عبدالله السليمان على البلدية بتأجيرها بأجور رمزية على الراغبين ثم بيعها عليهم

وهكذا انطلقت حركة البناء بعد أن أصبحت الأرض ميسورة وأخذت الأيدى تتداولها بأسعار زهيدة وهكذا انتشر العمران وامتد ، وأصبحت مدينة جدة تتميز فى ذلك الوقت عن سائر مدن المملكة بأن العمران الذى امتد فيها هو عمران أهلى وليس عمرانا حكوميا كما هو الشأن فى بعض المدن الأخرى الذى بدأ العمران الحكومى فيها أولا ثم جاء التعمير الأهلى وهكذا أثبت عبدالله السليمان أنه رجل دولة يعمل لمصلحة البلاد وإعمارها بكل وسيلة يراها مؤدية لذلك ، ولم نر أنَّه استأثر لنفسه أو لذويه بشىء من هذه الأراضى التى يسرَّ الحصول عليها للناس تيسيرا لا مزيد عليه ٠

عَبْدُالله السُّليمان وجَامِعة الملك عَبْدالعزيز

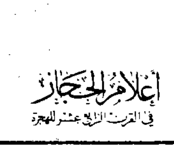
ويأبى عبدالله السليمان إلا أن يختم حياته بعمل من أعظم الأعمال بهبته السخية العظيمة لجامعة الملك عبدالعزيز فلقد كانت له مزرعة فى شرق مطار جدة وبنى حولها أربعة قصور ، مساحة أرض كل قصر أربعون ألف متر ، وبنى فيها فيلا كبيرة لابنته السيدة أسماء عبدالله السليمان كما الحقت بكل قصر ملاحق كثيرة وقد انقطع الماء عن المزرعة بسبب نضوب العين التى اشتراها - وهى عين فرج يسر - والتى كانت تمد المزرعة بالماء فبقيت هذه القصور غير مسكونه رِدْحاً من الزمن ثم ظهرت فكرة الدعوة إلى إنشاء جامعة الملك عبدالعزيز فى مدينة جدة وبدأت اللجنة التأسيسية فى جمع التبرعات للجامعة وكان الشيخ عبدالله السليمان رحمه الله مريضا فبعث إلى أعضاء الجامعة يدعوهم للاجتماع به وفاجأهم بتقديم القصور الأربعة مع ملحقاتها والفيلا هدية منه للجامعة وأردف ذلك بما يحتاجونه من الأرض التى بلغت نحوا من ستمائة ألف متر وهكذا أخرج عبدالله السليمان رحمه الله فكرة الجامعة من طور الخيال إلى عالم الحقيقة والواقع وللتاريخ فإن المرحوم محمد باخشب باشا كان أول من تبرَّع بمبلغ سخى للجامعة واقترح إطلاق اسم جلالة الملك عبدالعزيز عليها وكان المبلغ الذى سمّاه لتبرعه هو مليون ريال وكان هذا المبلغ فى ذلك الزمان يعتبر ثروة عظيمة وبينما كانت التبرعات تتراوح بين الألف وعشرات الألوف وأعظم المتبرعين لم يزد تبرعهم عن مائتى ألف أو ما حولها كان تبرع محمد باخشب رحمه الله مليوناً كاملا من الريالات ، وهذا التبرع الضخم الذى دفع الكثيرين فيما بعد إلى التبرع مع هبة الشيخ عبدالله السليمان العظيمة الضخمة هما اللذان أسرعا باخراج الجامعة إلى عالم الحقيقة والواقع كما ذكرنا ، بقى أن نقول إنه إذا كان تبرع باخشب بمليون ريال

فان قيمة تبرع الشيخ عبدالله السليمان فى وقتها كان يزيد عن العشرة ملايين ريال فالقصور الأربعة والفيلا كانت تتراوح تكلفتها دون قيمة الأرض المقامة عليها ـ نحوا من أربعة إلى خمسة ملايين من الريالات ، وحينما نقرر هذا الرقم فإننا نقوله من واقع نعرفه أكثر مما يعرفه الغير لأن كاتب هذه السطور هو الذى تولى الإشراف على بناء هذه القصور وملحقاتها للشيخ عبدالله السليمان رحمه الله أما الأرض فقدر ثمنها فى ذلك الوقت بنحو من ستة ملايين من الريالات وهى فى الوقت الحاضر تساوى بضع مئات من ملايين الريالات إن لم تصل إلى أكثر من ذلك .

وهكذا ختم الشيخ عبدالله السليمان حياته بهذه الهبة العظيمة التى هى من أعظم الحسنات الجارية وأجلّها إذ وهب قصوره للعلم فأصبحت هذه القصور تمثل كليات الجامعة الفتية جامعة الملك عبدالعزيز وأخذت الجامعة تُعِدُّ مخططات توسعها على الأرض الكبيرة التى وهبها لها الرجل العظيم وهكذا أراد الله تعالى لعبدالله السليمان أن يختم حياته بأجل الأعمال وأعظمها إذ هيأ بهبته السخية هذه بيوتا للعلم جزاه الله خير الجزاء وأحسن ثوابه فى جنات الخلود .

وفاة عبدالله السليمان

هذا وكانت وفاة عبدالله السليمان رحمه الله عام ١٣٨٥ هـ بعد مرض طويل استقدم له بعض كبار الأطباء من انجلترا وبعد ان أجريت له استعدادات الجراحة وجد أن الداء قد استشرى وتمكّن فلم يجد فيه علاج فغادر هذه الحياة وقد وصل فيها إلى ذروة المجد والسلطان كما وهب من ثروته ما نسأل الله تعالى أن يكون له عوضا فى دار البقاء رحمه الله وأحسن مثوبته فلقد كان من أعظم الرجال .


أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





عبدالله محمد الصغير

متوسط القامة لا بالطويل ولا بالقصير ، حنطى اللون واسع العينين يضع على عينيه نظارة ذهبية ، عظيم الأنف ، خفيف شعر اللحية والعارضين حتى لتظنه أجرد يرتدى الجبة والعمامة الحجازية فيه سمت ووقار ، ذلكم هو الشيخ عبدالله محمد الصغير أحد رجالات مدينة جدة وأعيانها البارزين ٠

لم أتمكن من تحديد تاريخ ميلاده ، وأرجح أنه توفى فى العقد السادس من هذا القرن الهجرى الذى نقترب من نهايته ٠ كان الشيخ عبدالله محمد الصغير نمطا فريدا من الرجال وقد هيأ نفسه لخدمة الناس والسعى فى مصالحهم ، ولم يكن حينما عرفته ذا مال ولكنه كان يملك القدرة على أصحاب الأموال ، قدرة منبعها الحب ومبعثها الثقة والتقدير ، وقد كان كما عرفت فى مطلع حياته تاجرا من أوساط التجار ولكنه ما لبث أن ترك التجارة واكتفى بما يصل إليه من غلة البيت الذى يسكن جزءا منه ويؤجر الجزء الآخر ، ومن بيت ثان يؤجره للغير وكان ليس له ولد وإنما يعيش هو وزوجه السيدة مصباح بنت محمد سعيد جاسر ثم ما لبثا ان تبنيا ابن أخيها على جاسر الذى ولد لأخيها بجزائر جاوه ثم أرسل اليها بعد وفاة والده هناك ٠

عرفت الشيخ عبدالله محمد الصغير فى الفترة ما بين الأربعينات إلى أواخر الخمسينات إذ كانت تربط زوجه صلة قربى بعائلتنا وكما علمت فإنها زفت اليه من منزل أسرتنا فى جدة عرفت الرجل فى هذه الفترة وقد وهب نفسه لخدمة الناس ورأيته يدخل إلى مكاتب التجار من أصدقائه ومحبيه فيقول لأحدهم بلهجة الأمر هات جنيها أو جنيهين أو عشرة فيؤديها له فى الحال دون أن يسأله عن وجهة صرفها ودون أن يفصح هو عن ذلك يحافظ بها على أسرار الناس ، يستر عوراتهم ويقضى حوائجهم ويؤدونها له راضين وهم يعلمون أنها أنما توضع فى موضعها الصحيح لأنها إنما تؤدى عن يد الثقة الأمين ، وكان له مجلس فى مدخل داره التى هدمت وأدخلت فى الشارع الجديد شارع الذهب صباح كل يوم فيفد اليه أصحاب الحاجات ويسرون إليه بشؤونهم فاذا كان الضحى انطلق إلى داخل المدينه يزور أصدقاءه فى مكاتبهم ومتاجرهم والكل يحتفى به ويوسع له ويسارع الى طلبه عن رضى وارتياح ، وأصبح الرجل مقصدا لأصحاب الحاجات يهرعون اليه فى حوائجهم فلا يتردد لحظة فى الاستجابة وما أسرع ما يكون قضاء هذه الحاجات على يديه لما وهبه الله من حب القادرين وما حبب إليهم من الاستجابة لكل ما يطلب دون تردد أو سؤال .

وسعى به الساعون إلى الدولة فى فترة حرجة فأمر بمغادرة البلاد وهاجر الى مصر واشتركت مدينة جدة كلها فى توديع الرجل الكريم منهم من ودعه فى بيته ومنهم من ودعه فى الميناء والخاصة من أصدقائه وهم كثيرون استقلوا الزوارق الى الباخرة وبقوا معه فيها حتى أوشكت على الرحيل وأصبحت زوجه محل عناية أصدقائه فكانوا يترددون عليها ويتفقدون شؤونها تقديرا لزوجها ووفاء له فى محنته وسعى الكثيرون من تجار مدينة جدة ووجهائها فى إظهار الحقيقه لأولى الأمر ، وإبطال الفرية المدسوسة . وماهى إلا أشهر قليلة حتى اصدر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز أمره بالسماح له بالعودة إلى البلاد وكان قد قضى هذه الفترة

ضيفا كريما بمنزل آل باناجه بالعباسية بالقاهرة وكان يوم عودته يوما مشهودا اشتركت مدينة جدة كلها فى استقباله من الباخرة وعلى الميناء وضاق منزله بالزائرين الذين توافدوا عليه ليل نهار يهنئونه بسلامة الأياب ويهنئون أنفسهم بعودته اليهم .

« عين الوزيرية »

وكانت مدينة جدة تعانى من نقص شديد فى الماء وكان كبار أهلها يفكرون فى الوسيلة أو الوسائل التى يمكنهم بها توفير الماء اللازم لمدينتهم وقد بذلت فى هذا الصدد مساع كثيرة من ضمنها إصلاح العين الوزيرية التى عنيت حكومة السلطان عبدالحميد الثانى بايصالها إلى جدة فى عام ١٣٠٤ هـ والتى كانت تتوقف وتملح حينما تشح الأمطار ، وكانت إذ ذاك متوقفة من سنوات طويلة فتم اصلاح مجاريها وبذلك تدفق منها الماء مرة أخرى وكان الشيخ عبدالله محمد الصغير أحد الساعين فى إنجاز هذا المشروع فأسندت اليه ادارة هذه العين ولكنها ما لبثت أن توقفت فيما بعد إلى أن أكرم الله مدينة جدة بالمأثرة الكبرى لجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وهى إجراء العين العزيزية التى كانت من أكبر عوامل نمو مدينة جدة واتساعها وذلك فى أول المحرم ١٣٦٥ هـ .

نقول: إن الشيخ عبدالله الصغير اختير لإدارة العين الوزيرية بعد اصلاحها ، لما يتمتع به من سمعة عاطرة فى مجال الخدمة العامة للشعب ، وهكذا وجد الشيخ عبدالله الصغير فى هذا المشروع مجالا يكرس فيه وقته للعناية بأهم مرفق فى حياة المدينة التى احبته وأحبها حتى توفاه الله ، ولقد أصيب فجأة بالشلل النصفى وقضى أيامه الأخيرة التى لم تطل كثيرا وهو يعانى من هذه العلة الفادحة حتى اختاره الله تعالى إلى جواره فكان يوم وفاته يوما مشهودا شاركت فيه مدينة جدة كلها فى تشييعه إلى مثواه الأخير وكانوا يعزون أنفسهم فيه كما يعزون ذويه ، فقد كان فقيد الجميع تغمده الله بواسع رحمته وأحسن مثوبته فى دار الخلد إنه على ما يشاء قدير .



عبدالله عريف

الأستاذ عبدالله عريف

أسمر شديد السمرة ، أسود العينين أقرب الى الطول منه الى القصر كان معتدل الجسم فى شبابه ولكنه ثقل بعد ان أكتهل فأصبح جسيما ، يرتدى العباءة العربية والعقال ويضع نظارة على عينيه بصورة دائمة ٠

ولد عبدالله عريف بمكه المكرمة عام ١٣٣٦ هـ وتلقى تعليمه الابتدائى بها ثم ابتعث الى القاهرة وتخرج من دار العلوم بمصر ، وكان خلال سنوات ابتعاثه على صلة مستمرة بمعالى المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان الذى كان يشجعه كما كان يفعل مع الكثيرين من الطلاب المبتعثين ، وبعد عودته الى مكة المكرمة عمل فترة من الوقت بديوان التفتيش بوزارة المالية ، وفى عام ١٣٦٥ هـ أسندت اليه رئاسة تحرير جريدة البلاد السعودية ـ صوت الحجاز سابقا ـ بعد ان عادت الى الصدور بعد احتجابها مع بقية الصحف طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية ولم يكن عبدالله عريف غريبا عن دنيا الصحافة والكتابة فقد كان يكتب فى جريدة صوت الحجاز كما كان يكتب فى جريدة أم القرى ، وفى صوت الحجاز جرت بينه وبين الأديب المُجيْد الأستاذ حمزة شحاتة مناقشات طويلة عن الفن وعلاقته بالأدب ، ولقد ذكرت من قبل ان أغلب من عرفت من الكتاب والشعراء كانت لهم بدايات حسنة تنبىء عن الأصالة وعبدالله عريف كان واحدا من هؤلاء

الكتاب ، فقد لفتت كتابته الأنظار وهو مايزال طالبا فى دار العلوم بالقاهرة الى ان استوى كاتبا كبيرا يرأس تحرير اول جريدة يومية فى المملكة وهى جريدة البلاد السعودية ، التى تحولت فى عهده الى جريدة يومية بعد ان كانت تصدر باسمها الأول صوت الحجاز ـ اسبوعية ـ كما زادت صفحاتها ولقد ظل عبدالله عريف رئيسا لتحرير جريدة البلاد فترة طويلة امتدت الى ما يقرب من عشرة أعوام من عام ١٣٦٥ هـ الى عام ١٣٧٥ هـ وعرف فيها ككاتب يعالج الشؤون العامة بأسلوب رزين وكان ناقدا يطالب بالاصلاح شأنه شأن من يتصدى للكتابة اليومية فى الصحف وخاصة فيما يتعلق بالأمور التى تتصل بحياة الناس اليومية فى المجالات العامة وخلال رئاسته لتحرير جريدة البلاد أصدر كتابه المسمى « رجل وعمل » وهو ترجمة لحياة الشيخ محمد سرور الصبان وأعماله ٠٠ ولقد اضطر عبدالله عريف الى ترك العمل فى جريدة البلاد السعودية بعد ان ظل حليف القلم طيلة سنوات عشر وبعد ان كان اسمه يصافح القراء كل صباح ، ولعل بعض ما كتب كان السبب فى اقصائه عن العمل الذى أحبه وعرفه الناس منه وليس هذا هو المهم فى حياة عبدالله عريف ولكن المفاجأة التى كانت تنتظره والتى كانت الاختبار الحقيقى الذى تعرض له هى عمله فى أمانة العاصمة فى مكة المكرمة ٠

أمين العاصمة

قالوا : ـ كان صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ـ جلالة المغفور له الملك فيصل فيما بعد ـ على علم بما يكتبه عبدالله عريف كما كان يتابع أهم ما يكتب فى الصحف باعتباره المرجع الأعلى فى البلاد ، كان فى ذلك الوقت هو النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء كما كان ولى العهد ، وذلك من منتصف الستينات الى منتصف السبعينات ـ فلما أقصى عن العمل فى جريدة البلاد وخلت بعد ذلك

بفترة وظيفة أمانة العاصمة فى مكة المكرمة استدعاه جلالة الملك فيصل ـ كان يومها رئيسا للوزراء ووليا للعهد ـ وقال له انني قد عينتك أمينا للعاصمة فى مكة المكرمة وأريد منك ان تحول الأقوال التى كنت تنادى بها الى اعمال فمجالك اليوم ليس فى القول وإنما فى العمل ولديك الفرصة لتترجم الاصلاحات التى كنت تدعو اليها الى عمل ملموس ، قالوا : وقال عبدالله عريف،انني اذا لقيت من سموك العون فإني فاعل ذلك باذن الله ، وقد انطلق عبدالله عريف أمينا للعاصمة بتأييد قوي من ولى الأمر معتمدا على جهده الشخصى فى اعداد المشروعات التى يرى انها لازمة للمدينة المقدسة مجندا لذلك كل ما يقع تحت يده من خبرات الخبراء وجهد العاملين فكان يعد المشروع ويذهب به الى جلالة الملك فيصل شارحا أهميته ومطالبا برصد المال اللازم له فاذا أخذ الموافقة عليه انطلق فى تنفيذه فى غير تردد ولا إحجام متخطيا كل العقبات متغلبا على كل الصعاب ، وللحقيقة فان عبدالله عريف كمكى كان متيا بحب بلده ـ أم القرى ـ وكان يرى ككاتب ومثقف ان مكة المكرمة هى ام المدائن ، فهى مهبط الوحى ، ومقر البيت الحرام ، ومهد الرسالة واليها يتجه الناس من كل أقطار الأرض خمس مرات كل يوم واليها تحج مئات الألوف كل عام وان مدينة هذا شأنها يجب ان تكون آية فى النظافة والتنظيم وقدوة فيما يجب ان يتوفر فى أى مدينة كبيرة مثلها ، وبهذا الحب العميق ، وبهذا الوعى الذكى وبذلك التأييد القوى استطاع عبدالله عريف أن يحول القول الى عمل ، وان ينحى القلم جانبا ليعمل بكلتا يديه وبعقله وكل قوته فى بناء مكة المكرمة مدينة حديثة نظيفة فشقت الشوارع بل وفلقت الجبال لتكون طريقا ممهدا للناس واصلحت حوافيها وزينت وانتشرت الاضاءة فى كل شوارع مكة المكرمة التى امتدت وتضخمت فأصبحت تمتد من ناحية الشرق حتى تجاوزت منى وابتلعتها ومشت من ورائها عشرات

الكيلومترات فكان حيُّ العزيزية وحوض البقر ، وامتدت من جنوبها حتى شملت شارع المنصور والحفاير وحيُّ النزهة وامتدت شمالا فاتصل حى الشهداء بها الذى اصبح يطلق عليه الزاهر ، وقامت نواطح السحاب فى مكة المكرمة طبقات تعلوها طبقات كل هذا مع الحرص على توفير كافة الخدمات التى صاحبت هذا النمو من شوارع عريضة ، ومن اضاءة كافية ، ورصف للطوار وتشجير للشوارع وامتدت يد الاصلاح الى ضواحى مكة فكان القادم الى الحديبية على بعد بضع عشرة كيلومترات يجد مدخل مكة المكرمة هناك مضاء يمتد الشجر على جانبيه وكأنه يشير الى ما سيجده القادم فى مكة نفسها من جمال وتنظيم ، بل أن عبدالله عريف سعى لتجميل مدينة بحرة وهى فى منتصف الطريق بين جدة ومكة باعتبارها تابعة لمكة المكرمة ، ولم تقتصر جهود عبدالله عريف على ذلك ولكنه سعى الى ايجاد المسالخ الحديثة فى مكة ومنى كما انه كان يجند كل امكانات امانة العاصمة لنظافة منى والمشاعر المقدسة فى مواسم الحج وكان دائم التفكير والتخطيط لكل ما يراه لازما لتجميل المدينة المقدسة وتحسين مرافقها واظهارها بالمظهر اللائق بمكانتها الدينية والتاريخية ونستطيع ان نقول ان عبدالله عريف قد نجح فيما هدف اليه فتغير وجه مكة المكرمة فى عهد رئاسته لامانة العاصمة المقدسة تغيرا ملموسا يلمسه كل زائر وكل مقيم . وكانت النظافة اهم المرافق التى حرص عليها عبدالله عريف فقد كان يمر بنفسه على الشوارع وخاصة الشوارع النائية ليرى حال النظافة فيها ويحاسب المسؤولين عنها فاستطاعت مكة بهذا ان تحافظ على نظافة شوارعها وطرقها فى الوقت الذى كانت تشكو فيه مدن كثيرة اخرى من تردى أعمال النظافة فيها وللحق فإن العمل فى تحسين مكة المكرمة لم يكن وقفا على امانة العاصمة وحدها وإنما كان يشترك فى ذلك بحكم مركز المدينة المقدسة جهات كثيرة فالدولة نفسها كانت ترعى مشروع توسعة

الحرم المكى الشريف وهو أضخم مشروع من نوعه فى التاريخ للمسجد الحرام شمل مشعرى الصفا والمروة ، كما أن الدولة وخاصة بعد تأليف الوزارات المختصة تكفلت بشتى المشاريع التى تعتبر ضرورية للمدينة المقدسة والتى ساعدت فى تحسينها وإكمال مرافقها كمشاريع مياه عين زبيدة والعزيزية التى كانت ادارة مستقلة ثم أصبحت تابعه لوزارة الزراعة والمياه ، ومشاريع الحج سواء مايتعلق منها بمنى وعرفات والمزدلفة أوما يتعلق بمكة المكرمة والتى تألفت لها لجان خاصة ترعاها الدولة ويضطلع بها سمو أمير منطقة مكة المكرمة وسمو وزير الداخلية ووزارة الحج واللجان المتفرعة عن هذه الجهات كلها ومشاريع الكبارى والطرق فى منى وعرفات وطرق الحج والتى امتدت الى مكة المكرمة فشملت مداخلها وبعض شوارعها الرئيسية ، نعم إن الدولة بكامل أجهزتها كانت ولاتزال مجندة فى تحسين مرافق المدينة المقدسة وما يتبعها من مشاعر الحج.فمن العدل ان نذكر هذه الجهود كلها الى جانب جهود امانة العاصمة ، ولعل من حظ عبدالله عريف أن عهد رئاسته لأمانة العاصمة شهد كل هذه المشاريع وكل هذه الانجازات ولاشك انه امين للعاصمة محظوظ ولاشك أيضا انه كان يستحق هذا الحظ الطيب لأنه لم يركن الى الحظ فينام متكلا على أعمال غيره وإنما ساهم بكل قوته فى تجميل المدينة وتحسينها وكان منسجما مع كل إصلاح يطرأ ومع كل مشروع ينفذ كما كان يحافظ على مكتسبات هذا النجاح بالسهر الدائم والعمل الدؤوب .

تقدير الدولة

وحين تأسست أول وزارة للبلديات فى المملكة وأرادت ان تكافىء القائمين على بلديات المدن تقديرا لأعمالهم كان عبدالله عريف أمين العاصمة المقدسة هو

الوحيد بين رؤساء البلديات الذى استحق تقدير الدولة فقلد وساما منحه له جلالة الملك خالد بتوصية من صاحب السمو وزير الشؤون البلدية والقروية تقديرا لجهوده فى خدمة المدينة المقدسة وتحسين مرافقها والمحافظة على نظافتها ومرافقها ·

تكريم المواطنين

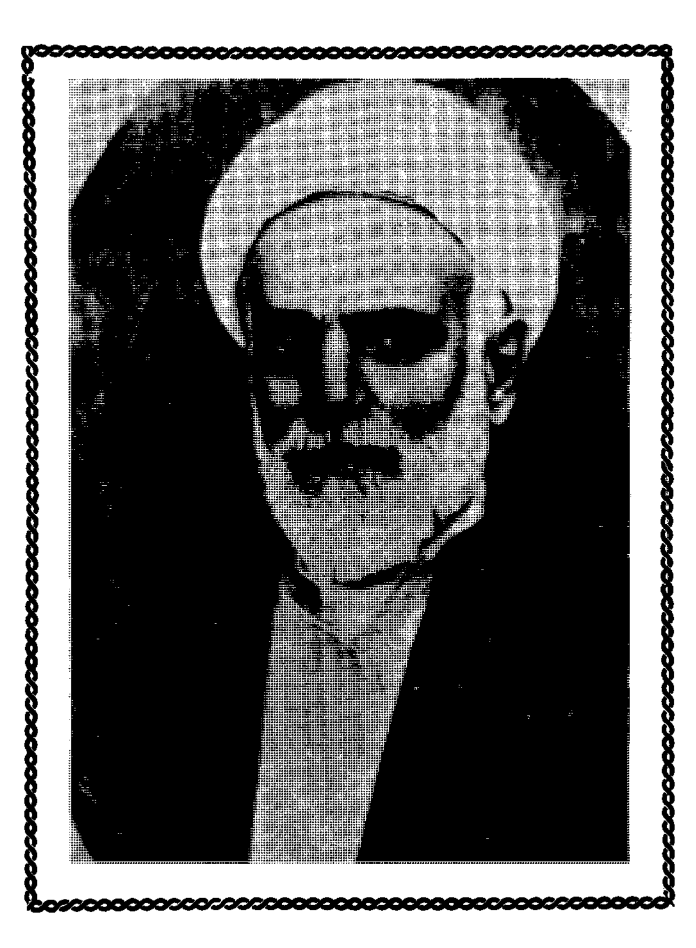
ويطيب لى هنا أن أذكر كلمة وردت فى إحدى مقالات عبدالله عريف عن نفسه وعما يطمح إليه وأن علق عليها.أذكرانه قال مرة في احدى مقالاته يخاطب نفسه ما معناه « من انت يابائع الفحم حتى تضع نفسك بجانب هذه الأسماء الكبيرة الشهيرة » وهو يشير بهذا الى انه نشأ فى اسرة متواضعة كان يعمل بعض أفرادها فى تجارة الفحم ، ولكنه كان منذ نشأته طموحا الى المجد يرنو ببصره الى الاعمال العظيمة الكبيرة التى كانت تسند دائما الى كبار الرجال وأقول إن عبدالله عريف استطاع ان يخرج من محيط اسرته المتواضع ليكون أولا كاتبا كبيرا يرأس تحرير أول وأكبر جريدة يوميه طيلة عشر سنوات ثم استطاع ان يصل ليكون أنجح امين للعاصمة المقدسة شهدت المدينة فى عهده من التوسع والازدهار ما لم تشهده فى عهد أمين آخر ممن سبقوه من ذوى الأسماء الكبيرة الذين هيأت لهم مراكز أسرهم ان يتبوأوا هذا المنصب ، نعم استطاع عبدالله أولا بعلمه وثانيا بجهوده واخلاصه ان يضع اسمه الى جانب هذه الأسماء الكبيرة بل وان يتفوق عليها وهكذا فان الطموح اذا ما صاحبه العلم والعمل كان من أكبر أسباب النجاح ، ولقد سعد مواطنو مكة المكرمة بتقدير الدولة لأمين عاصمتهم فسارعوا الى الدعوة لاقامة حفل تكريمى له بهذه المناسبة وساهم الجميع فيه متبرعين بالمال الكثير ، فلم يكن من عبدالله عريف إلا أن استجاب لهذه

العواطف الزاخرة من المواطنين ولكنه فاجأ المجتمعين بطلب إحالة هذه الأموال التى تجمعت الى مشروع خيرى نافع للبلد المقدس وساهم هو فيه بمبلغ مائة الف ريال وقد أحيلت هذه المبالغ جميعها الى احدى الجمعيات الخيرية بمكة لتصرف فى أعمال البر للمدينة المقدسة ومساعدة المحتاجين للعون من سكانها ، وهكذا أبى حب عبدالله عريف لبلده إلا أن يظهر فى كل مناسبة من المناسبات ٠

وفـــاتـــه

هذا ولقد فوجىء الناس بوفاة عبدالله عريف رحمه الله فى أواخر رمضان من عام ١٣٩٧ هـ فلقد كان يقضى بأسرته بعضا من هذا الشهر فى مدينة الطائف فحضر الى مكة فى نهاية الشهر معتمرا وبعد أن أدى نسك العمرة وصلى الفجر ذهب الى بيته ليخلد الى شىء من الراحة ولكنه وجد بعد ذلك فى سريره وقد أسلم الروح ، تغمده الله برحمته الواسعة ، فلقد كان رجلا مخلصا محبا لوطنه كل الحب ولقد كانت لوفاته رنة أسى فى جميع الأوساط لما عرف عنه من جليل الأعمال ، اسبغ الله عليه شآبيب رحمته وأحسن جزاءه فى جنات الخلد إنه سميع مجيب ٠





الحاج عبدالله علی رضا

الحاج عبدالله علي رضا

قصير القامة ممتلىء الجسم واسع العينين أبيض اللون أشيب اللحية والعارضين كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، وظل محتفظا بهما إلى آخر حياته ولكنه كان يرتدى العباءة والعقال المقصب حينما يذهب للقاء جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ولذلك قصة رواها لى ابنه معالى الأخ الشيخ محمد عبدالله رضا قال كان والدى يوما فى مجلس جلالة الملك عبدالعزيز فأهداه جلالته عقالا مقصبا فكان بعدها يرتدى العباءة ويضع هذا العقال المقصب كلما ذهب للقاء جلالته .

ولد الحاج عبدالله على رضا فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجرى وقد أدركته فى أواخر عهد الملك الشريف الحسين وهو قائممقام جدة ـ محافظ المدينة كما هو الاصطلاح حاليا ـ وقد استطاع هذا الرجل أن يحتفظ بمنصبه هذا فى العهد العثمانى ثم فى العهد الهاشمى ثم فى العهد السعودى ، ولعل مما يجدر ذكره ان الحاج عبدالله على رضا هو الذى تولى تسليم مدينة جدة إلى السلطان عبدالعزيز حينما اتفق على تسليمها صلحا فقد سافر الملك على بن الحسين من جدة بالباخرة وفى اليوم الثانى بدأ تسليم المدينة للسلطان عبدالعزيز ـ جلالة الملك فيما بعد ـ وقد رأيت الحاج عبدالله على رضا يذهب بسيارته إلى مقر الملك عبدالعزيز فى الكندرة ويعود ومعه كبار رجال الملك عبدالعزيز الذين عهد إليهم

بالدخول إليها قبل جلالته ، وهكذا استمر الحاج عبدالله فى الذهاب والأوبة إلى أن عاد مع الملك عبدالعزيز فى سيارة واحدة ودخلا من باب مكة حيث نزل جلالته فى بيت نصيف وتقبل البيعة من الناس ، هذا ولقد كان الملك عبدالعزيز يؤثر الحاج عبدالله على رضا بمودته وإكرامه فلم يُعَيِّنْ أميراً لمدينة جدة طيلة حياة الحاج عبدالله على رضا وكان أول أمير لها هو الأمير عبدالعزيز بن معمر رحمه الله وذلك بعد وفاة الحاج عبدالله على رضا ، ولم يكن يتقاضى مرتبا على عمله كقائممقام وإنما كان يخدم المنصب بصورة شرفية دون مرتب فلقد كان واسع الثراء ، وكان هو وأخوه الأكبر الحاج زينل قد قاما بتأسيس بيتهم التجارى فى جدة عام ١٢٨٤ هـ ثم قاما بتأسيس فرع لهم فى مدينة بومباى بالهند ، وحينما انقسمت الهند إلى دولتين بعد الاستقلال انتقل بيتهم التجارى إلى مدينة كراتشى مع ميلاد دولة باكستان .

إن ما لفت نظرى فى تاريخ الحاج عبدالله على رضا ليست قدرته على الاحتفاظ بمنصبه كحاكم إدارى لمدينة جدة خلال ثلاثة عهود سياسية مختلفة فحسب ، وإنما محاولاته الأولى لاستخلاص الأعمال التجارية من أيدى الأجانب الذين كانوا يسيطرون عليها ، فلقد كانت هناك بيوت تجارية أجنبية كثيرة فى مدينة جدة : إنجليزية ، وفرنسية ، وهولندية ، وايطالية . وكانت هذه البيوت تتولى وكالة البواخر المختلفة التى ترد إلى مدينة جدة وكان الحاج عبدالله على رضا من أوائل التجار الوطنيين الذين فكروا وعملوا لاستخلاص بعض هذه التواكيل من أيدى هؤلاء الأجانب مفتتحا بذلك وكالته التجارية للبواخر وهو أمر كان يعتبر فى ذلك الزمان عملا عظيما بلا مراء .

ولعله من المستحسن أن نذكر الآن طرفا عن ماضى التجارة وأحوالها فى الحجاز خلال العهد الهاشمى وأوائل العهد السعودى .

كان العمل التجارى يعتمد بصورة تكاد أن تكون كلية على الاستيراد وكانت الهند هى المصدر الأعظم للاستيراد فلقد كانت الهند تصدر كل شىء إلى جدة سواء من الحبوب أو الأقمشة الشعبية أو الأحذية وأوانى الطعام وما إليها وكانت البواخر الشراعية خلال أواخر العهد العثمانى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى هى واسطة هذا الاستيراد وكان كثير من التجار يملكون هذه البواخر أو قسما منها ، كان يشترك تاجران أو أكثر فى ملكية باخرة واحدة وكان هناك ربابنة وطنيون للبواخر ومازال بعضهم يمارس هذا العمل مثل آل سلامة والرقبان وخلافهم ، ولم تكن هناك بنوك تجارية لتحويل النقود بواسطتها وإنما كانت ترسل صرًّا فى هذه البواخر الشراعية إلى البيوت التجارية فى الهند وكان التجار يعمدون إلى تقسيم المبالغ المرسلة فى عدة بواخر حتى إذا غرقت باخرة لم يفقد التاجر إلا جزءا من ماله المرسل إلى الهند وكانت هذه البواخر الشراعية تسافر فى مواعيد معينة وتعود كذلك فى مواعيد معينة متجنبة أوقات الفيضانات واضطراب البحر ولقد علمت أن هذه البواخر الشراعية كانت تجلب حاجة الحجاز من الأقوات والبضائع كما تجلب حاجة مصر منها وذلك قبل شق قناة السويس فكانت هذه البواخر الشراعية بمثابة مخازن عائمة تبقى فى البحر وينزل منها إلى ميناء جدة ما تحتاجه البلاد ويبقى الباقى فى هذه البواخر لتصديره إلى مصر التى كانت تستورد كثيرا من البضائع التى تحتاج إليها بواسطة التجار الحجازيين وعن طريق هذه البواخر التى تصدر هذه البضائع إلى ميناء السويس والقصير ، وبعد شق قناة السويس انتهت حاجة مصر إلى الاستيراد عن طريق ميناء جدة ، وأصبحت تستورد ما تحتاج إليه سواء من الغرب أو الشرق عن طريق قناة السويس ·

أقول وقد أدركت البواخر الشراعية وهى تسير بين ميناء جدة وميناء الحديدة فى اليمن ، حيث تستورد الغلال من ميناء الحديدة أو جيزان كما كان استيراد

الشعير والتمر يتم من ميناء البصرة فى العراق ، هذا وقد انتهت الحاجة إلى هذه البواخر الشراعية بعد توفر البواخر التجارية الكبيرة ، وتعاظم كميات البضائع التى تحتاج إليها البلاد ، وكانت هناك بيوت تجارية معينة فى مدينة بومباى بالهند هى بيوت الحاج عبدالله بهائى وهو هندى مسلم ، كما كانت هناك بيوت تجارية حجازية هى بيت الحاج عبدالله على رضا وبيت الحاج سليم الخنجى ولقد كانت الطريقة أن ترسل هذه البيوت التجارية برقيات إلى عملائها من التجار فى جدة بأسعار البضائع حينما يتعين تاريخ سفر إحدى البواخر الكبيرة إلى جدة ويرتبط التجار بالشراء لترد بضائعهم فى وقت واحد وعلى باخرة واحدة وكان وكلاء البواخر يعمدون إلى التبليغ عن وصولها وسفرها بواسطة المنادى - حينما كانت مدينة جدة محصورة داخل أسوارها وكان المنادى يطوف فى شوارع جدة وأسواقها ينادى ويقول على سبيل المثال - بابور بوسطة إنجليزى اسمه جهانكير ان شاء الله بكره حضوره هنا ، كل من عنده صرّه أو أمانة يراجع فى الحال الوكيل الحاج عبدالله على رضا وهكذا على البواخر الأخرى موضحا اسم الباخرة وموعد وصولها واسم الوكيل •

ولقد ظلت التجارة محصورة مع الهند تقريبا ولم يتم الانفتاح بصورة عامة إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وبانتهائها بدأت النهضة التجارية العظيمة فى البلاد وأصبح الاستيراد والتزاحم مفتوحا للجميع ، وبدأت البيوت التجارية السعودية تمارس نشاطها الواسع الذى قضى على النفوذ التجارى للبيوت الأجنبية بل وأنهى وجودها تماما ولعله من الطريف أن نذكر هنا أنواعا من التجارة انتهت تماما فلم يعد هناك من يمارسها •

كانت هناك تجارة الماء ، وكانت لمدينة جدة صهاريج كبيرة لحفظ مياه الأمطار ، وكانت هذه الصهاريج تبنى فى طريق السيول خارج المدينة ، ومن أشهر

هذه الصهاريج صهريج المشاط ، وصهريج باناجه ، وحفرة حميد الشيخ فاذا جاءت الأمطار وامتلأت هذه الصهاريج تغلق فوهاتها ويبقى الماء محفوظا فيها إلى حين الحاجة إليه بعد انتهاء موسم الأمطار فتفتح هذه الصهاريج ويباع الماء للجمهور ، وكانت أغلب بيوت جدة القديمة مزودة بهذه الصهاريج لحفظ الماء الذى ينحدر من السطوح بواسطة مواسير من القماش إلى الصهريج فى أسفل المنزل ، وكان البعض يملأ هذه الصهاريج بشراء الماء فى موسم الأمطار وتخزينه فيها إلى حين الحاجة إليه ، وكما كانت هناك تجارة للماء ، كانت هناك تجارة السمن يوم كان اعتماد الناس على السمن الطبيعى وهناك مثل مشهور متداول وهو من لا يشترى السمن فى التور ثور والمعنى أن السمن يكثر فى فصل الربيع فى برج الثور فكان الناس يقبلون فيه على الشراء لحاجة بيوتهم أو لتجارتهم ، ومثل ذلك ينطبق على الفحم قبل دخول الكهرباء والغاز إلى البلاد فكانت هناك مواسم معينة يكثر فيها الفحم ويقوم بعض تجاره بشرائه وتخزينه لبيعه بأثمان أعلى حين الحاجة إليه .

ونعود بعد هذا الاستطراد الطويل عن ماضى التجارة إلى كبير تجار جدة الحاج عبدالله على رضا لنقول إنه كان يعيش بين الناس وكأنه فرد منهم لا يشعرهم بهيمنة الحاكم ولا بسلطان الحكم ، أذكر أن الحاج عبدالله على رضا حينما كبر ابنه البكر محمد ـ معالى الشيخ محمد عبدالله رضا وزير التجارة الأسبق ـ أراد أن يزوجه ويفتتح له بيتا تجاريا خاصا باسمه وكان المنزل الذى يسكنه آل الجمجوم تعود ملكيته إلى زوجة الحاج زينل فطلب الحاج عبدالله من الشيخ محمد صالح جمجوم إخلاء المنزل لهذا الغرض فامتنع الشيخ محمد صالح عن ذلك قائلا اننا نسكن هذا البيت من عشرات السنين وفيه محلنا التجارى وعوائلنا الكثيرة ولا نجد بيتا آخر يسعنا فنحن أحوج إليه منكم ، لم يلجأ الحاج عبدالله إلى

سلطته كحاكم ، ولا إلى صلته الشخصية بجلالة الملك او سمو النائب العام ، وإنما ذهب إلى كبير تجار جدة الشيخ عبدالرحمن باناجه رحمه الله وشكا إليه الأمر وطلب منه أن يفصل فيه باعتبار أن القضية هى بين تاجرين يحتكمان إلى كبير بينهم ، وبهذا الأدب العالى كان يتصرف هؤلاء الرجال الكبار ، وكان الحاج عبدالله يستقبل الناس فى بيته التجارى ويقرأ معروضاتهم ويشرح عليها بخط يده ويحيلها إلى الجهات المختصة فى بساطة ويسر وكان يخلط نفسه بزملائه من التجار فيزورهم ويزورونه وكان يعتبر نفسه مسؤولا عن المدينة التى يمثل الدولة فيها فيعنى بأمور أهلها ما وسعته العناية وأنى لأذكر له حادثة واحدة تدل على كبر نفسه ونبل خصاله ٠

فى أوائل الخمسينات وحينما قامت فتنة ابن رفادة الذى وصل إلى مدينة الوجه عن طريق السويس مع مجموعة من المسلحين بادر المغفور له الملك عبدالعزيز بالقضاء على هذه الفتنة فى مهدها بصورة سريعة وكانت العلاقات بين البيت السعودى والبيت الهاشمى الذى كان يمثله الملك عبدالله بن الحسين لم تتحسن بعد ٠ أقول فى ذلك الوقت بالذات كانت مجموعة من شباب جدة قاموا بتأسيس أول ناد أدبى فى جدة ، وكانت الاجتماعات تتم فى هذا النادى حتى قبل الحصول على الترخيص الرسمى بافتتاحه من الدولة وكانت أغراض النادى ثقافية واجتماعية ، وكانت تلقى فيه المحاضرات والقصائد ، وكان هذا النادى يعقد بمنزل المرحوم عبدالعزيز جميل ثم بمنزل المرحوم الشيخ صالح اسلام وكان من أعضاء النادى الأستاذ حسن عواد والأستاذ حمزة شحاته والمرحوم أحمد لارى ، والشيخ حسن أبو الحمايل والأستاذ يونس سلامه وغيرهم وكان كاتب هذه السطور أصغر أعضاء النادى على الاطلاق ٠

ويبدو أنه نقل إلى الحكومة بعض أخبار هذا النادى بصورة مبالغ فيها فى الوقت الذى كانت فيه الحوادث التى ذكرناها آنفا ويبدو أن جلالة المغفور له

الملك عبدالعزيز أراد اتخاذ إجراء بالنسبة لهذا النادي وغيره من الناس ، ولكنه آثر إرجاء النصح والانذار قبل أي إجراء وعقد لهذا الأمر اجتماع كبير فى مبنى وزارة المالية بمكة سبقه تبليغ كثير من الناس بواسطة الشرطة ضرورة حضور هذا الاجتماع ، وإنى لأذكر أنه عين لنا موعدا للحضور فى الخزنة ـ المبنى الذى كانت تشغله قائممقامية جدة وهو أمام ميدان البيعة حاليا وقد أزيل المبنى لقدمه ـ فحضرنا وقابلنا المرحوم الشيخ على طه رضوان الذى كان معاوناً لقائممقام جدة وقال لنا جميعا إن السيارات ستأخذكم إلى مكة فتقابلون الحاج عبدالله على رضا فى منزله بزقاق الحفرة بالشبيكة ، وقد أكد المرحوم على طه عليَّ بصورة خاصة أن أذهب إلى هناك فذهبنا ، وكنا مجموعة مختلفة من الناس نجمع بين فئات كثيرة فهناك التجار وأساتذة المدارس والشباب وأرباب الحرف المختلفة ، وحينما وصلنا إلى مكة تناولنا طعام الغداء فى منزل الحاج عبدالله وقبل الذهاب إلى الاجتماع استدعانى وقال لى اسمع ما أقوله لك إذا انتهى جلالة الملك من خطابه تحضر إليَّ لأقدمك إليه قلت لماذا ، قال : هذا ما ستعرفه بعد ولكن احرص أن تكون قريبا منى وتحضر لأقدمك لجلالة الملك وبالفعل ذهبت إليه بعد إنتهاء خطاب الملك عبدالعزيز رحمه الله فأخذنى بيدى وكنت صغير السن صغير الحجم ، ولعلى كنت أصغر من حضر الاجتماع ، وقال لجلالة الملك عبدالعزيز بالحرف الواحد هذا هو محمد على مغربى يا جلالة الملك ـ ولقد كان جلالته فى قامته الفارعة وجسمه المليء وكنت أقف أمامه فى حجمى الضئيل كطفل صغير رحمه الله .

ولقد علمت بعدها أن سبب تقديمى لجلالته من قبل الحاج عبدالله على رضا أنه أراد إقناع جلالة الملك عبدالعزيز بأن ما نمى إليه عن النادى الأدبى أو عن شباب جدة لاصحة له ، وأراد أن يرانى جلالة الملك عبدالعزيز شخصيا ليرى أن من كان فى سنى الباكر لايمكن ان يصدر عنه ما يسىء إلى الدولة ، وأن ما أخبر به جلالته مبالغ فيه .

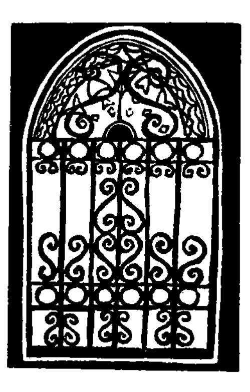
كما علمت أنه تعمد أن يدعى إلى حضور الاجتماع هذه المجموعة المختلفة من الناس حتى لايعرف المقصودون بالدعوة أو يرتاع أهلوهم ، هذا التصرف من رجل كالحاج عبدالله على رضا يدل على الشجاعة لأنه وهو يمثل الحكومة لم يقف موقفا سلبيا إزاء المدينة التى يمثل الدولة فيها وإنما حاول جهده الدفاع عن أهلها بحق شارحا لولىّ الأمر ما يعرفه فى أمانة وشجاعة ٠

هذا ومن الحق أن أذكر أن بيت آل زينل فى الهند الذى أسسه صاحب الترجمة مع أخيه كان إلى جانب عمله التجارى يقوم بعمل إنسانى نبيل فكثيرا ما أرسل الحاج عبدالله والحاج زينل المرضى إلى الهند لعلاجهم أو إجراء العمليات لهم على نفقتهم ممن لا تتوفر لهم فرص العلاج فى البلاد فى ذلك الزمان ٠

وفى عام ١٣٥٢ هـ مرض الحاج عبدالله على رضا مرضا طويلا فى مدينة الطائف وكان يصيف بها فكان جلالة الملك عبدالعزيز يزوره فى الدار التى ينزل فيها بالمثناة ويكرر له الزيارة وقد قدم المرحوم الحاج محمد على زينل ابن اخيه خصيصا لزيارته من الهند واستقدم معه الطبيب المصرى الشهير محمد عرفان بك ولكن المنية عاجلته فتوفى بمدينة الطائف فى صيف عام ١٣٥٢ هـ وحضر الصلاة عليه المغفور له الملك عبدالعزيز ودفن بمقبرة ابن العباس تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان من عظماء الرجال ٠




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد حسن عواد

محمد حسن عواد

متوسط القامة معتدل الجسم ابيض اللون تشوب بياضه حمرة ، له عينان واسعتان ملونتان ، أجرد اللحية والعارضين ، ولد بمدينة جدة عام ١٣٢٠ هجرية وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح وبعد تخرجه منها عين استاذا فيها ، كان يرتدى الكوفية الحجازية والشال وبعد تركه العمل فى مدرسة الفلاح كما يأتى بيانه اصبح يرتدى الجبة والعمامة الحجازية لفترة قصيرة وبعد انتقاله للعمل فى الحكومة ارتدى العباءة العربية والعقال واستمر على ذلك الى آخر حياته وقد ظهر تفوق العواد وبدت اشارات نجابته منذ ان كان تلميذا بالفلاح الى ان استوى استاذا بارزا فيها ، وقد ادركته فى اوائل الاربعينات وهو من ابرز مدرّسى الفلاح ومن احبّ الاساتذة الى التلاميذ وهو فى ريعان شبابه وأوج فتوته ، ومما تجدر الاشارة اليه أن العواد رحمه الله كان استاذا لكثير من ادباء جدة الذين ظهرت اسماؤهم فيما بعد مثل الاساتذة حمزة شحاتة ، واحمد قنديل ، رحمهما الله والاستاذ محمود عارف وعباس حلوانى ومحمد على باحيدرة وخلافهم من ادباء جدة البارزين ، ولست فى حاجة لأن اقول انتى كنت من تلامذته فى مدرسة الفلاح ووجدت من حسن رعايته وتشجيعه ما كان له اعظم الأثر فى نفسى فلقد كان اول من شجعنى على الكتابة اذ كان يدرّس لنا مادة الانشاء ـ وهو الاسم الذى كان يطلق على مادة

اللغة العربية فى ذلك الوقت ان صح هذا التعبير ، ولعل الكثيرين لايعرفون ان اول مؤلفات العواد كان فى شرح هذه المادة واسمه (الاكليل الذهبى فى تعليم الانشاء العربى) وقد اهدانى نسخة منه تشجيعا لى على تجويد ما اكتب وكان لهذه الجائزة اثرها الكبير فى نفسى وانا تلميذ صغير فى المرحلة الابتدائية ، وللعواد رحمه الله مؤلف آخر أو على الاصح مشاركة فى مؤلف صغير اسمه معارضات ياليل الصب ، ذلك أن العواد نظم قصيدة يعارض بها قصيدة الحصرى الشهيرة

ياليل الصب متى غده ☆ أقيام الساعة موعده

وشجع اصدقاءه من الادباء على نظم معارضات لهذه القصيدة وجمعت هذه المعارضات فى كتيب صغير وطبعت تحت اسم معارضات ياليل الصب وأذكر انه كان من ضمن المشاركين فيها الاساتذة محمود عارف وهو شاعر غنى عن التعريف ، وله دواوين مطبوعة ومحمد على باحيدرة وعباس حلوانى[1] وغيرهم من الأدباء من تلاميذ العواد واصدقائه وكان لهؤلاء الادباء منتدى صغير يجتمعون فيه مساء كل يوم للسمر والمحادثة ولكنه لم يكن منتدى ادبيا على اى حال .

بريد الحجاز

وحينما وقعت الحرب الهاشمية السعودية وتولى الملك على بن الحسين عرش الحجاز صدرت فى مدينة جدة جريدة بريد الحجاز اصدرها الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله ، وكان العواد ابرز كتابها لأنه كان ابرز الادباء فى ذلك العهد واننى انقل هنا ما كتبته عن بريد الحجاز فى الحلقة الخاصة بالمرحوم الشيخ محمد صالح نصيف مما له صلة بالاستاذ محمد حسن عواد ما يلى :

---

(١) وعبدالوهاب نشار رحمه الله

« وقد وجدت عن بريد الحجاز والاستاذ محمد حسن عواد فى كتاب « ابتسامات الايام فى انتصارات الامام » ما يستحق الاقتباس وهذا الكتاب هو ديوان يضم قصائد شاعر نجد الكبير الشيخ محمد عبدالله بن بليهد من عام **١٣٣٧** الى **١٣٧٠** هجرية ومعظم قصائد هذا الديوان فى الوقائع التاريخية التى خاضها جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وأنجاله الكرام جلالة الملك سعود وجلالة الملك فيصل رحمهما الله والكتاب مهدى الى صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل ، وكيل نائب جلالة ملك المملكة العربية السعودية « هذه كانت وظيفة سموه الرسمية حين طبع الكتاب » أقول جاء فى هذاالكتاب فى الصفحة ٨٦ عن بريد الحجاز والاستاذ محمد حسن عواد ما نصه وقلت : وانا فى مكة مع الامام عبدالعزيز وقد وردت قصيدة لرجل من اهل جدة يقال له حسن عواد وجعل توقيعه تحت قصيدته الاخطل الاصغر فرددت على ذلك الشاعر وقلت القول اللطيف فى الرد على شويعر الشريف الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده فقد ورد فى بريد الحجاز الخارج من جدة من بلد الشريف على بن الحسين قصيدة لمن سمى نفسه الاخطل الاصغر فقلت وهذا خليفة الاخطل النصرانى فقال فى قصيدته فى رجب **١٣٤٣** هجرية وهذا مطلع قصيدته على الخفيف :

حدثيهم عن بأسنا يا حراب ✡ واذقهم نكالنا يا عذاب
وامطريهم قذائفا يا مناطيد ✡ كأنَّ الدخان منها سحاب

الى ان قال :

ايها المصلحون فى الشرق مهلا ✡ اين اصلاحكم واين الصواب ؟

الى آخرها وهى ثمانية وعشرون بيتا فقلت مجيبا له :

ما اصبتـــم ومـــا لديكم صواب ✰ بعــد ما نُصَّ فى البــريد كتاب
وانتبهنـــا لقولــكم حـــين قلتم ✰ حدثيهـــم عن بأسنـــا يا حراب
إن هرمتـــم على الحـــروب فإنّا ✰ كلما طالـــت الحـــروب شباب
والقصيدة فى خمسة وخمسين بيتا ومنها فى وصف الاسلاك الشائكة التى كانت تحيط بمدينة جدة خلال فترة الحصار ·
ان ظننتـــم بان سلـــككم اليوم ✰ عن رحـى الحـرب والمنـون حجاب
فارقبوهـــا من الـــكثيب سراعا ✰ طالعـــات كأنهـــن الهضاب

ومنها فى وصف ما كان يعانيه الحجاج من فقدان الامن :
كم اخذتـــم من الحجيج فلوسا ✰ طالما ازعـــج الحجيج النهاب
كم عثـت فيهـم اللصـوص وأمست ✰ عنـدكم ما على اللصــوص عقاب
انتهى نص ما نقلناه عن كتاب ابتسامات الايام والغرض من هذا النقل هو الاشارة الى الناحية التاريخية فى الموضوع لأنَّ هذا العهد قد انقضى والحمد لله بكل ما كان فيه واستعاضت البلاد عنه امنا شاملا ووحدة كاملة ورخاء عظيما وهكذا نرى ان الشعر السياسى كان وسيلة من وسائل الاعلام فى ذلك العهد وكان يمثله شاعران من اكبر شعراء المملكة احدهما الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد من اكبر شعراء الحجاز والثانى الشيخ محمدبن عبدالله بن بليهد من شعراء نجد ومؤرخيها ومن اعلم الناس بالمواقع والآثار فى الجزيرة العربية وله مؤلف عظيم فى هذا الباب رحمهما الله ·

خواطر مصرّحة

فى عام ١٣٤٥ هـ اصدر العواد كتاب « خواطر مصرحة » وهذا الكتـاب

احدث ضجة عظيمة فى وقته لأنه كان صريحا فى معالجته للامور التى تناولها بل نستطيع ان نقول انه كان جريئا بصورة غير مألوفة ولقد تعرض العواد باصدار هذا الكتاب لمشاكل كثيرة فقد عينت الحكومة لجنة للتحقيق معه فيما ورد فى كتابه هذا[1] وخاصة فى مهاجمته للعلماء التقليديين الذين هزأ بهم فأكثر الهزء وكلفهم كما كلف نفسه شططا وفقد العواد بهذا الكتاب مكانته الممتازة كأستاذ ملحوظ فى مدرسة الفلاح بجدة وهى اهم مدرسة فى المدينة وانتقل للعمل فى المدرسة الحكومية الابتدائية التى كانت شبيهة بالفلاح ولكن لم تكن لها مكانتها ولم يطل به الامر فى المدرسة الابتدائية فانتقل للعمل فى مكة فى شعبة الطبع والنشر ثم انتقل الى جدة ليعمل رئيسا لكتاب المحكمة التجارية التى كان يرأسها الشيخ سليمان قابل رحمه الله وهو بهذا الانتقال اصبح يعمل فى غير مجاله الصحيح وهو مجال العلم والتعليم والأدب والفكر ثم انتقل أخيرا الى مكة المكرمة ليعمل محققا بالقسم العدلى فى ادارة الامن العام بالحميدية وبانتقاله الى مكة امكنه المساهمة فى تحرير جريدة صوت الحجاز حين ظهورها لأول مرة فقد كان احد رؤساء التحرير الثلاثة الذين اطلق عليهم اسم (نخبة من الشبان) وهم الاساتذة عبدالوهاب آشى ومحمد حسن فقى مد الله فى حياتهما والاستاذ محمد حسن عواد رحمه الله ، وكانت الجريدة تصدر اسبوعية وكان كل رئيس تحرير يكتب افتتاحية احد اعدادها ولم يستمر العمل فى رئاسة تحرير الجريدة بهذا الاسلوب الا فترة من الزمن ثم عين لها رئيس تحرير مسؤول وقبل ان نستطرد فى ذكر الاعمال التى تقلدها الاستاذ العواد لابد ان نقف بعض الوقت عند كتاب « خواطر مصرحة » .

---

(١) كانت اللجنة مؤلفة من صاحب السمو الملكى الامير فيصل والشيخ محمد صالح نصيف ومهدى المصلح ـ انظر ديوان العواد الافق الملتهب صفحة ٥٧ و ٥٨ ..

لقد قلت فى حلقة سابقة اننا نستطيع ان نؤرخ لظهور الادب الحديث فى الحجاز بظهور كتابى ادب الحجاز والمعرض اللذين اصدرهما المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وهما مجموعة مقالات وقصائد لأدباء الحجاز فى ذلك العهد وقد شارك فيهما الاستاذ عواد رحمه الله مشاركة واضحة وكذلك بظهور كتاب « خواطر مصرحة » للاستاذ محمد حسن عواد وهو كتاب مستقل بذاته وجميع هذه الكتب ظهرت فى النصف الاول من الاربعينات وفى اوائل العهد السعودى عام ١٣٤٥ هـ ولقد كان الأدب والشعر فى هذه البلاد فى حالة ركود تام والأدباء الذين ظهرت بعض آثارهم من قبل كانوا ادباء تقليديين ان صح هذا التعبير فالنثر تضيع معانيه بين ثنايا السجع ، والشعر تغلب عليه المحسنات البديعية التى تحفل بالمبالغات والاستحالات ، والجو الأدبى يخيم عليه الركود والانحلال فى هذا الوقت بدأ شباب مكة وجدة ممن تعلموا فى مدارس الفلاح خاصة يفتحون عيونهم على ما تحفل به الصحف المصرية من نثر وشعر وما تنتجه المطابع العربية من ثمرات القرائح والأفكار لأدباء العرب فى مصر وسوريا ولبنان بل وفى المهجر فقد كانت هناك الرابطة القلمية ولها مجلة تصدر فى نيويورك وكانت تنشر آثار الأدباء السوريين واللبنانيين المهاجرين فى امريكا كما تطبع مؤلفاتهم ومن ابرزهم جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة وايليا أبوماضى وغيرهم .

وكانت هذه الصحف وتلك الكتب بما تحتوى عليه من افكار وما تضمه من آثار تجد صدى عظيما فى نفوس الشباب المتعطش للعلم والراغب فى تجديد الحياة فى جميع مجالاتها،فلما أتيح لهؤلاء الفتية من المتعلمين ان يعبروا عن رغباتهم وافكارهم كان هذا التعبير ممثلا اولا فى الكتابين اللذين اصدرهما المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان وهما كتاب « ادب الحجاز والمعرض » وفى كتاب الاستاذ محمد حسن عواد « خواطر مصرحة » الذى هو موضوع هذه الحلقة ، لهذا كان كتاب العواد فى

حينه بما حواه من افكار جريئة مفاجأة لكل من قرأه لا فى داخل البلاد وإنما فى خارجها ولقد اعتبره الدارسون بداية للتجديد فى الادب الحجازى واستشهد به عميد الادب العربى الدكتور طه حسين رحمه الله ، كما اشار إليه الكاتب العربى الكبير محب الدين الخطيب حينما ذكر ان موجة التجديد وصلت الى الحجاز ولكنها بدأت من الشارع الخامس فى نيويورك اشارة الى ما يحفل به كتاب العواد من النثر الفنى على طريقة ادباء المهجر فى ذلك الزمان .

ومما اذكره عن « خواطر مصرحة » انني اشتريت نسخة منه وانا طالب بمدرسة الفلاح اول ظهوره وابصر الشيخ عمر حفنى رحمه الله وكيل المدرسة النسخة فى يدى فسألنى عنها فقلت انها « خواطر مصرحة » قال وهل تريد ان تقرأه ؟ قلت : نعم قال: لا تقرأه قلت ولكنه لأستاذنا العواد قال: ولو ، انه كتاب سيىء ولكن هذا النهى لم يزدنى الا إصرارا على قراءة الكتاب والاحتفاظ به ولايزال عندى حتى اليوم ، كما اذكر ان استاذنا الشيخ حسين مطر مدير مدرسة الفلاح رحمه الله القى كلمة فى الطلاب بعد صلاة الظهر حين ذاك قال فيها ما معناه ان محمد حسن عواد كان تاجا على رأس المدرسة ولكنه بعد ان اصدر كتاب « خواطر مصرحة » فقد مكانته فيها ، ولست فى حاجة لأن اقول ان كل هذا العداء لم يزد العواد الا اصرارا على موقفه وتصلبا فى آرائه. فقد كان عنيدا لا يتراجع ولو وقف الجميع ضده ، والواقع اننا لو اردنا تقييم الكتاب بمحتواه بعيدا عن الظروف التى شرحناها لوجدنا انه عبارة عن مجموعة مقالات تدعو الى الاصلاح والى التجديد فى كل شيء ولكن بعضها ينتهج اسلوبا جارحا فى التعبير وخاصة فى تلك المقالة التى يوجهها الى العلماء وكان من الممكن التعبير عن هذه الافكار بأسلوب اكثر هدوءا واقل اندفاعا ، ولكن الكتاب كما قلنا كان مفاجأة مذهلة للناس فاستحق ان يدخل التاريخ ايذانا بابتداء حركة التجديد فى الادب

فى الحجاز مع ما سبقه من كتابى « ادب الحجاز والمعرض » وما تلاهما من ظهور جريدة صوت الحجاز التى كانت تعبيرا مستمرا عن هذا الأدب لسنوات طويلة فيما بعد ٠

ولقد اصدر العواد بعد ذلك الجزء الثانى من « خواطر مصرحه » عام ١٣٨٠[١] فمرت الخواطر دون ان يشعر بها احد ذلك ان ما كتبه العواد فى عام ١٣٤٦ هـ كان جديدا على الناس وجريئا فى ذلك الزمن ، اما ما جاء بعد ذلك فقد اصبح امرا عاديا ومألوفا ولكل زمان حكمه ، وقد كان حظ العواد فى الخواطر الاولى هو فضل السبق والجرأة فاستحق بذلك ان يدخل التاريخ كأديب مجدد رائد شجاع ٠

المعارك الأدبيّة

خاض العواد معارك ادبية كثيرة سنتحدث عن ابرزها إكمالا لتصوير شخصيته الادبية ومن ابرز هذه المعارك معركته مع الاستاذ عبدالقدوس الانصارى صاحب مجلة المنهل فقد اصدر الأستاذ عبدالقدوس قصة بعنوان (التوأمان) لعلها اول ما طبع له من اثار ـ وانتقد العواد القصة نقدا لاذعا ورد عليه عبدالقدوس واستمرت المعركة بينهما بعض الوقت كما ان له معركة اخرى مع المرحوم الشيخ حسين باسلامه مؤلف كتاب « سيد العرب » وبعض الكتب عن تاريخ مكة والمسجد الحرام كما ان له معارك اخرى مع الاستاذ حمد الجاسر والاستاذ عبدالعزيز الربيع وغيرهم ولكن اهم معاركه الادبية هى معركته مع الاستاذ حمزة شحاتة رحمهما الله واننى استمد الآن من الذاكرة ما اعرفه عن

---

(١) خواطر مصرحه جزءان فى مجلد واحد مطبعة المدنى الطبعة الثانية ٠٠

خفايا هذه المعركة التى استمرت شهورا طويلة والتى كانت معركة شعرية رمزية ثم انتهت نهاية سيئة مؤسفة .

كان العواد محققا بالقسم العدلى بإدارة الأمن العام فى مكة المكرمة وكان المرحوم الاستاذ طلعت وفا رئيس القسم العدلى صديقا حميا للاستاذ حمزة شحاتة وكان حمزة دائم الشكوى من العواد ينتقد تصرفاته واعماله واحب طلعت وفا ان يجمع بين الأدبين الكبيرين لإصلاح ذات البين وتصفية النفوس فاجتمعا وكنت انا وطلعت نحضر هذا الاجتماع بمنزله فى أجياد وطال النقاش وكنت امل كما كان الأستاذ طلعت وفا يأمل أن ينتهى الاجتماع بالوفاق خاصة وان العواد هو استاذ حمزة شحاتة ولكن حمزة غفر الله له هاجمه مهاجمة شديدة جارحة وانتهى الاجتماع بالقطيعة بل اسفر عن خصام شديد وإنى لأذكر انى عاتبت حمزة رحمه الله بعد ذلك واوضحت له انه كان قاسيا فى هجومه على العواد وانه استباح فى مهاجمته مالايستباح فاعترف حمزة بذلك ولكنه كان عنيدا وبدأت المعركة بقصيدة او على الاصح بقصائد شعرية ينظمها حمزة ويرد عليها العواد وكانت قصائد طويلة تنشر جميعها فى جريدة صوت الحجاز وكان الناس يترقبونها كل اسبوع ، وكانت الجريدة اسبوعية فى ذلك الوقت وكان حمزة قد اتخذ اسم الليل رمزا له فى هذه المعركة ثم تحول فيما بعد الى العاصف ان لم تخنى الذاكرة اما العواد فكان الساحر العظيم هو الرمز الذى اختاره لنفسه ، من الناحية الفنية كانت هذه القصائد كسبا للأدب لأنها جاءت فى اسلوب فنى لشاعرين من اكبر الشعراء فى ذلك الزمان فى البلاد كما كانت مجالا للنقاش المستمر بين الأدباء والقارئين ، ولو ان المعركة اقتصرت على هذا الحد لكان ذلك حسنا ولكنها تطورت للأسف الشديد الى مهاجاة مقذعة تناول فيها كل صاحبه تناولا سيئاً حتى وصل الى الأعراض واستباح ما لايستباح وكانت هذه المهاجاة لاتنشر فى صوت الحجاز لانها لم تكن

صالحة للنشر بما حوته من فحش القول وجارح التعبير ولكن هذه القصائد كانت تكتب باليد على نسخ متعددة وتوزع فى اماكن تجمعات الناس فى مكة وقد جَرَّت المهاجاة بين حمزة والعواد الى دخول شاعرين آخرين فيها وهما الاستاذ الشاعر احمد قنديل رحمه الله مساعدا لصديقه حمزة شحاتة ومدافعا عنه ، والاستاذ الشاعر محمود عارف مساعدا ومدافعا عن استاذه محمد حسن عواد ولم يكف كلاهما عن هذه المهاجاة الا بعد ان اتسع نطاق توزيع هذه القصائد الهجائية وخشى الطرفان ان تجرَّ عليهما الجرائر فطويا تلك الصفحة السوداء وحسنا فعلا وقد اعتذر العواد فيما بعد لحمزة بمقطوعة بعنوان « عتاب » منشورة فى ديوانه نحو كيان جديد فى صفحة (١٧٥) فليرجع اليها من اراد .

العوّاد وشوقي

ومما يدخل فى باب المعارك الأدبية للعواد وان لم تكن معركة ادبية حقيقية لأنها من طرف واحد اذا صح هذا التعبير هو تعريض العواد بشعر امير الشعراء أحمد شوقى رحمه الله ومحاولة اظهاره بمظهر المقلد المسفّ حتى انه بلغ من تعصبه فى هذا المجال انه رحب بظهور ديوان شاعرة سعودية هى الآنسه « ثريا قابل » وقيَّم شعرها حتى فضلها على احمد شوقى امير الشعراء ولست فى حاجة الى القول ان ثريا قابل نفسها قد فوجئت كما فوجىء الناس جميعا بآراء العواد رحمه الله فيها وفى شوقى معا ولكن العواد كان عنيدا كما أسلفنا وكان معجبا شديد الاعجاب بالعقاد رحمه الله ولكل ما انتج من شعر ونثر وكان العقاد خصما عنيدا لشوقى فاندفع العواد فى مهاجمة شوقى متأثرا بآراء العقاد فيما اقدر لأنى لم اجد مبررا واحداً لموقف العواد من شوقى بعد وفاته وهو اكبر شعراء العصر ومن القمم

البارزة فى تاريخ الشعر العربى على امتداد العصور خاصة وان العواد قد رثى شوقى حين مات[1] وان كان هذا الرثاء لم يسلم من التعريض به الا انه كان ظاهر التقدير له ولشعره ومن المهم ان نقول ان المعركة التى افتعلها العواد انما جاءت بعد وفاة شوقى بزمن طويل ٠

النادي الأدبي

عرف الناس المرحوم الأستاذ محمد حسن عواد رئيسا للنادى الأدبى بجدة والذى تم تأسيسه مع بقية النوادى الأدبيه فى المملكة ولكن اول ناد ادبى اسس بجده كان فى أوائل الخمسينات وكان العواد ابرز اعضائه وقد كتبت عن هذا النادى فى حلقة سابقة ونوجز الحديث هنا عنه مرة اخرى لعلاقة المرحوم الاستاذ العواد به فنقول انه فكر جماعة من الشباب المتعلم فى مدينة جدة فى تأسيس ناد ادبى وتقدموا للحكومة بطلب الترخيص لهذا النادى فى اوائل الخمسينات ولكنهم باشروا نشاطهم فيه قبل ان يتلقوا الإذن بافتتاحه وكان من اعضائه المرحومين عبدالعزيز جميل وابراهيم وصالح اسلام وحمزة شحاتة ، والشيخ حسن ابوالحمايل ويونس سلامه وانيس جمجوم وغيرهم وكان كاتب هذه السطور اصغر اعضاء النادى فى ذلك الحين كما كان العواد ابرز شخصية فى النادى لانه كان استاذاً لمعظم الاعضاء باستثناء الشيخ حسن ابوالحمايل الذى كان يدرس مادة الفقه فى الفلاح وهوأسنُّ من المرحوم الأستاذ عواد وكان هذا النادى يتخذ له مقرا فى دار المرحوم الشيخ عبدالعزيز جميل بحارة اليمن ثم انتقل الى دار المرحوم الشيخ صالح اسلام بجوار مسجد المعمار وكانت تلقى فيه قصائد ادبية ومقالات وقصص

(١) نحو كيان جديد

وكان نشاط النادى اجتماعيا وادبيا ولكن النادى لم يستمر ولم توافق الحكومة على الاذن بتأسيسه فى ذلك الوقت لظروف شرحناها[1] فى حلقة سابقة وانى لأذكر للعواد قصيدة حيا بها النادى فى ذلك الوقت وكان مطلعها :

الى عصبة النادى والليل هدأة ☆ وللفكر فى هذا الهدوء تبتل
تحية مملوء الجوانح غبطة ☆ بان ضم فيكم عنصر متحلل

ومنها إن لم تخنى الذاكرة :

ويارب شيخ جلل الشيب رأسه ☆ ينازعه العليا فتى متدلل

والقصيدة طويلة ولم اجدها منشورة ضمن مانشر من شعره ولعلها مطوية بين ما ترك من أوراق رحمه الله .

الأديب الرائد

العواد اديب بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى فهو شاعر مبدع وكاتب فنان وقد ذكرنا انه وزملاءه من الرعيل الاول الذين ظهرت آثارهم فى كتابى « ادب الحجاز والمعرض » كانوا هم النوّاة الاولى لظهور الأدب الحديث فى الحجاز قبل اكثر من نصف قرن ويحتل العواد بين هذه الكوكبة الأولى من الادباء والشعراء مكانة بارزة عظيمة باصداره أولا كتاب « خواطر مصرحة » وباستمراره فى العمل الأدبى منذ نشأته الى ان فارق هذه الحياة والمتأمل لبواكير العواد الأولى من شعر ونثر يرى معالم التجديد فى الاسلوب وفى الافكار معاً واضحة وكأنها تشير الى الطريق فهو من المعالم البارزة فى التاريخ الادبى فى الحجاز وهو بهذا يعتبر رائدا من اوائل الرواد ومن اعظمهم اثرا فقد اقتدى به الجيل الجديد من

(١) راجع الحلقة الخاصة بالحاج عبدالله على رضا

الأدباء والشعراء وكان العواد كما ذكرنا استاذا لكثير منهم ولئن تميز كل منهم فيما بعد بشخصيته وباسلوبه الخاص فان ذلك لن ينقص من مكانة الأستاذ الرائد العظيم ولقد عرفت العواد رحمه الله كما عرفه الكثيرون يشجع الأدباء الناشئين ويأخذ بيدهم ويبصرهم بمواضع النقص ليتفادوه ، وبجوانب الاجادة حتى يصلوا الى الإبداع وقد احتفظ العواد بمميزات شخصيته الأدبية طوال حياته ولم يقتصر فى تشجيعه للكتاب من الشباب وانما كان من اوائل الرجال الذين شجعوا الفتاة وكرموا انتاجها وهللوا لتعليمها ولقد عنى بتعليم ابنته الوحيدة السيدة نجاة حسن عواد فكانت من اوائل المتعلمات وكان برنامجها الناجح فى الاذاعة السعودية « البيت السعيد » يشير الى ما بذله العواد لكريمته الوحيدة من علم وتهذيب ولعله هو الذى اطلق على المرأة اسم الجنس العطوف بدلا من الجنس اللطيف والعواد بهذا يشير الى مافطرت عليه المرأة من رقة وعطف أمّاً وزوجة وأختاً وبنتا ٠

مؤلفات العواد الأخرى

وللعواد مؤلفات أخرى نثرية اهمها كتابه عن سليمان بن عبدالملك وكتاب تأملات فى الادب والحياة واخيرا كتابه الطريق الى موسيقى الشعر الخارجية ولم تتيسر هذه الكتب لى وانا اكتب عنه ولم ارغب تأخير الكتابة الى ان تصلنى بقية مؤلفاته فانى مازلت ألوم نفسى على التأخير والرجل له على فضل الاستاذ وحق الصديق وانى لأرجو ان يكون فيما كتبته عن الخواطر ما يؤدى بعض حقه على ، وللذين يدرسون ادب العواد ان يقرأوا جميع ما كتب وما انتج لتكون دراستهم اوفى وأكمل ولعله من المستحسن ان نذكر هنا ان العواد كان يكتب باسم مستعار وهو « اريج نسرين » ولعل كثيرا من انتاجه فى الصحف يحمل هذا التوقيع ٠

العَوّاد الشَّاعِر

العواد شاعر مبدع وقد مارس نظم الشعر هواية ان صح هذا التعبير في سن مبكرة يقول هو أنها بدأت وهو في الحادية عشرة من العمر[1] واستمرت الى آخر العمر وقد بدأ شاعرا مكثرا وانتهى الى الاقتصاد بعد ان علت به السن وقد جمع العواد شعره في ديوانين كبيرين حرص فيهما على اعطاء اسم معين لكل فترة من فترات العمر فالفترة الأولى من الحادية عشرة الى العشرين « آماس وأطلاس » وألحقها فيما بعد بالبراعم وهي امتداد للآماس والأطلاس « ونحو كيان جديد » وهذه تمثل الفترة الثانية فترة الرجولة والنضج ويمكن ان تكون ما بعد العشرين الى الأربعين او ما قبلها ، « والساحر العظيم » وهو مجموعة القصائد التي نظمها إبان المعركة التي نشبت بينه وبين الشاعر الراحل الاستاذ حمزة شحاتة واستعرض فيها العواد كل المعارك الادبية التي خاضها وقد طبعها العواد عـام ١٣٧٢ هـ وان كنت اعرف ان هذه المعركة كانت في النصف الأول من الستينات،« وفي الأفق الملتهب » ولعلها تمثل شعره ما بين الأربعين الى الخمسين .

والصورة التي يخرج بها القارىء لهذه المجموعة الضخمة التي تضم هذه الدواوين كلها او الصورة التي خرجت بها من هذه القراءة بعد ان غادرنا العواد الى رحاب الله هي صورة الانسان الثائر على الجمود الراغب في التجديد والاصلاح،الواقف بالمرصاد لخصومه ونقاده،العنيف في خصومته المسفه لآراء نقاده الذاهب بنفسه كل مذهب ، فالعواد الشاعر هو العواد الكاتب الذي عرفناه في « خواطره المصرحة » ثائرا مجددا عنيفا مسرفا على نفسه وعلى خصومه سواء اكان

---

(١) انظر مقدمات ديوانية آماس واطلاس والبراعم في الجزء الاول من الديوان وكذلك مقدمات دواوينه الساحر العظيم وفي الافق الملتهب رؤى، ابولون في الجزء الثاني من ديوان العواد ..

هؤلاء الخصوم من الأدباء او من غيرهم من الناس وعندى ان العواد كان مخلصا فى التعبير عن نفسه اخلص التعبير واصدقه والصدق فى التعبير عن النفس بعواطفها وافكارها وشعورها هو اعظم مقومات الأديب ، وكماله انما يكون بالابداع الفنى فى صياغة هذا التعبير سواء اكان ذلك شعرا او نثرا والعواد كان اديبا مفتنا أستوت له هذه الصياغة فى مختلف شكولها فكان كاتبا مبدعا وشاعرا عظيما ولنحاول الآن اعطاء بعض النماذج عن هذا الذى وصفناه فيما مضى من سطور ٠

القلم المكسور (١)

يقول العواد فى ديوانه الاول آماس وأطلاس :

قد كسرت القلما ☆ وهجرت الكلما

وتطرفت الى ☆ ان جفوت الحكما

اذ ارى فى امتى ☆ فشلا فيما نما

يابنى قومى أما ☆ آن ان نرقى أما

فابعثوها يقظة ☆ تقلب الارض سما

نحو النور (٢)

ويقول فى نفس الديوان :

افلا زحام على الحياة ولا اقتحام ☆ حتى متى قواد فكرتنا نيام

هبوا معا نعنى بفوضى الاجتماع ☆ حكماءنا خطباءنا كتابنا شعراءنا

لاتهملوا مرضا المَّ بنا سنين

داووا الحياة وبرروا علل الصراع ☆ سلُّوا اليراع ، ودعوا النزاع

---

(١) آماس واطلاس صفحة (٤٦)

(٢) آماس واطلاس صفحة (٥٠)

نشأة[1]

وفى ديوان البراعم يقول :

يا صديقـي إليك نشـأة رهط ☆ هيجـوا شعبهـم ومـا اصلحوه
ادبـاء سماهـم النـاس والنا ☆ س اذ عَنّ حادث كبرّوه

ومنها يقول عن نفسه بعد ان استعرض الشعراء القدامى ابوفراس وزهير والأدباء المحدثين الزملاء ، البيارى والفدا والعمودى ومحمد[2]

وسأسمـو غدا بأروع مما ☆ راح يسمـو به ولـم يهضموه
رافعـا راية الجـديد من الفكر ☆ فقـد ضقـت بالـذى رسموه
سوف املى على الجميع احترامى ☆ واعترافـا ياطـالما همسوه
فأزجّـي خواطـرى والخليون نيام ☆ ومطمعـي عرفـوه
وليدوروا السنـين حول التخاميس ☆ وتقلـيد كل مـا سمّـوه[3]

ومنها

ليـس بالمعـرض الرتيـب ☆ ولا صورة ما سطـروه او حفظوه[4]
لا ولكنـه شعـور وافكار ☆ حرار تسـود ما كتبوه

ومنها

وتـدوّى فى الجيل ثم تدوى ☆ فى الـذى بعـده ومـن يتلوه

والعواد يذكر ان هذه القطعة نظمت قبيل اصدار الخواطر وبعد ظهور كتاب المعرض الذى اشار اليه العواد وانتقد المشتركين فيه وهو احدهم وقد ظهر المعرض

---

(١) البراعم صفحة (٤)

(٢) محمد البيارى وعبدالله فدا ومحمد سعيد العمودى ومحمد سرور الصبان .

(٣) البراعم (٧) .

(٤) نحو كيان جديد صفحة (١٨)

عـام ١٣٤٥ هـ كما ان الخواطر ظهرت فى نفس العام وليس من شأننا التحقيق فى التواريخ وانما الغرض هو الاشارة الى ما ستحدثه الخواطر من ضجيج بعد ظهورها وقد أثبتت الأيام صحة هذا الشعور •

داعى الوئام

وفى البراعم قصيدة حيا بها الشاعر جريدة بريد الحجاز التى اسلفنا الحديث عنها والتى كان هو ابرز كتابها بل وشعرائها ومطلعها :

صاح حى الرقــى حى السلاما ☆ حى داعــى الوئــام حى الوئاما
حى عصر النهــوض حى التعالى ☆ حى بالمجــد أمــة تتسامى

ومنها

قد حرمنــا حرية العقــل عصرا ☆ وحرمنــا حتــى حرمنــا الكلاما[1]
طال عهـد السـكوت حتــى مللنا ☆ وأردنــا ان نكسر الاقلاما

ومنها

طال سجــن الـيراع والآن يبغى ☆ ان يرى فى فم الزمــان ابتساما

ومنها

طال عهـد السـكوت حتــى حسبنا ☆ ان هذى الحياة عادت مناما

المثل الأعلى

وفى قصيدة المثل الأعلى وهى من عيون شعر العواد يقول :

ياحبيبـى ابــدا فى كل ظرف يتحورفى ضجيج الصبح فى همس المسـاء الهـادى

---

(١) يشير بذلك الى عهد الشريف الحسين بن على حيث ان بريد الحجاز ظهرت فى عهد ابنه الشريف على •

فى غمار الجد فى سعى الحياة الهازئى☆انت فى العين وفى القلب مصور غيرمنسى

ومنها :

ولنجاوز مُسَخاً تمعن فى الاسفاف فى هذا الكفاح
ولنمايز بين من يفعل مخفياً وذى الفعال الصراح
ولنساير روعة الدنيا بأقدام الجرىء
ولنعضد محسن الأمر ونرثى للمسىء

رَثاء عَبْدالله حِمدوه

رثى العواد الشيخ عبدالله حمدوه مدير مدرسة الفلاح بمكة المكرمة حين توفى بقصيدة مطلعها

وقارك لايزجى الوقار منونا ☆ حقيق بأن يندى عليك عيونا
أ أرثيك شيخ النشء والنشء كله ☆ يذرف دمعا فى رداك هتونا

ومنها :

وربة يوم ثرت فيه فخلتنى ☆ أداجيك رأيا او أنيلك لينا
فألفيت منى عارفا حق رأيه ☆ عزوما فصافحت العزوم ضنينا
وأذهلك الحق المبين على فم ☆ تؤمل منه لثم كفك هونا
وذى شرعة السبعين فيمن ترزمتوا ☆ تُصَبُّ على رأس الشيبة دينا

يدُ الفنّ تحطِّم أصنام الإتباع
(أو الساحر العظيم)

نظم العواد قصيدته الكبرى الساحر العظيم فى اكثر من خمسمائة بيت وأفرد لها جزءا خاصا من ديوانه وهى تمثل الخصومة الشعريه الكبرى التى نشبت بينه وبين الأديب الراحل الأستاذ حمزة شحاتة كما اسلفنا ولم يكتف العواد فى الساحر العظيم بحمزة وانما تعرض لكل من جرت بينه وبينهم معارك ادبيه مثل المرحومين احمد قنديل والشيخ حسين باسلامه مؤلف كتاب سيد العرب والاستاذ عبدالقدوس الانصارى مدَّ الله فى حياته وغيرهم وقد رمز العواد لكل منهم برمز معين وحسنا فعل وليس هنا مجال الفصل بين حمزة والعواد رحمهما الله وانما يترك ذلك للدارسين وبعد ان تظهر الى النور آثار المرحوم حمزة شحاتة التى لم تطبع حتى الآن لتكون المقارنة ويكون الحكم ومطلع القصيدة او الملحمة الكبرى هو :

عشق الخلد طامحا نزّاعا ☆ فامتطى فنه اليه طماعا

شاعر فنه يحلق بالفكر ☆ الى عالم اشد ارتفاعا

ومنها فى وصف هذا الشاعر الذى هو العواد نفسه

واذا قَصَّ فالشخوص تناجيك ☆ عيانا كان تحس رئيا[1]

فترى اسطرا تفيض حياة ☆ كل لفظ تخاله آدميا

---

(١) الساحر العظيم صفحة ٢٠

ومنها

لم يكن ساحرا كما يفهم الدهماء ☆ لكنه تدفق نورا[1]

وهو فن علمته اياه ☆ فسبحانك العليم الخبيرا

وفيها يصف خصومه :

ان آثارهم ثغاء شياه ☆ تبصر الذئب وانذر دجاج[2]

هم على ما ترى وتعلم منهم ☆ ادباء قد ركبوا من عجاج

ومنها وهي من اجمل مقطوعات القصيدة :

وانجلى الامر عن خميلة زهر ☆ واذا شئت فهي روض انيق[3]

ابدعته من الحياة يد الفن ☆ فذا هائل وذاك رشيق

غرسته أنامل الشاعر الفذ ☆ فغرس باهر ودوح سحيق

لا تقل انها ورود ففيها الشوك ☆ في كل خطوة مطروق

ومنها

الغروب الجميل يلبسه الزهر ☆ ويكسوه بالبهاء الشروق

فاذا الشمس في الغداة اطلت ☆ فالحبيب المسلم المعشوق

واذا ودعت أصيلا فحفل ☆ باهر فيه نشوة وغبوق

ونكتفي بهذا القدر من النماذج التى اوردناها والتى تصور العواد الثائر العنيف والفنان المبدع العظيم لنتحدث عن جوانب اخرى من هذا الشاعر العظيم المتعدد الجوانب ،

---

(١) الساحر العظيم ٢٢

(٢) الساحر العظيم صفحة ٢٣

(٣) الساحر العظيم صفحة ٢٥

الجزء الثاني من ديوان العواد قسم الاول الساحر العظيم صفحة (١٧)

الشئون العامة

عنى العواد بالشؤون العامة ان صح هذا التعبير لا لبلاده فحسب وإنما للبلاد العربية كلها وقد بدأ عنف العواد ضد التأخر والجمود والتزمت ثم تحول بعد ذلك الى عنف مع الخصوم الذين وقفوا فى سبيله مصلحا مجددا ثم الى الخصوم من الشعراء والنقاد الذين عاصرهم واتصلت أسبابه بأسبابهم يقول العواد فى قصيدة يودع فيها الملك الشريف الحسين بن على بعد ان ترك العرش عام ١٣٤٢ هـ والعواد فى اوائل العشرينات والقصيدة بعنوان ٠

وخز الضمير(١)

يامالك الملك اليك المآب ... ما الملك فى ملكك الاسراب
يا صاحبى يا خدمى يا اولى ... الشأن بملكى واللظى والحراب
حسبى عذابا اننى سامع ... صوتا من الداخل حسبى عذاب

ومنها :

دعونيَ الداهيَ فى امة ... لا تعرف السواس الاصعاب(٢)
أهالت الألقاب لى ضخمة ... فاورمت أنفى وذاك المصاب
فخلت نفسى فى ربا مكة ... هرون بغداد رفيع الجناب
ولم اقدر اننى خادم ... للشعب والشعب دقيق الحساب

ومنها :

عاهدت جونبول ولكنه ... لم يرع عهدى ما امرَّ الخلاب(٣)
وكان جيرانيَ أوْلى بأن ... اوليهم العهد وعون الصحاب

---

(١) البراعم صفحة (١٦)

(٢) البراعم صفحة (١٧)

(٣) البراعم صفحة (١٨)

ومنها

والحكم عندى تابع للهوى ☆ أساسه رجراجة كالسحاب
شورى امام الناس لكنها ☆ ابعد عن نهج الصواب
مجلسها مستبعد زائف ☆ اصنامه مركوزة لا تهاب
ليس لها رأى ولا حرمة ☆ تلحظ او حرية تستجاب

وللعواد قصيدة اخرى بعنوان :

متى

متى نرتقى المجد الصريح المخلدا ☆ ونكتب فى التاريخ فخرا مؤبدا[1] ؟
متى نملك الشأو الرفيع جلالة ☆ ونرمى الى العلياء سهما مسددا ؟
أنبغى المعالى بالتقاعس ضلة ☆ ونطلب عزا فى الخليقة رُقّدا ؟

ومنها :

أرونا نهوضا واتركوا اللهو واكتبوا ☆ على صفحات العصر ذكرا مؤبدا[2]
ولا تتوانوا إن سمعتم مقالة ☆ يرددها الشانى وقولا مُفَنّدا
يفيض على الأسماع والسمع مطرق ☆ محاسن أوروبا ويطرى مرددا
ويوحى إلينا أن للغرب عزة ☆ تربع منها هامة النجم مقعدا

ومنها :

فما ولد الغربى فى الكون راقيا ☆ وما ولد الغربى فى الكون سيدا
وما هو الا الجد من حاك خيطه ☆ تناول عن بعد سماكا وفرقدا

---

(١) البراعم صفحة (٢٥)
(٢) البراعم صفحة (٢٦)

والعواد شاعر وحدوى نادى بوحدة العرب من المحيط إلى الخليج وقد حيًا بعثة الكشافة العراقية التى قدمت للحج بقصيدة تلمس فيها هذه المعانى واضحة جلية ٠

إلى الكشافة العراقية

للنــديد النبيل عنــد النديد ☆ كل ما للعقيد عنــد العقيد[1]

ومنها :

إن فى فكرة التآخــى لارهاصا ☆ يرينــا قرب النهــوض الأكيد

ولهــذا شعارنــا فى بلاد العرب ☆ هذا دين الإخــاء الوطيد

لا حجــاز لا سوريا لا عراق ☆ لا ولا نجــد فى رضى التوحيد

إنمــا أمــة كبــيرة آمال ☆ جسام عدوة التبــــــــــديد

شعــب حق مسترجــع عربى ☆ واحــد ســيره عريق الجدود

إن تنــادى فإنمــا يتنادى ☆ بِـمَعَــدٍّ فى تاجــه المعقــود

ومن المهم أن نذكر أن هذه القصيدة إنما نظمت قبل أن تنال معظم البلاد العربية استقلالها فقد كان العراق ومصر وفلسطين والأردن تحت الحكم البريطانى كما كانت سوريا ولبنان والمغرب والجزائر تحت الحكم الفرنسى وليبيا تحت الحكم الايطالى وللعواد قصيدة أقدم من هذه فى وحدة العرب تعود إلى منتصف الأربعينات ومطلعها ٠

وحدة العرب[2]

عرب الجــزيرة كم تكون سعيدة ☆ هذى الحياة بوحــدة الأبعاد

تتوحــد الأشتــات فى مجموعها ☆ ويعــزز المجمــوع بالأفراد

---

(١) نحو كيان جديد صفحة (١٨٧)

(٢) آماس واطلاس صفحة (١٨)

فيقـــوم من بردى إلى صنعائها ☆ أمــل يرن صداه فى الأبعاد
ومــن القصيم إلى ربــى غرناطة ☆ تبنــى الحياة عميقــة الأوتاد

كفاح الجزائر المقدس (١)

وللعواد قصيدة فى كفاح الجزائر من أجمل الشعر ومطلعها

روعــة الوثبــة فى همس الحراب ☆ فى بنيك الصيد يا آســاد غاب
أو على البيض الرقيقــات الحرائر ☆ فعلى اســم الله ســيرى يا جزائر

ومنها :

هذه الأمــة من أين أتاها ☆ ذلك الايمــان فى كل خطاها
شيخهــا يكرع منــه وفتاها ☆ أنــه دين كفــاح وحميه
وتباشير حــياة عربـــــــــــية ☆ فعلى اســم الله ســيرى يا جزائر

وللعواد قصيدة أخرى بعنوان قوميتى (٢)

أحــب الجـزيرة والموطـــــــــنا ☆ ومستقبــل العــرب أن يعلنا
أحــب الحجــاز أحــب السراة ☆ مدار العروبــة أصــل المنا
ونجــدا وإحساءهــا والعسير ☆ وحائــل واليمــن الأيمنا
أحــب العــراق أحــب الشآم ☆ ومصــر ولبنــان والاردنــــــــا

وقد استعرض فيها العواد أسماء البلاد العربية جميعها ولا يتسع المقام لأكثر مما أوردناه عن شعره الوطنى فى الشؤون العامة فلننتقل الآن إلى جانب آخر من جوانب هذه الشخصية الفذة ٠

---

(١) الافق الملتهب صفحة (١٠٦)
(٢) الافق الملتهب صفحة (١١٠)

الشعر الروحي

للعواد قصائد فى الرسول الأعظم صور فيه شعوره حينما زار المدينة المنورة ، كما صور فى قصيدة أخرى قصة التجائه صلى الله عليه وسلم والصديق الأكبر إلى غار ثور وقصيدة بعنوان النبى فى شعور الدهر وغيرها من القصائد الروحية ونكتفى بأن نورد بعض المقاطع من هذه القصائد كنماذج على الشعر الروحى .

الغار (١)

فـــى ذات أمسية لئيـــــــــــمة ☆ إبلـيس أودعها سمـــــــــــومه
جمـــعت قـــريش أمـــــــــــرها ☆ لاحبـــذا هـــى من سخيـــــــمة
فتجمهرت للكـــــيد والشيـــــطا ☆ ن يلهـــــــمها علـــــــومه
فكأنمـــــــــا هو مأتـــــــــم ☆ دام ومعـــــركة أثيـــــــمة

وبعد أن يصف ائتمار قريش بالرسول الأعظم وتبييتهم أمر القتل وخروجه صلى الله عليه وسلم إلى الغار وخشية الصديق على الرسول مما قد يكون فى الغار من الأخطار وتثبيت النبى الأعظم صديقه ورفيقه يقول بعد ذلك :

ولـــشـــد مـــا أتـــت السكينة ☆ فاستحال الغار أفـــــــــقا (٢)
وتبدلـــت أمنـــا مخـــــــــــافة ☆ مـــن تَجَهَّمَةٍ فرقـًـــــا
ورأى الســـمـــاء تكـاد تحتضن ☆ الــثرى حـدبا ورفـــــــقا
وإذا الســـاء تكفلـــت ☆ بالأرض فالنزعـــات غرقـــى
فمـــن السكـــينــة كـان منبثقـــا روح الســلام على الألى غبروا
وبها يعود بروعـــــة دعيت فى الأرض إســـــلاما سينتشر

(١) الافق الملتهب صفحة (٧١)
(٢) الافق الملتهب (صفحة ٧٧)

دافق النور

وفى قصيدة النور يقول العواد فى المطلع (١)

دافــق النــور رحمــة وسلاما ☆ ومنمســيه عــزة ووئـــــــاما

فاعتنقنــاه يقــظــة وسمـوا ☆ وعقلنــاه حكمـة ونظامــــا

ومنها

لســت ربــاً كما يبالــغ بعض☆ النــاس لا لســت رباً(٢)

أنــت الغيث كل رب سوى الله ☆ وأضرمتهــا على الشرك حربا

أنــت حطمـت كل رب على الأرض ☆ دعــى مشى إلى الطفولـة دربا

فنشرت التـوحيد فى النــاس يمشى ☆ ثورة فى النهــى وعــدلا وحبا

وسلامــا ورحمــة ومساواة ☆ وعطفــا على الضعــاف وقربى

ونكتفى بهذا القدر من الشعر الروحى لنتحدث قليلا عن الشعر الفلسفى بل الشعر الفكرى فهذا هو التعبير الأدق عما سنعرضه من نماذج لأنه إنما يتحدث عما يجول فى ذهن الشاعر من أفكار وما يراود خيالـه إزاء أحـوال الحياة ومظاهـر الكون ، والفلسفة هى كما هو معروف لا تكتفى بالتعبير ولكنها تبحث كذلك عن التعليل وتخرج منه بمذهب متكامل والعواد لم يكن فيلسوفا ولكنه كان مفـكرا وحسب وحينما يقف أمام التناقض الذى يظهر فى الحياة أو الذى يراه هو تناقضا ينتهى إلى التسليم والإيمان ، فهو إذا مفكر مسلم ، والفلسفة لا تعترف بالتسليم وإنما تخترع المذاهب ولهذا كان الضلال .

---

(١) الافق الملتهب صفحة (٨٦)

(٢) الافق الملتهب (٨٩)

سر الطبيعة والحياة (١)

يقول العواد فى قصيدة بهذا العنوان

لم هذى الرياح تدوى شمالا ☆ وجنوبا تفرق الأمطارا
لم ذا البحر فى هدوء إذا شاء ☆ وإن شاء أرسل التيارا
لم فى البحر بَعْدُ جزرٌ ومَدٌّ ☆ يتبع البدر تارة والسرارا
لم تسرى سيارة الأرض ☆ حول الشمس دَآبَةَ السرى ادهارا
لم هذى الاجرام تشرق ليلا ☆ لم ذا الشمس تبهر الأبصارا

ومنها

لم نحيا على البسيطة جبرا ☆ ونعيش السنين فيها حيارى
ولم الموت والحياة بكرهٍ ☆ يسلب النفس عزة واقتدارا

ومنها

نحن كالأولين نحيا دواليك ☆ ويحيا من بعدنا أعمارا
وتدور الحياة والشمس والأقمار ☆ والليل والنهار بدارا
وسيبقى سر الحياة معمى ☆ وستلقى العقول بعد خمارا

ولكن الشاعر سينتهى إلى الايمان فيقول :

رب آمنت أنك القادر ☆ الفرد ملكت الظلام والأنوارا
وُنهانا نار الحباحب فى ☆ الليل وأوهى من الحباحب نارا

---

(١) نحو كيان جديد صفحة (٢٧)

يا ليل

وللعواد قصيدة أخرى فى هذا المعنى يقول فيها

يا ليل كم سامرت أنجمك ☆ الصماء تحكى العقد منتثرا
درر تفوق الدر حيث بها ☆ معنى الحياة يشع منبهرا
وأِلتُّ أسألها وما برحت ☆ تعطى الجواب أغف مختصرا
لا تستطيع إبانة وكذا ☆ تحلو الحياة لطالب أثرا

وينتهى فى هذه المرة إلى أن هذا الغموض هو الذى يعطى للحياة سحرها فلو كان كل شيء واضحا لغدت الحياة تافهة رتيبة :

لو كان مافى الكون متضحا ☆ كل الوضوح لما غدا صورا
وغدت حياة الناس تافهة ☆ وغدا الخيال العذب محتقرا
كم فى الحياة مظاهر عجب ☆ تقضى وتمنع كلها الوطرا
ومفاتن شتى منوعة ☆ ووراءها المعنى قد استترا

ونكتفى بهذا القدر من أفكار العواد الشعرية رغم كثرة ما يمكن الاستشهاد به فى كل باب لأن نَفَسَ الحديث قد طال أكثر مما كنت أتوقع ولنتحدث الآن عن لمحة من شعر العواد فى الغزل •

شعر الغزل

لعلى أفاجىء القارىء كما فوجئت أنا برأيى فى غزل العواد فالوصف الغزلى عند العواد هو وصف حسى لم يخرج فيه عما فعله القدامى الذين نقدهم فأوسعهم نقدا بعد أن بليت عظامهم فى الثرى ولا تعليل عندى لهذا إلا لأن العواد شاعر

فكر أكثر منه شاعر عاطفة ، كما أنه يذهب بنفسه كل مذهب فاذا كانت المرأة تملك مفاتن الجسم فانه هو يملك مفاتن العقل وجرأة الرأى وليس هذا الادلال بالنفس من الغزل فى شىء وليس المحب من يذكر محاسنه وإنما الأديب هو الذى يدع هذه المحاسن تتحدث عن نفسها حتى يلمسها المحب فيتحدث عنها يقول العواد فى قصيدة بعنوان :

الروض الضائع ـ ١ ـ

شاقنـى الـروض فانجذبـت اليه ☆ ساعـة وانتجعـت أطلـب ظلا

فسبتنـى زهـوره والأفانين ☆ التـى حولهـا غدت تتدلى

وتـذكرت من غدائرك السود ☆ انسيابـا يرى بهـن وشكلا

وتـذكرت من لواحظـك الذبل ☆ ارسالهـا إلى القلـب نبلا [٢]

ومنها :

وتـذكرت من قوامـك ذاك ☆ الهيف الرائـع المدِلَّ المذلا

ومـن الوجنتـين ما يرسـل الحمرة ☆ من ذلك الشعـاع المحلى

ومـن المقلتـين ما يخجـل النرجس ☆ فيـه إذا بـدا يتجـلى

فهذا الوصف الحسى لم يخرج عما وصف به المرأة قدامى الشعراء ولقد كان المنتظر من العواد الشاعر المجدد أن يكون فى شعره الغزلى ذلك الوهج الذى يحس به القارىء لذع العاطفة وتوهجها ودفق الشعور فى خفقات القلب والوجدان ولكن العواد على أى حال ينتهى فى هذه القصيدة إلى نهاية شعرية جميلة فيقول :

---

(١) نحو كيان جديد

(٢) نحو كيان جديد صفحة (٨٣)

فتلفت باحثا فاذا الروض ☆ على ذكريات حسنك ولى
ضاع منى فلست أبصر ما فيه ☆ من المغريات إلا الأقلا
وامحى كالخيال إذا اخذ الواقع ☆ منه مكان ماهو أولى
أنت يا من أحب روضى وهل ☆ مافيك فى الروض ؟ لا وربك كلا

يد عبقرية تهب الحب ـ ١ ـ

ويقول فى مقطوعة أخرى :

غرام سحقناه فقدرتّ عهده ☆ وآخر قد وافى فلله مجده
فمرحى لذا الحب الجديد ومرحبا ☆ ولا دَر دَرٌّ الذاهب الصعب رده

وما هكذا يناجى الحبيب الذاهب ، ولا الغرام الماضى ، لكأن العواد يتحدث عن خصم من خصوم أفكاره أو ناقد من نقاد شعره وأدبه ، أين القلب وإحساسه ازاء ما مضى ، وأين آثار ما بقى ويقول بعد ذلك

فلم يدر دارٍ حينما حل مهجتى ☆ أيعبد روحى أم هو الروح عبده
فيا مشعلا منى شبابا أجله ☆ وممتلكا منى فؤادا أعده
ومتخذا عندى يدا عبقرية ☆ بعثت بها حبا طفقت تمده
هنيئا لك القلب الذى منك نوره ☆ وتعسا لحقد كان والتعس بعده

ونختتم الحديث عن شعر الغزل بقصيدة من أجمل ما نظم العواد فى الغزل رغم ما فيها من الإدلال بنفسه إلا أنها تستحق الاشادة والتسجيل ، فقد تجافى فيها عن الوصف الحسى وتسامح مع المحبوب فى خطئه النحوى بل وجاراه فيه وهى عندى من أجمل ما نظم العواد فى الغزل .

---

(١) نحو كيان جديد صفحة (٣)

استمالة ـ ١ ـ

يا هاجرى واجلُ حسنك ☆ ان تبتلى بالهجر خدنك
لطعنتنى بالكبرياء على الهوى ☆ وأجدت طعنك

ومنها

أفذاكر أنت العهود ☆ الغابرات وما أفدنك
أفذاكر أنى أبحتك ☆ قلبى الفد المحنك
وأبحتنى ما لا تبيح ☆ من الغرام ولن أظنك

ومنها

وأقول والبسمات فى فمك الجميل تبين سنك
ممن تعلمت العناد ☆ منسقا فتقول مِنّك
لحن قهرت به صحيح اللفظ ما أن شان حسنك
فنٌ تتيه به على الفن القوى فديت فَنَّك
فجررتنى نحو الدعابة لاحقا لأوانسَكْ
وختمتها بمقالتى أنى ☆ أخذت الحب عنَك

وهكذا تكون الدعابة فى الغزل عذبة حلوة وهى ساعة من الساعات التى غفل فيها شيطان العواد العنيف ليستيقظ فيها الشعور الرقيق اللطيف ٠

الشعر الإنساني

ونختتم الحديث عن شعر العواد بمختارات من شعره الانسانى الذى تجلى

---

(١) نحو كيان جديد صفحة (٩٤)

فيها شاعرا إنسانيا دافق العاطفة والشعور وأبدأ هذه المختارات بقصيدة العواد فى رثاء أمه .

فى بيتها وعلى قبرها ـ ١ ـ

ايه يانفس هذه شارة القدس ☆ وذا الشعر فانظمى قدسيها
هذه أمى الجليلة فى بيت ☆ على قدر زهدها يحتويها
ههنا تكمن الطهارة والزهد ☆ فتعلو مسرة النفس فيها

ومنها :

ها هنا ها هنا جمال جليل ☆ ها هنا ها هنا العزيزة أمى

ويقول فى وصف بيت أمه :

هو بيت يلوح جد حقير ☆ قد خلا من مناعم مستطابه[2]
ليس فيه حفاوة تبهج العين ☆ ولا فيه جدة وخلابه

ثم يقول :

قد تعرّى عن كل ذاك وهذا ☆ من شؤون لكنه بيت أمى

ومنها :

فهو لى فى الحياة شارة قدس ☆ وهو لى فى مفازة العيش راحه
وهو الكنز إن شكت نفسى العسر ☆ ومعنى الغنى يرينى انفساحه
وهو عيدى اذا انقضت فرحة العيد ☆ لدى الناس انه بيت أمى

ثم يقول

إنه مسجدى وهل يقصد المسجد ☆ الا للطهر أو للصفاء
أو لترقى العقول فيه الى الله ☆ وقد جردت من الأهواء

(١) نحو كيان جديد صفحة (١٠٥)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (١٠٦)

فاذا ما أممت أمك للبر ☆ فقد زرت مسجدا من نقاء

ثم ينتهي إلى وصف قبر أمه بعد أن وصف بيتها أو على الأصح إلى وصف شعوره بعد موتها فالقصيدة كلها قطعة من الشعور تحس فيها خفق القلب ورجفاته وتدفق الوجد حتى يستحيل شجنا يستدر الدمع ويسري في الوجدان وهذا هو الشعر بل هذا هو جوهر الشعر وروحه ٠

قلمي ما نكرت منك انطلاقا ☆ في حياتي فما أصاب انطلاقك
عدت من دفنها كئيبا ☆ أقاضيك انسياقا فما منحت انسياقك
اندفق فالشعور عندي موفور ☆ كفيل ألا يعوق اندفاقك

ولكن القلم يأبى على العواد ان يندفق كما تعوَّد ، فالفاجعة أكبر من أن توصف أو يقوى على وصفها وهو في تلك الحال فتظل مكبوتة تشتغل في النفس إلى أن تهدأ الثورة أو تسكن الفورة ولقد ذكر العواد أنه لم يستطع رثاء والدته إلا بعد مرور عام ونصف العام على وفاتها ـ ١ ـ

والقصيدة طويلة ولكنا نذكر المقطع الأخير منها تجنبا للإطالة ٠

رحمة الله للدفينة في الأضلع ☆ من قبل دفنها في الحفير ـ ٢

وجلالا لها وسقيا لقبر ☆ ضمها بين نشر ذاك العبير
وسلاما من موطن الخلد والرضوان ☆ يغشى جنانها بالعطور
ووداعا يزف ما انحبس الدمع ☆ لديه إلا لهذا الزفير

وللعواد قصيدة أخرى شهيرة بعنوان :

(١) نحو كيان جديد صفحة (١٠٥)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (١٠٨)

صلاة النفس ـ ١ ـ

قالت النفس قم نصل إلى الله ☆ فشر النفوس من لم تُصَلِّي
قلت يانفس سبحى الله طوعا ☆ وأصيخى واستنكرى أن تملى
سبحى الله فالطبيعة يقظى ☆ وتعالى قرب الخضم نصلى
فى صفاء يشع من فلك ☆ الالهام مستمليا إذا الكون يملى

ومنها :

هذه صيحة الحياة فى العالم المطوى بين النفوس طى السجل[٢]
فيجوب الضمير والفكر يجرى فى النواميس بين بعد وقبل
فيرى ما يكمن فى الماء والزهرة والأرض والفضاء المطل
هذه صيحة الحياة تنادى عاشقيها لفهم معنى التجلى

ومنها :

(٣)

سعداء أولو الصلاة ولكن ☆ عندما يدركون مجد الصلاة
كم صلاة قوامها الجسد الطالب ☆ سقط المتاع والنزهات

ومنها :

ان فى القلب جنة وجحيما ☆ واتساعا لفهم هذه الحياة
وخشوعا وعزة واعتلاء ☆ وهويا لأسفل الدركات
وصعودا إلى السماء بلا ☆ اذن ولو بواسع الفلوات
فدعى كونك الصغير ☆ سويعات وهيا إلى الخضم نصلى

(١) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

(٢) نحو كيان جديد صفحة (٣٦)

والقصيدة طويلة ولكنا نختتمها بهذه القطعة :

كلهـا كلهـا الأنـاسى والأنعام ☆ والطـير والـرؤى والطيوف
والجمادات والبهائـم والأملاك ☆ والجـنُّ والصـدى والحفيف
والأمـاثيل والعنـاصر والأزمان ☆ والقفـر والمكان الأليف
والسنـا والظـلال والفكرة ☆ والحسـن والهـوى الملفوف
كلهـا تضمـر الصـلاة وتبديها ☆ صنوفـا تمتـاز عنهـا صنوف
قُوَّمـا بالخشـوع للواحـد الفرد ☆ الوفـا تبزهُـنَّ الوف
فجمـوع منهـا تواثـب سرا ☆ وجمـوع على الحياة تطوف
غـير أنـا لانفقـه الحمـدوالتسبيح ☆ منهـا لأننـا غـير أهل

والقصيدة من أجمل الشعر الروحى وأعذبه ولو لم يكن للعواد سواها لكان بها واحدا من أعظم الشعراء ·

وللعـواد قصيدة من أرق الشعـر الغـزلى وأعذبـه ولعلى بتسـجيل بعض مقطوعاتها أسجل أن العواد قدير على الابداع فى كل فن من فنـون الشعـر وأبوابه ·

تذكير ـ ١ ـ

يـا متعـة الأنفـس يـا ساحره ☆ ويـا رضـا الشعـر وياشـاعره
يا مصـدر الوحـى وموضوعه ☆ ويا غذاء الفـكرة الحائرة
لم أنس أيامـك لم أنسها ☆ يا حبـذا أيامـك الناضره

(١) نحو كيان جديد صفحة ٦٠)

ومنها بعد ان يستعرض عهده معها ولقاءه بها

لم أنسها لم أنسها فاسمعي ☆ من عمق قلبي ذلك الاعتراف
رسائل الحب على عهدها ☆ باقية فى نفس ذاك الغلاف
غلافها الأحمر لم تنتثر ☆ منه ولن تبصرها باصره
ثم الرسوم اللات أهديتها ☆ صديقك الحافظ عهد الوداد
وخلفها الألفاظ قد أعربت ☆ عما انطوى تحت شغاف الفؤاد
الفاظ اهدائك معسولة ☆ شفافة كالسحب الماطره

بلا قلب ـ ١ ـ

وللعواد قصيدة أخرى تصور شجونه فى هذه الحياة وحظه فيها يقول فيها :

حبيبة قلبي لو عرفت بلاءه ☆ لأقصرت لومى والحياة بلاء
أنا التعب المكدود فيما أريقه ☆ تجشمني نفسى العلا فأناء

ومنها

تلث على فكرى الحياة بهولها ☆ وتزعجنى فى نظمها البرحاء
فأوغل فى استقصاء ما يستحثنى ☆ من الفكر فيها والظنون فضاء

ومنها :

حبيبة قلبي إن تسرك بسمة ☆ من النجم خفاقا عليه رداء
تزين الدجى فى ليلة راق صحوها ☆ لها لمعان بارع وضياء
فان هنا قلبا ازاء جمالها ☆ له موقف فيه أسى وهناء

ومنها :

فكم من فروق فى الحياة منظما ☆ مساعى نهى يحدو بهن عماء

---

(١) نحو كيان جديد صفحة (٦٩)

وكم وقفة بين الرجاء وضده ☆ لحرأبيٍّ في الحياة يساء
تباعده أخلاقه عن مباءة ☆ يعيش بها الأوشاب والبلداء
وتسمو به نفس تعلمت العلا ☆ وقاد خطاها في الحياة حياء
إذا ابتدرت طرق المعالى تعرضت ☆ لها عقبات طرقهن وباء
وبينا كثير من رفاق وإخوة ☆ سفائنهم تجرى بهن رخاء
تراه وقد أغرى به الحظ صرصرا ☆ لها أبدا فى مسمعيه عواء
وما هو بالمنقوص فى ملكاته ☆ وما فيه الا قدرة وكفاء
تضىء معاليه وتسمو صفاته ☆ وتشرف أخلاق لديه وضاء

ونختتم الآن هذه المختارات بعد أن طال بنا نفس القول فى شعر العواد ولكننى أشعر وأقولها مخلصا إننى لم أوفه حقه فهو من هذه القمم التى يجد الدارس فيها مجال القول رحبا واسعا وما قصدت إلى دراسة شعره فليس من أغراض هذه التراجم أن تقدم الدراسة وإنما غرضها تصوير شخصية صاحب الترجمة ما أمكن هذا التصوير فاذا كان المترجم أديبا أو شاعرا وجب أن تقدم الصورة من انتاجه لتكون أصدق أداء وأوفى تعبيرا ، وللعواد جوانب أخرى لم نتحدث عنها فهو قد شغف بالأدب اليونانى فيما وصل إليه من تراجم لعيون هذا الأدب وكذلك نظم بعض المقطوعات عن توماس هاردى بعد أن ترجمها العقاد نثرا ، وعن رديارد كبلنغ كما نظم موعظة المسيح عليه السلام وتحدث كثيرا عن الآلهة اليونانية الخرافية والقارىء يجدها مثبتة فى دواوينه وقصائده ويبدو لى أنه لو أتيح للعواد أن يتعلم اللغة الانجليزية او الفرنسية وتعمقت قراءاته فى عيون الأدب الأجنبى لكانت له جوانب مشرقة فى هذا المجال .

الشعر المنثور

وبعد فانني قرأت ما استطعت قراءته من شعر العواد وخرجت من هذه القراءة بهذه الانطباعات التي شرحتها آنفا وهناك أشياء أخرى لم أكتب عنها لأن ما فيها لا يخرج عن الصدد الذي ذكرنا وأشياء أخرى تعمدت الاغضاء عنها إذا صح هذا التعبير فللعواد ديوان آخر اسمه رؤى ابولون القسم الأعظم منه سماه عواد (شعر منثور) وأنا أسميه النثر الشعري ولي في هذا الموضوع رأي تحدثت عنه في التليفزيون وفي صحيفة البلاد بعد أن ثارت أقلام كثيرة للرد علي ومن ضمنها استاذي العواد رحمه الله فليرجع إليه من شاء لأن الشعر عندي هو الشعر الذي تحكمه الاوزان الشعرية والقوافي وقد تقبلت تعدد الأوزان وتعدد القوافي ما دامت الموسيقية متوفرة أما هذا الشعر المنثور فهو نثر وان اتسمت الأخيلة فيه بالاسلوب الشعري فانا أتقبله كلون من الوان النثر وما أكثر الوان النثر في لغتنا العربية الغنية بتعابيرها وأخيلتها وما أغنى الشعر العربي بمختلف الوانه وفنونه ، وطريقتي أن اسمي الأشياء باسمائها والعواد غني عن اضافة هذا اللون إلى شعره بما انتج وأبدع من الشعر الحق وهو يُعَدُّ من أياديه على النثر الفني المبدع وما أكثر أياديه في هذا المجال وما أطولها .

آثار عواد الباقية

ان ما لدينا من شعر العواد وهو ما اشتملت عليه مجموعة دواوينه في جزأين كبيرين يقف عند منتصف السبعينات أو الثمانينات وقد امتد به العمر الى عام ١٤٠٠ هـ فهناك فترة ربع قرن لم يطبع فيها ما انتجه العواد من الشعر ولا يمكن ان يكون خلال ربع قرن أو حتى خلال عشرين أو خمسة عشر عاما قد توقف

عن النظم وقد يكون قليل الانتاج فى هذه الفترة ولكنه لم يتوقف تماما ومن المؤكد أن يكون بين ما ترك من أوراق ومخطوطات ما يسدُّ هذه الثغرة أو يجليها فلعل ابنته الكريمة السيدة نجاة عواد تتفرغ لتخرج للناس ما بقى من آثار والدها العظيم ٠

النَّادي الأَدبي

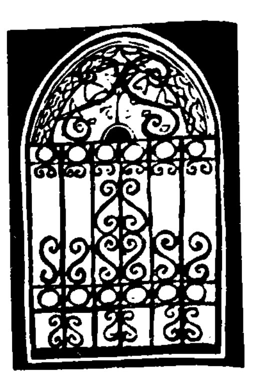
للعواد ولصديقنا الاستاذ عزيز ضياء فضل السبق فى الدعوة لإنشاء النوادى الأدبية التى تنتظم مدن المملكة فى الوقت الحاضر والتى تقدم إنتاج الأدباء والمؤلفين بتشجيع عظيم من رعاية الشباب ذلك أن العواد وضياء دعيا للمشاركة فى الحفل الذى أقيم فى الرياض للبحث فى أحياء سوق عكاظ وقد اغتنما هذه الفرصة السانحة فتقدما إلى صاحب السمو الملكى الامير فيصل بن فهد ابن عبدالعزيز رئيس رعاية الشباب بفكرة انشاء النادى الأدبى فاستجاب سموه أعظم استجابة واجاز الفكرة وأخرجها إلى حيز الوجود فكان النادى الأدبى فى جدة هو أول النوادى التى انتشرت فيما بعد فى مدن المملكة الأخرى وبفضل المعونة السخية التى تقدمها رعاية الشباب لهذه النوادى امكن لها أن تقف على قدميها وأن تستمر وتنمو وتقوم بطبع الكتب فى مختلف فنون الأدب والعلم وكان العواد أول رئيس للنادى الأدبى بجدة وقد انتخب ونال من الأصوات ما يرشحه لهذه الرئاسة التى كان هو جديرا بها وقد منح رحمه الله النادى الأدبى وقته كله فكان يجلس فيه صباح مساء وكنت أعجب له وهو فى الثمانين من العمر كيف يقوى على هذا الجهد ولكنه كان يمارس أعمال النادى بروح الشباب فلقد عاش عمره كله يحلم بأن يكون للأدباء مكان يجمعهم وللأدب كيان يرتكز إليه وقد تحقق له هذه الحلم قبل وفاته بل تحقق له بحمد الله أن يرى بعينيه كثيرا مما دعا إليه فى .

مطلع شبابه نهضة عارمة تشمل التعليم والتطبيب والاقتصاد والبناء نهضة تشمل جميع نواحى الحياة التى كان العواد يحلم بها ويتخليها ويدعو إليها ·

وفـاة العـوّاد

هذا وقد توفى العواد رحمه الله فى ١٤٠٠ هـ بعد مرض قصير ألم به وكان يتهيأ للسفر إلى الخارج للعلاج ولكن المنية عاجلته فصعدت روحه الى بارئها وقد بلغ الثمانين عاما من عمر حافل بالعطاء وإذا كان قد فات العواد حظه من متاع هذه الدنيا فلم يترك لأهله مالا أو عقارا فان الثروة الأدبية والعقلية التى تركها لا لأهله وإنما للشعر والأدب عظيمة وكبيرة فلقد كان بحق رائد جيل وزعيم نهضة واستاذا عظيما وصديقا كريما ، رحم الله العواد وغفر له وأحسن جزاءه فى دار الخلد ـ إنه سميع مجيب ··






أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



محمد جعفر لبنی

محمد جعفر لبنى

معتدل الجسم والقامة اقرب الى الطول منه الى القصر ، ابيض اللون تخالط بياضه صفرة بيضاوى الوجه ، اسود العينين ، قصير اللحية ، حليق العارضين ، يرتدى الجبة الحجازية ويعتم بعمامة غالبا ما تكون من قماش ابيض رقيق فى الصيف تحتها كوفية جاوية كما يفعل عامة اهل الحجاز ٠

ولد الشيخ محمد جعفر لبنى بمكة المكرمة فى ٧ رجب ١٣٢٣ هـ وحفظ القرآن الكريم فى الحرم المكى الشريف[١] كما تعلم على ايدى علماء المسجد الحرام وقد عرفته وهو مكتمل الرجولة يتولى رئاسة لجنة قضايا المطوفين فى مكة المكرمة وكانت مكة يومها عاصمة الدولة ومركز الحكومة فى عهد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز فى الخمسينات من هذا القرن ، وكان قد اختاره المغفور له الملك فيصل لرئاسة لجنة قضايا المطوفين لما عرف به من تحرى الحق والعدل ، ولما يتمتع به من ثقة من عامة اهل مكة علاوة على المامه التام بشؤون المطوفين وقضاياهم ، وكان الى جانب رئاسته للجنة قضايا المطوفين[٢] كان يعمل محاميا امام المحاكم الشرعية بمكة ، كما كانت له مكتبة صغيرة لبيع الكتب فى حانوت صغير فى باب السلام

---

(١) على يد الشيخ سليمان النورى كما تلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بمكة وتخرج منها ٠

(٢) كما عين مساعدا لامين العاصمة بمكه لفترة محدودة

وكان يسكن البيت الذى يقع هذا الحانوت فى مدخله وقد تم هدم البيت مع كافة البيوت التى حوله وادخل فى التوسعة الأولى للمسجد الحرام ، وقد توثقت صلتى بالمرحوم الشيخ محمد جعفر لبنى منذ ان عرفته فى مكة فى اوائل عام ١٣٥٦ هـ واستمرت صلتى به الى ان توفاه الله تعالى فى ٧ رجب سنة ١٣٧٠ هـ حسبما سيرد فى ترجمته بعد ، عرفت الشيخ محمد لبنى خلال هذه السنوات فوجدت فيه رجلا وقف نفسه فى خدمة الناس وخاصة الأرامل والضعيفات والفقراء من الناس فكان يتولى قضاياهم والدفاع عنهم دون مقابل وقد اصبح بهذا مقصدا لأصحاب الحاجات من الناس وخاصة من النساء الضعيفات والمغلوبات على امرهن فكان يتولى شؤونهن فى المحاكم والدوائر الرسمية كما كان يتولى الإصلاح بين الناس وخاصة حينما يقع الخلاف بين زوجين أو أخوين أو ابناء عمومة وكان الرجل يتمتع بحب الناس لما يبذله فى خدمتهم من وقته وجهده واستطيع ان اقول انى على قدر ما عرفت الشيخ محمد لبنى لم اره مشغولا بأموره الخاصة بقدر ما هو مشغول بشؤون الناس ولعله لم يكن يجد اى وقت للاهتمام بعمله الخاص فقد كان له حانوت لبيع الكتب كما ذكرت ولكنى لم اشهده مرة واحده يبيع كتابا او يتحدث عن بيع او شراء الكتب ولكنى كنت ارى هذه المكتبة مملوءة باصحاب القضايا من الاصدقاء والفقراء من النساء والرجال فى جميع الاوقات وخاصة فى اصيل كل يوم وما بين المغرب والعشاء ، وكان الرجل معروفا بتفرغه للخدمة العامة وبالتفانى فيها فكان الحكام ورؤساء الدوائر يوسعون من صدورهم له ويكرمون وساطته وكان بهذا يقضى حوائج الناس التى لم يكن ينقطع لها مدد وكان جلالة المغفور له الملك فيصل يعرف فيه هذه السجايا فكانت وساطته لدى جلالته منذ ان كان نائبا لجلالة الملك فى مكة تحظى بالقبول ·

حدثنى رحمه الله قال حبس جار لى فذهبت الى سمو الامير وكان وقتها جلالة الملك فيصل نائبا عاما للملك فى مكة ـ فشرحت القضية لسموه فوافق

رحمه الله على اطلاق سراحه وكان فى مجلس سموه احد الأمراء فسألنى ما هى صلتك بالرجل اهو قريب لك قلت كلا ولكنه جار لى فى المنزل ، ومرت شهور وذهبت الى سموه ارجوه فى قضية مشابهة وكانت تخص احدى جاراتى وتفضل سموه فأصدر امره بشأنها وكان نفس الامير حاضرا فى المجلس فسألنى وما هى قرابة هذه المرأة لك قلت انها جارتى قال الا ليتنى جار لك ! هكذا كان الشيخ محمد جعفر لبنى رجلا شهما يبذل جاهه فى خدمة الناس ومعونتهم وهكذا كان الحكام والعظماء يستجيبون له لثقتهم باخلاصه وحبه للنفع العام ٠

وخلال عام ١٣٦٤ هـ سافر الشيخ محمد لبنى مع اسرته الى مصر لتطبيب والدته هناك وكنت اذ ذاك اقيم بالقاهرة لغرض مماثل فرأيت الرجل وقد انفق اغلب ما حمله من مال فى مساعدة الكثيرين ممن يعرف ممن كانوا يزورون القاهرة فى تلك الايام ولم يكن الشيخ محمد جعفر لبنى من اصحاب الاموال ولكنه كان كريما لايبخل بما يصل الى يديه وكان يتوسط للكثيرين من اصحاب الحاجات لدى اصدقائه من اصحاب المال والنفوذ فكانوا يستجيبون لطلبه لما يعرفونه من حبه لخير الناس ونفعهم ، وحينما كنت اعمل مديرا لمكتب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان كانت طلبات الشيخ محمد جعفر لبنى لمساعدة الناس وخاصة ـ الشناقطة الموريتانيين الآن ـ تتوالى بطلبات الإركاب لهم من المدينة الى مكة المكرمة ومن مكة الى المدينة وكانت للكثير منهم صلة حسنة بالشيخ محمد جعفر لبنى رحمه الله ٠

وقد عمل الشيخ محمد جعفر لبنى فى آخر حياته فى تجارة الارزاق وافتتح دكانا بمدينة الطائف فى موسم الصيف لتوزيع الأرزاق ولكن الزمن لم يطل بهذا العمل ، فان الشيخ محمد لبنى لم يكن متهيئا للتجارة وشؤون المال ، وانما كان

مهينا للخدمة العامة بعيدا عن الحسابات والارقام وفى السنة التى توفى فيها عين عضوا بمجلس الشورى عام ١٣٧٠ هـ وقد توفى فى نفس العام ٠

ومرض الشيخ محمد لبنى مرة بالقلب وأمره الطبيب بالراحة التامة فتحول منزله الى منتدى يقصده الناس صباح مساء ، وصدرا من الليل وزرته فوجدت عشرات الناس ذاهبين آتين وهو يستقبلهم ويتحدث اليهم ويجاملهم فقلت له ، ان الطبيب طلب اليك البقاء فى المنزل للراحة لا لتستقبل العشرات من الناس صباح مساء قال : ولكننى لا استطيع ان أمنع الناس من زيارتى واغلق بابى دونهم وهكذا كان فقد قضى ما قضى فى سرير المرض وهو مع الناس الذين احبوه واحبهم دون حجاب ٠

وكانت نهاية المرحوم الشيخ محمد جعفر لبنى نهاية فاجعة اذ اصطدمت السيارة التى كانت تقله مع المرحومة والدته وابنته الصغيرة نايلة بالسيارة التى كان يستقلها المرحومون الشيخ حسنى قامه والشابان فوزى عابد قزاز ، ومحمد عباس سالم فى الطريق بين مكة والحديبية قريبا من وادى فاطمة ، وكان الاصطدام فظيعا اسفر عن موت الجميع ولم ينج من السيارة التى كان يستقلها الشيخ محمد لبنى سوى السائق وباتت مكة ليلة فاجعة حزينة حيث شيعت فى اليوم التالى الاربعة رجال والمرأة والطفلة وكانت مقبرة المعلاه غاصة بالمشيعين والمعزين وكانت وفاة الشيخ محمد لبنى فى يوم ٧ رجب سنة ١٣٧٠ هـ ـ ومن الغريب ان مولده كان فى يوم ٧ رجب كذلك ـ عن سبعة واربعين عاما ٠

تغمده الله برحمته الواسعه واحسن جزاءه فى جنات النعيم ٠٠




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الدكتور محمد خالد خاشقجي

الدكتور محمد خالد خاشقجي

معتدل القامة ، معتدل الجسم ، ابيض الوجه تشوب بياضه حمرة خفيفة ، واسع العينين يطلق لحيته ويعفي عارضيه ، أنيس المحضر ، ذكى لماح ، يجمع بين دقة العالم وانطلاقة الفنان ٠

نشأته وتعليمه

ولد الدكتور محمد خالد خاشقجي بالمدينة المنورة عام ١٣٠٩ هجرية وتلقى تعليمه الابتدائى بالمدينة المنورة وتوفى ابوه وهو طفل فكفله أخوه الأكبر عبدالله الخاشقجى ابن محتسب المدينة المنورة وفى اوائل الثلاثينات قام حزب الاتحاد التركى العثمانى بنفى اربعين رجلا من اعيان المدينة المنورة الى الاناضول وكان من بين هؤلاء الرجال عبدالله الخاشقجى الذى كان ابوه من ابرز رجال العهد السلطانى فى المدينة المنورة والذى قامت على انقاضه حكومة حزب الاتحاد والترقى ، وأبى محمد خاشقجى ان يترك اخاه الأكبر الذى يحبه الحب كله والذى احلَّ محمداً محل الابن فكان له الوالد والأخ الأكبر أبى محمد خاشقجى أن يترك هذا الاخ يذهب وحيدا إلى منفاه البعيد فى الاناضول فأصرَّ على مرافقته للقيام

على خدمة اخيه وايناسه فى منفاه القصى ، وكان هذا المنفى الاختيارى مصدر خير وبركة للصبى الصغير اذ اتاح له فرصة التزود من العلم الذى كان يفتقر اليه والتى كانت مدارس الحجاز محرومة منه فى ذلك العهد ، اذ كان التعليم فى مدارس الحجاز لايتعدى المرحلة الابتدائية ، فالتحق هناك بمدرسة السلطنة ليتم دراسته الثانوية وبعد اتمام دراسته الثانوية رغب فى مزيد من العلم فاتجه بذهنه وقلبه الى الطب فسافر من ازمير الى دمشق والتحق بمعهد الطب هناك وفى هذاالمعهد تعرَّف الى كثير من زملائه الشباب العرب من العراق والشام ومصر وكانت حياته فى المعهد حياة جادة وكانت امكانياته قليلة محدودة وكان يعمل ليلا لدى احد تجار دمشق ليستعين على دراسته نهارا بالكلية هناك ، حدث عن نفسه فقال كانت لدىّ بدلتان احداهما ثقيلة للشتاء والاخرى خفيفة للصيف وكنت اسكن مع زملائى من طلاب الكلية فى مسكن مشترك وكان طعامنا متواضعا كما كانت معيشتنا متواضعة ، ولم يكن لنا من هدف سوى العلم والعلم وحده[١] وكان يعرف ان بلاده مفتقرة الى الطب قبل كل شىء فكان اول طبيب من المدينة المنورة تخرَّج من معهد الطب فى دمشق واصبح جرَّاحا مناوباً فى المستشفى العام هناك وتخرَّج منه بامتياز ، وبعد التخرج عاد الى البلاد •

مَاضِي الطِبّ في الحِجَاز

واود ان اذكر هنا شيئا عن ماضى الطب فى الحجاز فى هذا العهد الذى سبق ظهور اول طبيب سعودى وعودته الى بلاده ، كانت مدينة جدة ليس فيها الا المستشفى العام وفيه طبيب او اثنان ، وكان هناك مستشفى الكورنتينة ـ المحجر

(١) مجلة الشرقيه العدد ٥٤ صفحة (٩٩) يناير ١٩٧٩

الصحى ـ وهو خاص بالبواخر التى تصل الى ميناء جدة للتأكد من عدم وجود امراض وبائية فى السفن القادمة الى جدة ولست فى حاجة لأن اقول ان امكانيات المستشفى الحكومى الوحيد بتجهيزاته البسيطة كانت اقل كثيرا من حاجة المدينة وكانت سفارات الدول الاجنبية تقوم بفتح مستوصفات او عيادات لاستقبال مرضى رعاياهم الموجودين فى البلاد ، فكان هناك مستوصف السفارة الانجليزية الذى يقوم على حساب حكومة الهند ـ التى كانت اذ ذاك مستعمرة بريطانية ـ وكان يديره طبيب هندى يرافقه صيدلى ، وكانت هناك عيادة السفارة الهولندية التى تقوم على حساب حكومة جاوة التى كانت مستعمرة هولندية ويديرها طبيب جاوى وصيدلى ، ثم قامت حكومة ايطاليا بفتح عيادة لها فى جدة بعد احتلال ليبيا وكان يدير هذه العيادة طبيب ايطالى ، كما كانت هناك عيادة روسية حينما كانت روسيا ممثلة دبلوماسياً فى جدة ويدير هذه العيادة طبيب وصيدلى روسى ، وآخر هؤلاء الاطباء الدكتور عبدالرحمن الطبيب الروسى الذى اسلم فيما بعد ، وكان الناس يترددون بكثرة على هذه العيادات طلبا للعلاج ، وفى مكة والمدينة كانت هناك المستشفيات الحكومية على النمط الذى وصفناه سابقا كما كانت هناك مستوصفات التكية المصرية وكانت تقوم بنفس الغرض ، اما العمليات وما اليها فلم تكن محل تفكير المرضى فى ذلك الوقت فاذا كان المريض يحتاج الى عملية جراحية سافر الى مصر او السودان او اسمرة ليجريها فى المستشفيات الموجودة هناك ، هكذا كان الحال فى الأربعينات من هذا القرن الهجرى • وكان الموسرون من الناس يستقدمون هؤلاء الاطباء الى دورهم ويجزلون لهم الاجر ، لأن الفحص والدواء فى هذه العيادات مجانى ، وكان الاحرار من المواطنين يشعرون بهذا النقص ويأسون له اشدَّ الأسى ولكن هذه هى امكانيات البلاد فى اوائل العهد السعودى فى الأربعينات وقد تطورَّ الأمر فيما بعد

الى الأحسن حينما قام الدكتور خالد ادريس بفتح عيادته فى جدة وكان قد قدم طبيباً فى عيادة امريكية تابعة للسفارة الامريكية ، كما قدم بعض الاطباء اللبنانيين الى جدة وقاموا بفتح المستشفى اللبنانى فى جدة وقامت المستشفيات الحكومية فى نفس الوقت بإدخال كثير من التحسينات على الخدمات الطبية ٠

الطبيب الجراح

فى هذا العهد الذى وصفناه كان قدوم الدكتور محمد خاشقجى بعد تخرجه طبيباً جراحا فكانت فرحة الناس به فرحة عامة خاصة بعدما رأوا من نجاحه الباهر فى اجراء العمليات الجراحية،لقد اذن الله للبلاد اخيرا بان يكون فيها طبيب من ابنائها يعرفه الناس ويعرف هو الناس فيتفانى فى خدمتهم ليل نهار ، ولقد رأيت الدكتور الخاشقجى فى اوائل الخمسينات وهو يعمل جراحا بالمستشفى العام بمكة المكرمة مستفيض الشهرة ، يحسن استقبال الناس ويعاملهم معاملة كريمة طيبة فيجد منهم الحب كل الحب والثناء كل الثناء ، ولقد عمل الدكتور خاشقجى مديرا للصحة فى جدة وطبيبا اول جراحا فى مستشفاها كما عمل فى المستشفى العام بمكة المكرمة جراحا وكان يجرى عملياته حيثما يكون فى مدن المملكة فى المدينة المنورة او الرياض او الطائف وما هو الا ان عينه جلالة الملك عبدالعزيز طبيبا جراحا له يرافقه حيثما حل او ارتحل بين مدن المملكة ٠

الدكتور يوسف عز الدين حسنين

وأود للتاريخ ان اذكر ان هناك طبيبا مكيا آخر ظهر فى هذا العهد ونال من الشهرة والنجاح بمقدار ما نال الدكتور الخاشقجى الا انه لم يبق فى البلاد فرحل عنها بعد فترة قصيرة ٠

هذا الطبيب هو الدكتور يوسف عزالدين حسنين وهو من أبناء مكة المكرمة وأبوه كان الصيدلى الوحيد فى مكة واسم صيدليته ، صيدلية حسنين على اسم الاسرة وقد ادركت هذه الصيدلية يديرها شقيق الدكتور يوسف عزالدين وكانت داخل المشعر الحرام قرب المروة وكان المشعر كله من الصفا الى المروة سوقا من اهم أسواق مكة المكرمة وكانت به اشهر المبانى واكبرها ثم هدمت جميعها وادخلت فى التوسعة السعودية الأولى للمسجد الحرام واصبح المشعر الآن جزءاً من الحرم ، ليس بداخله الا الساعون بين الصفا والمروة ، ونعود بعد هذا الاستطراد الى الدكتور يوسف عزالدين فنقول إنه كان كذلك فى اوائل الخمسينات يعمل طبيبا جراحا فى مكة المكرمة والطائف ولكن لم تطل اقامته بالمملكة فهاجر الى الاردن والى سوريا أو غيرها من بلاد الله وهنا يظهر فضل الدكتور الخاشقجى الذى لم يبال بما صادفه من عقبات أو مضايقات لم يألفها فاستمر يعمل فى مستشفيات المملكة كالجندى فى المعركه لأنه وجد ان بلاده مفتقرة الى علمه وعمله فتفانى فى اداء واجبه واهبا وقته كله لتطبيب المرضى واسعافهم حيثما كانوا .

التخصص فى الأشعة

وفى الخمسينات حضر الى الحجاز زعيم مصر الاقتصادى محمد طلعت حرب للحج مفتتحا خطا جويا لشركة مصر للطيران بين القاهرة وجدة لخدمة الحجاج المصريين وكذلك خطا آخر بحريا للبواخر الكبيرة التى تنقل الحجاج فأهدى الى الدولة اول جهاز للاشعة ، وكان هذا الجهاز يحتاج الى اخصائيين للاستفادة منه وهنا ظهر طموح الدكتور الخاشقجى فطلب من جلالة الملك عبدالعزيز انتدابه الى باريس للتخصص فى العلاج بالأشعة ولقد وافق جلالة الملك عبدالعزيز فتم ابتعاث الدكتور الخاشقجى الى باريس لهذه الغاية وبقى هناك حتى أتم دراسته

الجديدة ولم يعد الى بلاده الا وقد تعاقد على شراء جهاز كبير للأشعة يستعمله فى عيادته الخاصة ٠

كهرباء الخاشقجي

ولم يكتف الخاشقجى بهذا فالجهاز يحتاج الى القوة الكهربائية لتشغيله والبلاد لم تدخلها الاضاءة الكهربائية الا فى بعض البيوت الخاصة فاشترى مولدات ضخمة لتوفير القوة الكهربائية لا لجهاز الأشعة وحده وانما لتوفير الاضاءة للمنطقة التى يوضع بها جهاز الأشعة وهكذا ظهرت موهبة الدكتور الخاشقجى التجارية بوضوح فهو يعرف كيف يستفيد من الفرص المتاحة له بذكاء واقدام ،لقد تخطى العقبات التى وقفت فى سبيل تعليمه فتعلم وتخطى العقبات حتى اصبح طبيبا شهيرا وتخطى الصعاب حينما آثر البقاء فى البلاد على العيش الخفيض فى بلد آخر،وأخيرا تخطى الصعاب حينما طمح الى تخصص جديد يُعدُّ الاول من نوعه فى البلاد ولم يكتف به بل ادخل الاضاءة الكهربائية الى منطقة ولو كانت محدودة من مكة المكرمة ، نعم لقد استأجر الدكتور الخاشقجى عمارة جديدة اقامها الأشراف فى القشاشية بالقرب من المسجد الحرام فجعلها عيادة لأشعته التى تخدم البلد فى هذا المجال من الطب وكان لديه الفائض الكثير من القوة الكهربائية فتقدم اليه الناس بطلب الاضاءة ،فأضاء شارع القشاشية كله ولعله ربح من هذه الاضاءة اكثر مما ربح من عمل الأشعة ، واكرر هنا ان الربح الحلال لايغض من قيمة العمل النافع بل هو مدعاة لاستمراره وتحسينه ، ان عملية اضاءة حوانيت شارع هام من شوارع مكة المكرمة بالقرب من المسجد الحرام يعتبر فى ذلك الوقت عملا حضاريا مهما كان محدودا ، فاذا كان الرجل الذى اقدم على هذا المشروع ليس تاجرا وانما هو طبيب جراح او دكتور أشعة

كانت نظرة التقدير الى عمله اكبر واذا كان هو قد استفاد فإن الحى الذى ادخلت اليه الكهرباء قد استفاد كذلك فالمنفعة متبادلة والفضل للرجل المبدع الذى استطاع ان يوفر المنفعة حين الحاجة اليها ٠

عِلاج الطِّحَال بالأَشِعَة

هل قنع الدكتور الخاشقجى بما احرز من نجاح كطبيب جراح وكطبيب أشعة وبما تدره عليه عيادة الأشعة وبيع الكهرباء ؟ كلا ان الرجل لم ينس قط انه طبيب والطبيب الحاذق يستزيد من المعرفة كل يوم فهو يتابع احد ث ما توصل إليه الطب أولا بأول ، وان لم يفعل هذا فانه يتجمد عندما وصل اليه علمه ويتخطاه الآخرون ، يقول الدكتور الخاشقجى[1] من خلال الممارسة الكثيفة للتشخيص بالأشعة جمعت خبرة ومعلومات دونتها فى رسالة بعنوان معالجة الطحال المتضخم نتيجة الملاريا المزمنة باشعة اكس ، والملاريا كما هو معلوم منتشرة فى كثير من البلاد الحارة من العالم وكان يعمد فى حالتها القصوى الى اجراء عمليات جراحية لاستئصال الطحال وكان الهدف من الرسالة هو الدعوة الى علاجها بالأشعة ٠

عُضو الجَمعَية الوَطنِية الفرنسَّية للعِلاج

ووجدت الرسالة ما تستحقه من تقدير فعينت الجمعية الفرنسية الوطنية للعلاج صاحبها عضوا من أعضائها وهو نصر علمى يضاف الى امجاد الدكتور الخاشقجى ويستحقه كل الاستحقاق ٠

---

(١) مجلة الشرقية العدد (٥٤) يناير ١٩٧٩

تكريم الوطن

وما ان ترامى هذا التقدير الفرنسى لطبيبنا الكبير الى أسماع المواطنين حتى قامت حفلات التكريم له بعد وصوله الى ارض الوطن فأقام له اعيان مكة المكرمة من آل الشيبى وشطا والقزاز وسواهم من المواطنين حفل تكريم بمدينة الطائف تقديرا لجهوده العلمية واعتزازا بالطبيب السعودى الناجح كما اقام له اهل المدينة المنورة حفل تكريم حافل حين وصوله اليها فى شعبان عام **١٣٥٧** هـ للعمل فى مستشفاها ٠

سكرتير وزارة الصحة

وحين تم احداث اول وزارة للصحة فى المملكة كان وزيرها الاول هو صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل وفى عهد سموه بدأت النهضة الصحية فى البلاد إذا جاز هذا التعبير فتوسعت الحكومة فى فتح المسنشفيات فى المدن وكان ان ابتعث سموه الدكتور الخاشقجى اول سكرتير لوزارة الصحة الى مصر للتعاقد مع الاطباء ولم يعد من هناك الا وقد تعاقد على استقدام خمسين طبيبا للعمل فى مستشفيات المملكة مع ما يتبعهم من ممرضات وتجهيزات طبية وهكذا ساهم الدكتور الخاشقجى بخبرته فى تأسيس الكيان الطبى وترسيخه فى البلاد حينما اصبحت الظروف مواتية لتحقيق ذلك ٠

مصنع الجبس

وحينما رأى الدكتور خاشقجى انه قد آن الأوان لانشاء صناعات وطنية فى البلاد بادر مع قيام النهضة العمرانية فى المملكة الى السعى للحصول على انشاء

مصنع للجبس واستثماره فى مدينة الرياض لمدة خمسين عاما واسس لهذا الغرض شركة الجبس الاهلية وتولى ادارتها وقد نجحت صناعة الجبس فى المملكة وأخذت تسد نقصا كبيرا فقد كانت البلاد تستورد احتياجاتها من هذه المادة من الخارج فقام هذا المصنع بسد جزء كبير من استهلاك البلاد المحلى ، ولم يقتصر عمل المصنع على صناعة الجبس وانما عمد الى تصنيع الجبس فى اشكال زخرفية تزين بها المبانى وقد نجحت هذه الصناعة كذلك واصبح الكثير من القصور والدارات تزين بها كما ان صناعة الجبس شقت طريقها الى اسواق دول الخليج العربى جميعا والى بعض الدول العربية المجاورة كالسودان وهكذا لم يقف نشاط الدكتور الخاشقجى عند مهنة الطب التى اتقنها ونجح فيها وانما تجاوزها بطموحه وتطلعاته الى مجالات اخرى تفتقر اليها البلاد وقد ظل الدكتور الخاشقجى يدير شركة الجبس الاهلية ويشرف على اعمالها إلى أن اشتد ساعدها فتركها مكتفيا بالاشتراك فى مجلس ادارتها وظل كذلك الى ان توفاه الله .

تقاعُد الدّكتور الخَاشِقجي

هذا وقد هاجر الدكتور الخاشقجى بأسرته الخاصة بعد أن تقاعد عن العمل لعلو سنه وبعد أن رأى الدكتور من ابنائه من يمارسون نشاطهم الكبير فيها ، فهاجر إلى لبنان ولكنه ظل دائما متصلا بوطنه الأم وبعد ان نشبت الحرب الأهلية فى لبنان انتقل الى بريطانيا فكان يفد إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة فى شهر رمضان من كل عام للاعتمار وقضاء بعض الأيام فى المدينة المنورة كما كان يحضر بعض أفراد أسرته للحج فى كل عام وكان منزله فى لندن وبيروت غاصا بالضيوف من الأهل والأصدقاء كل يوم فلقد كان رحمه الله مطبوعا على الكرم وحسن الخلق وكان أنيس المحضر متدينا حتى وهو فى أوج شبابه حينما كان يدرس الطب فى فرنسا ، حدثنى معالى الشيخ محمد رضا كيف قرأ لهم الدكتور

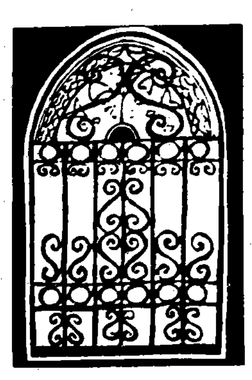
الخاشقجي السيرة النبوية فى باريس ، قالوا حضر الحاج محمد على زينل رضا رحمه الله إلى باريس يوم كان يباشر أعماله العظيمة فى تجارة اللؤلؤ هناك وجاء الدكتور الخاشقجي للسلام عليه فأراد أن يضيفه فقال انه صائم واعجب الرجل العظيم بالشاب المدنى الذى يصوم فى باريس . وربما كان هذا الصيام تطوعاً فأحبه وما هى إلا أيام حتى حل الموعد السنوى لذكرى ولادة النبى ﷺ فأقام الحاج محمد على رحمه الله حفلا بهذه المناسبة دعى فيه الدكتور الخاشقجي إلى تلاوة السيرة النبوية بمناسبة المولد فاستجاب لذلك مسرورا رحمهما الله جميعا .

وَفَاة الدكتور الخَاشِقجي

هذا وقد حضر الدكتور الخاشقجي بأسرته الى مكة المكرمة فى حج عام ١٣٩٨ هـ ولكنه شعر بأعراض المرض وبحكم خبرته كطبيب ادرك انه محتاج الى عملية جراحية ولكنه طلب حضور جميع ابنائه وبناته واجتمع شمل الاسرة كلها فى الرياض والتفوا من حوله قالوا: وكان يشعر انها النهاية وبالفعل فقد اسلم الروح بعد اجراء تلك العملية الخطيرة له يوم ١٩ ذى الحجة ١٣٩٨ هـ ونقل جثمانه الى مسقط رأسه بالمدينة المنورة فصلى عليه فى المسجد النبوى الشريف ودفن فى مقبرة البقيع مأسوفا عليه من اهله ومن محبيه وعارفى فضله وما اكثرهم .

رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رجلا عظيما احب بلاده وامته فسعى فى سبيلهما ما وسعه السعى فكان طبيبا عظيما واداريا حازما واقتصاديا كبيرا .

تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه فى عليين .




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



محمد حسين نصيف

محمد حسين نصيف

مستدير الوجه ، أبيض اللون ، واسع العينين ، أقنى الأنف ، أقرب الى الطول منه إلى القصر، وسيم، جسيم، قوى البنية، متين الأركان، تزيّن وجهه لحية غلب فيها البياض على السواد يرتدى الجبة والعمامة الحجازية وكان له سمت خاص فى لباسه فهو سلفى المذهب والشارة ، فحينما كان يلبس العمامة كانت عمامته بيضاء خالصة ولم تكن تزدان بالنقوش الحمراء والخضراء التى تتميز بها العمامة الحجازية وحينما تحوَّل عن الجُبَّة والعمامة الحجازية إلى العباءة والعقال كانت عباءته بيضاء كذلك ولم تكن مزدانة بالقصب الذى تتميز به العباءة العربية ، وكان عقاله أبيض خالصا ، فهو رجل متميز بطبعه يتخذ سمات العلماء السلفيين ويرتدى ما يراه متفقا مع كرامة العلم ومقام العلماء

ولد الشيخ محمد حسين نصيف فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ١٣٠٢ هـ ومات أبوه وهو طفل فكفله جده لوالده الأفندى عمر نصيف وكان كبير أعيان جدة أو على الأصح كان ثانى اثنين هما أكبر أعيان جدة فى ذلك الزمان أما الثانى فهو الأفندى موسى البغدادى وكان الرجلان كما سمعنا يكيدان لبعضهما البعض وينفس كل منهما على الآخر مكانه فيحاول النيل منه وكان الأفندى عمر نصيف وكيل شريف مكة ولعله كان وكيلا لكل من يتولى امارة

مكة من الاشراف كما كان على صلة كبيرة بالوالى التركى فى الحجاز والذى كان يتخذ من قصر الأفندى عمر نصيف الشهير بجدة مركز إقامة له فى فصل الربيع ، قالوا وكان فى أعلى القصر مجلس منيف يتخلله الهواء من كل مكان وكان الوالى التركى راتب باشا يصعد بفرسه إلى هذا المجلس الذى كان يسمى بالتركية (كشك) وفى حضانة هذا الجد الكبير وفى ظل هذا المجد تربىّ الشيخ محمد حسين نصيف،وكان الولد الوحيد لجده كما بلغنا فقد كانت ذرية الأفندى عمر نصيف جميعا من البنات ثم تزوج الزوجة الثانية فولدت له حسين نصيف والد الشيخ محمد نصيف،ولكن حسينا هذا توفىً فى أوج الشباب وترك بعده محمداً الذى احتضنه جدة الأفندى عمر نصيف،فكان هو الذكر الوحيد لهذا الجد وهو المعُصِّب له حين وفاته .

قصْـــرُ نَصِّـيف

والحديث عن الشيخ محمد حسين نصيف يقتضى الحديث عن قصر نصيف الذى فيه نشأ وتربىْ وعاش طيلة حياته التى امتدت نحوا من تسعين عاما أو تزيد .

كان قصر نصيف الذى بناه الأفندى عمر نصيف جدُّ المترجم مَعْلَماً من معالم مدينة جدة بل أبرز معالمها فى حينه نزل فيه الملوك والأمراء والعلماء والوزراء وقد شهدت السلطان وحيد الدين آخر سلاطين العثمانيين ينزل فيه بعد أن أقصى عن الخلافة ودعاه الشريف الملك حسين بن على لزيارة الحجاز ، وكان الوالى التركى يتخذ منه مركزا لإقامته فى بعض فصول العام كما أسلفنا ، وكان أمراء مكة من الاشراف ينزلون فيه ثم تحولوا إلى قصر آل مهنا فكان الملك حسين ثم ابنه الملك على ينزلون فيه ، وكان كل من قدم إلى الحجاز من الملوك والأمراء وأعاظم

الرجال ينزلون فى هذا القصر المنيف قصر نصيف ، فلم يكن فى مدينة جدة فندق او دار ضيافة فكان قصر نصيف هو قصر الضيافة لكل من قدم إلى الحجاز من عظماء الرجال وفى عام ١٣٤٤ هـ حين استيلاء المغفور له الملك عبدالعزيز على الحجاز بعد انتهاء الحكم الهاشمى كان قصر نصيف بجدة هو منزل جلالته حين دخوله إلى جدة لأول مرة وفى هذا القصر كانت الوفود تصل إلى جلالته لمبايعته ملكا على الحجاز كما شهد هذا القصر كل الاجتماعات التى كانت تعقد لترتيب امور الدولة الجديدة وقد اتخذ جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله من هذا القصر مقرا له لسنوات طويلة كلما قدم إلى مدينة جدة ، ثم انتقل إلى القصر الأخضر بالعمارية الذى بناه المرحوم الشيخ على العمارى ناظر عموم الرسوم بجدة خصيصا لنزول جلالته وقد سميت المنطقة بالعمارية نسبة إلى اسم الشيخ على العمارى رحمه الله ، وبعدها انتقل جلالة الملك عبدالعزيز إلى قصر خزام بالنزلة وهو القصر الذى قام ببنائه خصيصا لجلالته المعلم محمد بن لادن رحمه الله واستمر جلالته يتخذ من قصر خزام مقرا له إلى حين وفاته ٠

ولما توفى الأفندى عمر نصيف انحصر إرثه فى بناته الست وفى الشيخ محمد نصيف الذى كان المعصب لجده المتوفى فعمل والى جدة التركى راتب باشا على أن يكون القصر من نصيب الشيخ محمد نصيف لأنه الشخص الوحيد من الورثة القادر على ابقائه مستعدا لاستقبال الضيوف من ملوك وعظماء وهكذا كان ، وتقديرا لمكانة هذا القصر ومنزلته التاريخية امر جلالة المغفور له الملك فيصل بشرائه من ورثة الشيخ محمد نصيف بعد وفاته بما يحويه من مكتبة المرحوم الشيخ محمد نصيف ليكون القصر بالمكتبة نواة لمكتبة عامة فى مدينة جدة حيث يقع القصر فى قلب المدينة القديمة وقد اشترته الدولة ولكن استعماله كمكتبة عامة لم يتم حتى الآن ٠

نعود الآن بعد هذا الاستطراد عن قصر نصيف إلى إكمال ما بدأناه من حديث عن الشيخ محمد نصيف ففي هذا القصر المجيد وفي ظل جده الكبير نشأ محمد نصيف وتربى وتعلم على أيدى خيرة العلماء فى زمانه وكان القصر منتدى لكل من تضمهم مدينة جدة من علماء ورجال سياسة فلم يكن يفد إلى جدة عضو فى سفارة عربية أو اسلامية الا كانت زيارة قصر نصيف والاجتماع إلى الشيخ محمد نصيف من أوائل الأعمال التى يقوم بها بعد وصوله إلى المدينة ، وكان الشيخ محمد نصيف يقضي سحابة نهاره وصدرا من الليل فى الدور الأرضى من القصر الذى كانت المكتبة تحتل أجزاء كثيرة منه وكان يتناول الوجبات الثلاث فى غرفة المائدة فى هذا الدور مع أولاده ومن يضمهم القصر من الضيوف والأصدقاء وكانت هناك مضيفة ملحقة بالقصر لاستقبال الضيوف بصورة دائمة طوال العام وخاصة فى موسم الحج ولعلى لا أفشى سرا إذا قلت أن واردات الشيخ محمد نصيف من العقار الكثير الذى ورثه عن جده الأفندى عمر نصيف لم تكن تكفى دائما لمقابلة المصاريف الضخمة التى كان ينفقها فى إبقاء قصره مفتوحا للضيافة طوال العام وقد علمت بحكم صلة القرابة التى تربط أسرتنا به أنه كان

يبيع فى بعض الأعوام بعضا من عقاره لسدّ هذه النفقات الطائلة التى كان يتكلفها كل عام ، وخلال الخمسينات من هذا القرن وحين اشتداد الأزمة الاقتصادية العالمية وهبوط قيمة العقار كان واضحا ان الشيخ محمد نصيف اخذ يعانى من هذه الازمة وما أن علم جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز بذلك حتى أصدر أمرا بصرف قاعدة سنوية له كل عام وكان الشيخ ابراهيم بن معمر قائممقام جدة فى ذلك الوقت هو الذى كتب لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز ودون علم الشيخ محمد نصيف بذلك ولا شك ان الشيخ محمد نصيف كان من أحق الناس بعطف جلالة الملك عبدالعزيز ومعونته فقد كان معروفا بعقيدته

السلفية منذ نشأ وقد أخبرنى المرحوم الشيخ عبدالرؤوف الصبان وكان من رواد مجلس الشيخ محمد نصيف كما كان من أوائل المتعلمين فى ذلك العهد قال كنا نجلس فى مجلس الشيخ محمد نصيف وكان يمر بنا جماعات الطرق الصوفية وهم يرقصون ويغنون وكان هذا فى العهد الهاشمى قال فكنا نسفه آراءهم ونحصبهم بالحجارة ، وحينما تم فتح مكة المكرمة فى عام ١٣٤٢ هـ وأحاطت جيوش الملك عبدالعزيز بمدينة جدة كان معروفا ان الشيخ محمد نصيف على صلة بجلالة الملك عبدالعزيز وسواء أكان الخبر صحيحا أم مبالغا فيه فقد سجن الشيخ محمد نصيف ومعه الشيخ سليمان عزايه وغيرهم فى الثكنة العسكرية خارج مدينة جدة اذ ذاك ولم يطل الأمر بهما فقد أطلق سراحهما بعد أيام قلائل ثم لم يمض طويل وقت حتى دانت مدينة جدة بالولاء لجلالة الملك عبدالعزيز واتخذ جلالته كما اسلفنا من قصر الشيخ محمد نصيف مقرا لإقامته على مدى سنوات حينما كان يحضر إلى جدة كل عام وهكذا بقىَ قصر الشيخ محمد نصيف يمثّل الوجه المشرق لمدينة جدة منذ تأسيسه فى أوائل هذا القرن وعلى مدى ما يزيد من ستين عاما ولولا ان الشيخ محمد نصيف كان رجلا مطبوعا على الكرم والفضل لما استطاع ان يقوم وحده بهذا العبء الذى لايضطلع به الا الأفذاذ من الرجال ٠

هذا ولقد كان الشيخ محمد نصيف مرجعا لكثير من المعلومات التاريخية عن العهود التى عاصرها وهى كما ذكرنا تقرب من قرن كامل وإنى لأذكر حينما وصل ماء العين العزيزية الى جدة عام ١٣٦٧ هـ ان أصدرت مجلة الحج عددا خاصا عن هذا الموضوع وقد كلفنى يومها معالى المغفور له الشيخ محمد سرور الصبان بكتابة بحث عن تاريخ الماء فى مدينة جدة ولم أجد فى مدينة جدة كلها إذ ذاك مصدرا لهذه المعلومات سوى الشيخ محمد نصيف رحمه الله وانى لأذكر كيف كان يتدفق فى حديثه عن تاريخ الماء فى مدينة جدة بأسلوب يجمع بين حقائق التاريخ

وطرافة المعلومات وقد نشر هذا البحث فى مجلة الحج وذكرت فيه مصدر هذه المعلومات فى صلب البحث المذكور ، كما كان فضيلة الشيخ محمد نصيف يوافى المجلات والصحف فى بعض المناسبات بمعلوماته التاريخية عن الأحداث التى يرى ضرورة التعليق عليها كما كان يجيب السائلين سواء فى رسائل خاصة أو على صفحات الصحف عما يسألونه عنه فلم يكن ممن يضنون بعلمهم أو يكتمونه ·

مَكْتبة نَصِيف

ولا يكتمل الحديث عن الشيخ محمد نصيف إلا بالحديث عن حبه للكتب واقتنائه لها فلقد نشأ وتربى على حب القراءة وكانت صلته بعلماء عصره سواء المقيمين او القادمين مدعاة لتنمية حبه للقراءة والدرس وهكذا عكف الشيخ محمد نصيف منذ فجر صباه على جمع الكتب واقتنائها وتتبع النادر منها حيث وجد، وإنى لأذكر أنه علم بوجود نسخة من أحد الكتب الأندلسية القديمة فى مكتبتى فلم يتردد رحمه الله فى الكتابة إلى بطلبها ولم أتردد فى تقديمها له لأن وجودها ضمن مكتبته الثمينة أولى من وجودها لدى وهكذا صرف الشيخ محمد نصيف حياته الطويلة المديدة فى جمع مكتبة تعد أثمن مكتبة خاصة فى مدينة جدة كلها وهى من أثمن المكتبات الخاصة فى الحجاز كله وهذه المكتبة هى التى آلت ملكيتها كما ذكرنا الى الدولة مع القصر لتكون نواة لمكتبة عامة فى جدة ونرجو ان يتم تنفيذ هذا المشروع الهام قريبا ليتم النفع به ·

ومما يجب ذكره فى هذا المقام ان الشيخ محمد نصيف قام بطبع ونشر كثير من الكتب على نفقته وبالاشتراك مع الغير منها كتاب العلو للعلى الغفار الذهبى طبع فى عام ١٣٢٥ هـ وكتاب الجواب الباهر فى حكم زيارة المقابر وبهامشه ·[1]

---

(١) كتب التوسل والوسيلة لابن تيمية والخطوط العريضة لمذهب الشيعة لمحب الدين الخطيب والرحلة اليمانية للشريف عبدالمحسن والجيل الثانى لعدة مؤلفين كما طبع كتاب الأدب المفرد للامام البخارى على نفقة الحاج يوسف زينل رحمه الله ·

كما اعرف أنه شجع بعض أصدقائه على طبع ونشر بعض الكتب على حسابهم الخاص مثل المرحوم الشريف شرف رضا الذى قام بطبع ونشر كتاب للامام البخارى على ما أذكر بمشورة الأفندى نصيف وتشجيعه ، وتوفى الشيخ محمد نصيف بمدينة الطائف بمستشفى الملك فيصل فى ٨ جمادى الثانى سنة ١٣٩١ هـ ونقل جثمانه الى جدة حيث دفن بها فى مشهد حافل شاركت فيه الجموع الكثيرة وواسى فى وفاته رجال الدولة وعلى رأسهم جلالة المغفور له الملك فيصل رحمه الله وكبار الأمراء وأعيان البلاد .

تغمده الله برحمته الواسعة فلقد كان نمطا فريدا من الرجال استطاع بفضله وكرمه أن يكون مصدر فخار لحقبة طويلة من الزمن لمدينةجدة بل للحجاز كله وليس هذا بالأمر السهل أو القليل الأثر فمثل هؤلاء الرجال يعدون من مفاخر الأمم .





محمود حسنين نصيف

محمود حسين نصيف

معتدل القامة والجسم ، أبيض تخالط بياضه صفرة ، أسود الشعر والعينين ، خفيف اللحية ، حليق العارضين ، يرتدى العباءة والعقال •

ولد بمدينة جدة عام ١٣٥٣ للهجرة الموافق لعام ١٩٣٤ للميلاد وتلقى تعليمه الابتدائى بالمدرسة السعودية بجدة ، وحصل على الشهادة الثانوية من القاهرة ثم سافر فى بعثة إلى أمريكا فحصل على شهادتى البكالوريوس والماجستير فى الهندسة المدنية من جامعة جنوب كلفورنيا بمدينة لوس انجلوس بالولايات المتحدة الامريكية •

وعُينَّ فَوْر عودته ملازما أول بسلاح المهندسين بوزارة الدفاع ورُقِّى الى رتبة مقدم ثم نقل إلى الملاك المدنى واسندت اليه وظيفة مدير الأشغال الهندسية العسكرية وظل يشغل هذا المنصب حتى توفاه الله فى أوج الشباب فى ٩٥/١٢/٢٩ هـ وهو لم يكمل الثالثة والأربعين من العمر بعد أن استعصى الداء ولم يُجْدِ الدواء رحمه الله رحمة الأبرار •

كان المرحوم محمود نصيف وهو من أسرة نصيف الشهيرة فى جدة فوالده المرحوم الأستاذ حسين محمود نصيف مؤلف كتاب ـ ماضى الحجاز وحاضره ـ وجده العلامة والمؤرخ والوجيه الكبير المرحوم الشيخ محمد نصيف نقول كان هذا الشاب نمطا فريدا فى خلقه وعمله ، فقد ولى أخطر المناصب وهو فى سن مبكرة بعد أن حصل على شهاداته العليا من احدى كبرى الجامعات فى الهندسة فى أمريكا ، فلم يقنع بمجد أسرته التليد وإنما بنى لنفسه مجدا جديدا حينما تبوأ مركزه كمدير للأشغال العسكرية الهندسية فى وزارة الدفاع بالمملكة وهو منصب جدُّ خطير تحيط به المغريات من كل جانب ولم يهيئه لهذا علمه فحسب وانما هيأته لذلك صفاته الشخصية ، فلقد اشتهر بالاخلاص والنزاهة ، ونظافة اليد والضمير واذا علمت ان محمود نصيف أشرف على عدد من المشاريع البالغة الضخامة مثل مشروع المدينة العسكرية فى خميس مشيط ، ومطار جدة الدولى ومطار الرياض الدولى ، وكان فى كل أعماله مثالا للنزاهة التى تصل الى درجة الزهد ، أدركت مدى قوة الخلق فى هذا الشاب العظيم الذى كان يتعالى على كل أسباب الإغراء مترفعا بنفسه عن كل مظنة حتى أصبح مضربا للمثل فى عصر عزَّ فيه ، هذا المثال النادر من الرجال ، كتبت عنه احدى المجلات الامريكية المتخصصة فى الهندسة والانشاءات كواحد من المهندسين القلائل فى العالم الذى أشرف على عدد ضخم من المشاريع الهندسية التى تقدر ببلايين الدولارات فى وقت قصير .

وكان إلى جانب هذا المنصب متدينًا شديد التدين قوى الايمان وقد أسبغ عليه هذا التدين ما تميَّز به من صفات التواضع الجم والامانة القليلة النظير .

تفــرّغ لخِــدمَة الجَامِعَة

ولقد عرفت المرحوم محمود نصيف أول ما عرفته حينما انضم الى عضوية المجلس التأسيسى لجامعة الملك عبدالعزيز فرأيت فيه شابا يجمع بين العلم والتواضع ويساهم بعلمه وجهده فى خدمة مشاريع الجامعة وما أكثر ما كانت الجامعة فى حاجة إلى هذا الجهد على قلة الموارد فى ذلك الوقت .

كان المبنى الذى تشغله كلية العلوم قديما لايقوى على البقاء كما أنه لا يفى بمتطلبات الكلية فاقترح المهندس محمود نصيف اقامة مبنى خاص بالكلية ولكن موارد الجامعة لم تكن تسمح فى ذلك الوقت باقامة المبنى المطلوب فقام هو بجمع التبرعات العينية والنقدية للجامعة من الشركات الهندسية والفنية الكبيرة التى كان على صلة بها ، وجَند كل أصدقائه من المهندسين والفنيين لانشاء المبنى فى أسرع وقت وبأقل تكلفة وهكذا قام مبنى كلية العلوم بجهد عظيم من المرحوم محمود نصيف خاصة وبمن لبى نداءه من المخلصين والعاملين وقد شمل هذا الجهد كل ما يتعلق بالمبنى من تصميم وتنفيذ .

ولم تقف جهود المرحوم محمود نصيف عند مبنى كلية العلوم فلقد ساهم بجهد عظيم فى كل عمل هندسى للجامعة فكان يشرف على أعمالها الهندسية وانشاء مبانيها منذ أن كانت جامعة أهلية وحتى بعد أن تحولت الى جامعة حكومية دون مقابل ولقد تابع بجهوده الشخصية اخراج المخطط العام للجامعة بجدة الى مرحلة التصميم ، كما شارك فى اخراج مخطط الجامعة بمكة وكان يندفع بكليته فى العمل دون تفكير فيما يجب لنفسه من راحة ولصحته من عناية ، ولقد علمت أنه كان يغادر بيته فى الصباح المبكر دون ان يتناول طعام الافطار منهمكا فى عمله حتى

المساء ، بل إنه حتى فى رحلاته للعلاج بعد أن ظهرت عليه أعراض المرض كان يبحث فى هذه الرحلات الأعمال الهندسية للجامعة مسرفا على نفسه فى الجهد والعمل الى ان توفاه الله •

محمود نصيف والخدمة العامة

ولم تقف جهود محمود نصيف رحمه الله على أعمال الجامعة ومشروعاتها ولكنه كان يندفع الى بذل جهوده فى كل عمل يحس فيه النفع العام ولقد علمت انه ساعد على تصميم وانشاء طابق جديد فى المبنى الذى كان يشغله البنك الاسلامى بجدة أول تأسيسه وكان المبنى يضيق بمتطلبات البنك وأعماله فقام رحمه الله بعمل التصميم للطابق الجديد وأشرف على انشائه بسرعة مذهلة • وأستطيع أن أقول إنى خبرت شيئا من هذا الاندفاع فى الخدمة العامة لا فى الجامعة وحدها أو فى البنك الاسلامى وانما فى كل عمل نافع ، فلقد وهب الرجل شبابه للخدمة العامة ولم يكن ينتظر الدعوة إلى العمل وإنما كان يقدم نفسه كما فعل فى الجامعة والبنك الاسلامى وغيرهما من الأعمال •

ولا يظن ظان ان محمود نصيف كان يستغل مركزه الكبير فى وزارة الدفاع لهذه الخدمة دون علم من رؤسائه فقد أخبرنى شخصيا أنه علم أن احد الرجال المعروفين كان يفكر فى انشاء مسجد فى مدينة أبحر لخلوها من المساجد فلم يكن منه الا أن استأذن صاحب السمو الملكى الامير سلطان وزير الدفاع والطيران فى أن يقوم المكتب الهندسى لوزارة الدفاع بتصميم المشروع فوافق سموه على ذلك ، وهكذا كان الرجل مبادرا إلى كل عمل نافع وكأنما قد سُخِّر لذلك تسخيرا ، وبينما كان غيره يسخِّرُون عملهم ووظائفهم للنفع الشخصى وجر المغانم كان هو يسخر نفسه للخدمة العامة فكان بذلك مثالا فريدا قليل النظير •

مرضه ووفاته

أحسَّ المرحوم محمود نصيف بأعراض الداء قبل فترة من الزمن ولكنه لم يسارع إلى العلاج كما كان الواجب بل كان يؤجل السفر للفحص والعلاج أسبوعا بعد اسبوع وشهرا بعد شهر حتى أصبحت الحمى لا تفارقه وكان مع ذلك منهمكا فى أداء الأعمال التى كلف نفسه بها حتى ظهرت عليه العلّة صفرة فى الوجه ونحولاً فى البدن فسافر إلى أمريكا ولم ينس أن يحضر أولا اجتماعا لبحث مخطط الجامعة العام فى مدينة غير التى يقصدها للعلاج ، ثم انتهى به المطاف إلى مدينة روشستر بولاية مينسوتا بأمريكا وقد اقتضى الأمر اجراء جراحة عاجلة له ولكن الداء كان قد استفحل وبقى فى غرفة الانعاش وقتا غير عادى مما استدعى إرسال زوجه وأولاده إليه كما سارع بعض أفراد اسرته للسفر وهكذا أراد الله لهذه الروح ان تعود إلى بارئها مودعا هذه الحياة وهو فى مطلع رجولته بمدينة روشستر بأمريكا بتاريخ ٩٥/١٢/٢٩ هـ وقد نقل جثمانه الى جدة بعد ثلاثة أيام من وفاته فاستقبله اصدقاؤه الكثيرون وصلى عليه فى جامع الملك سعود ودفن بمدينة جدة مسقط رأسه وقد نعته صحف المملكة جميعها واستمر الكتاب والشعراء فى رثائه وتعداد مآثره وقتا طويلا ، فلقد كان شابا نادر المثال تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن جزاءه فى دار الخلود ..





محمد سرور الصبان

محمد سرور الصبان

طويل بائن الطول ، سمهرى القوام ، داكن البشرة ، عظيم الشفتين ، اقنى الأنف حلو النظرة ، حسن الخلق رقيق أنيق يرتدى العباءة العربية والعقال ، وهبه الله سماحة فى النفس واليد فكان من أكرم من عرفت من الرجال ، وكان يسع الناس ببذله وكرمه كما يسعهم بأخلاقه وحلمه حتى تبوأ مركز الزعامة بما بذل من نفسه وماله .

ولد الشيخ محمد سرور الصبان بمدينة جدة كما ورد فى ترجمته التى كتبها عن نفسه فى كتاب أدب الحجاز فى اواخر عام ١٣١٦ هجرية وتعلم فى مكة ثم فى مكتب صادق بمدينة جدة بعد ان هاجر والده الحاج سرور الصبان اليها حيث كان يدير اعمال اسرة الصبان ، وكانت يومها من اكبر البيوتات التجارية التى تخصصت فى تصدير الجلود ، وفى اوائل العهد السعودى كان موظفا بأمانة العاصمة بمكة المكرمة كما كانت له مكتبة لبيع الكتب يعمل فيها اخوه المرحوم الشيخ عبدالله سرور الصبان ، وفى السنوات الأولى من العهد السعودى استقدمه جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز الى الرياض وبقى بها بعض الوقت ثم عاد بمعية جلالته الى الحجاز وكانت قد اتصلت اسبابه باسباب المرحوم الشيخ

محمد الطويل فى الرياض وقد عادا معا الى الحجاز بمعية المغفور له الملك عبدالعزيز فأسند الشيخ محمد الطويل الى الشيخ محمد سرور ادارة شركة القناعة للسيارات بمكة المكرمة والتى كانت رئاستها للشيخ محمد الطويل كما ورد فى ترجمته المنشورة من قبل ٠

وفى شركة القناعة للسيارات اتصلت أسبابى بأسباب المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان فقد كان هو مديرا لإدارة الشركة بمكة المكرمة ، وكنت اعمل بإدارتها فى جدة ، وبعد ان اسندت الى الشيخ محمد الطويل رئاسة اموال وجمارك المنطقة الشرقية اصبح الشيخ محمد سرور هو القائم بادارة شركة القناعة فى جدة واصبحت اعمل معه جنبا الى جنب طيلة شهور الموسم ، وما لبث الشيخ محمد سرور ان أسس شركة خاصة للسيارات باسمه واسم اخوانه اطلق عليها اسم شركة الفلاح وأسندت ادارتها الى اخيه المرحوم الشيخ عوض سرور الصبان وكانت من اكبر شركات السيارات فى ذلك الزمان ـ هذه الشركات جميعها توحدت فيما بعد فى شركة واحدة هى الشركة العربية للسيارات ـ وفى النقابة الأولى للسيارات التى كان مركزها الرئيسى فى مكة المكرمة تجلت عبقرية الشيخ محمد سرور وظهرت مواهبه ، وكانت شؤون السيارات تهم الدولة اذ ذاك فوقع اختيار معالى المرحوم الشيخ عبدالله السليمان على الشيخ محمد سرور ليتولى ادارة قسم التحريرات فى وزارة المالية وللأيام الأولى التى باشر الشيخ محمد سرور فيها هذا العمل ظهر اثره وتبين تأثيره ، وكان معالى الشيخ عبدالله السليمان خبيرا بأقدار الرجال فما لبث ان اسند اليه منصب مدير عام وزارة المالية ، وكانت وزارة المالية اذ ذاك هى كل وزارات الدولة تقريبا فوزارة المالية هى التى تقوم بأعباء وزارات المالية والأشغال والحج والمواصلات والتجارة بينما كان ديوان النيابة العامة الذى كان يتولاه فى ذلك العهد سمو الامير فيصل نائب جلالة الملك فى الحجاز اذ

ذاك ـ جلالة الملك فيصل الاول فيما بعد ـ تتولى الإشراف على الداخلية والأمن العام والمعارف ومجلس الشورى وهيئات الامر بالمعروف والمحاكم الشرعية والبلديات ، وهكذا وجد الشيخ محمد سرور فى وزارة المالية المجال الرحب لإظهار مواهبه وقدراته فكان فى ذلك العهد ولسنوات طويلة من اكبر الرجال تأثيرا واعظمهم نفوذا فقد كان يستمد سلطاته القوية من اقوى رجل فى الدولة بعد ولى العهد والنائب العام ، وقد استطاع الشيخ محمد سرور ان يحسن العمل فى وزارة المالية فالتحق بها فى عهده صفوة المثقفين إذ ذاك فتحسنت لغة الكتابة فى الدواوين بعد ان عمل فيها ادباء معروفون كالاساتذة عبدالوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن كتبي واحمد قنديل وكلهم كتاب وشعراء بارزون وكانوا جميعا يعملون بالتدريس فى مدارس الفلاح بمكة وجدة وبالمدارس الحكومية وكلهم تولى رئاسة تحرير صوت الحجاز فى وقت من الاوقات وللشيخ محمد سرور مأثرة أدبيه كبرى ينفرد بها حين يكتب التاريخ الأدبى للحجاز فقد كان اول من اصدر « كتاب ادب الحجاز وكتاب المعرض » ، وكتاب « خواطر مصرحة » للاستاذ محمد حسن عواد ، وكتاب ادب الحجاز بالذات كان اول مؤلف يضم شعر ادباء الحجاز فى الاربعينات من هذا القرن الهجرى كما كان اول صوت يسمع فى داخل المملكة وخارجها عن الأدب والأدباء وقد جاء هذا الكتاب بعد فترة من الركود والخمول منذ أواخر العهد التركى وخلال العهد الهاشمى فكان ظهور ادب الحجاز بشيرا بفجر النهضة الادبية فى الحجاز وهو على صغر حجمه لم يكن الا تعبيرا شديد الاختصار عن ولادة الادب الحديث فى هذه البلاد ولكن هذا التعبير جاء فى وقته فكان له صدى قوى فى داخل البلاد وبشارة حسنة لمن يترقبون الأحداث الادبية فى خارجها ، وكتاب ادب الحجاز هو كتاب شعرى بينما ان كتاب المعرض هو كتاب نثرى فاذا كان الاول يعبر عن الشعر الحديث اذ ذاك فى الحجاز فان

كتاب المعرض هو تعبير عن لغة الكتابة فى ذلك العهد ، اما كتاب « خواطر مصرحة » فهو من تأليف الاستاذ محمد حسن عواد وقد احدث فى حينه ضجة واسعة ، ومهما كان الرأى فيه فلقد كان حدثا قويا وجريئا فى حينه ، وللشيخ محمد سرور الى جانب هذه المأثرة الأدبية الاولى مآثر كثيرة فقد طبع ونشر على نفقته كتبا كثيرة جليلة منها كتاب تفسير معانى كلمات القرآن للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية وكتاب العقد الثمين فى تاريخ البلد الامين للفاسي[1] وغيرها من الكتب المفيده الجليلة وكانت هذه الكتب تطبع وتوزع على نفقته بغير مقابل جزاه الله خير الجزاء ، كما أن الشيخ محمد سرور كان مؤسس ورئيس الشركة العربية للطبع والنشر التى اشترت جريدة ومطبعة صوت الحجاز من صاحبها المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف وقد كان الشيخ محمد صالح نصيف من اوائل السباقين الى نشر الصحف فقد كان يصدر جريدة بريد الحجاز فى جدة فى اواخر العهد الهاشمى ثم اصدر جريدة صوت الحجاز بمكة فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى وكانت جريدة صوت الحجاز اول جريدة وطنية فى المملكة بعد جريدة ام القرى الرسمية وكانت فى حينها حدثا عظيما لأنها كانت مجالا لأراء الكتاب والمفكرين من الرعيل الأول وكانت محل اهتمام كبير على جميع المستويات وهى تصدر الآن باسم جريدة البلاد ، نعود بعد هذا الاستطراد لنواصل الحديث عن المرحوم الشيخ محمد سرور بعد توليه منصب مدير عام وزارة المالية ، وقد كانت هذه الوزارة كما اسلفنا فى ذلك العهد قطب الأعمال ومركز الآمال فالتجار كل التجار يتعاملون معها ، اذ كانت تتولى كافة شؤون الدولة المالية والانشائية والصناعية ، وكانت الوظائف مرتبطة بها والصرف والقبض من اهم اختصاصاتها

---

(١) وكتاب الصحاح للجوهرى بتحقيق الأساتذة أحمد عبدالغفور عطار وعبدالسلام هارون وكتاب جواهر العقود ومدارج السالكين وشذرات البلاتين وكتاب الانصاف فى الفقه وهو فى أحد عشر مجلدا وديوان شاعر العرب الكبير فؤاد الخطيب .

وبهذا اصبح الشيخ محمد سرور مقصدا للناس يقصدون اليه فى قضاء امورهم فلم يكن يخيب لهم املا ولا يرد لهم مطلبا ما وسعه ذلك ولهذا كان يجلس الى الناس بعد عصر كل يوم يستقبلهم ويستمع اليهم ويحاول قضاء مطلبهم ، وكان هذا المجلس يمتد حتى صدر الليل ، ولم يكن يعتريه سأم او برم فقد وهبه الله نفسا سمحة وخلقا كريما فكان يهب من يهب ويقرض من يقرض ويعين من يعين كل هذا فى صمت عجيب وتواضع جم ولقد عملت الى جانبه تسع سنوات رأيت فيها العجب من احسانه وحلمه وكثيرا ما انقذ تجارة منهارة او قضى دين كريم وكثيرا ما أقال العثرات وكان يعطى عطاء من لايخشى الفقر وكثيرا ما اشفقت عليه مما أرى فكنت ألفت نظره بلطف إلى ما يفعل ولكن أنّى للسيل العارم أن يرتد فقد جبله الله على الكرم والسخاء .

وكانت للشيخ محمد سرور مطامح اقتصادية واسعه فكان اول رئيس للعديد من المؤسسات والشركات الوطنيه مثل مشروع القرش ، الشركة العربيه للتوفير والاقتصاد ، الشركة العربية للصادرات ، الشركة العربية للطبع والنشر ، الشركة العربيه للسيارات ، شركة ملح وكهرباء جيزان ، شركة الزهراء للعمارة ، شركة مصحف مكة ، وللأسف فإنه لم يبق من هذه الشركات جميعا سوى الشركة العربية للسيارات وشركة مصحف مكة ، اما الشركات الاخرى فقد انتهت تماما ولعل الشيخ محمد سرور كان يتخذ من زعيم مصر الاقتصادى المرحوم طلعت حرب مثالا يحتذى فى تأسيس هذه الشركات ، والواقع ان البعض من هذه الشركات تعرض للصعوبات والمتاعب والبعض كانت تنقصه المهارة الإدارية والخبرة والكل كان فى حاجة الى التطوير والتمشى مع متغيرات العصر ، ولعله مما يؤخذ على الشيخ محمد سرور انه لم يكن يشرك الجمعيات العمومية للشركات فى دراسة ما تتعرض له هذه الشركات من مشاكل لتكون القرارات المتخذة قرارات جماعية وليكون المساهمون على علم بتطورات الأمور فى شركاتهم وهكذا انتهت هذه الشركات إلى الانقراض والفناء .

والواقع ان الشيخ محمد سرور يتصرف بمثل هذا فى شؤونه الخاصة وكان رجلا واسع الخيال كبير الأحلام ، وكانت هذه الصفات فيه مدعاة لاستغلاله من كثير من الناس فكان كل من تقدم له بمشروع وطلب منه المشاركة فيه استجاب إليه فأمده بالمال شراكة أو قرضا، وكثير من هذه المشروعات كان ظاهر التهافت ولم يبن على دراسة كما ان الكثير من اصحاب هذه المشاريع لم يكن التعامل معهم موحيا بالثقة والاطمئنان • كان البعض يفكر فى مشروع يصوره له خياله ويأتى الينا فى دار الشيخ محمد سرور وهو نفسه غير متأكد من صحة تفكيره او من نجاح مشروعه فما هى الا ساعة او بعض ساعة يجلس فيها الى الشيخ محمد سرور حتى يخرج والبشر يطفح من وجهه والأمل يملأ جوانحه فقد وجد من الشيخ وتعضيده ما يحمله على الظن بأنه عبقرى الدهر وواحد الزمان ويأخذ دفعة من المال يبدأ بها الخطوات الأولى لمشروعه العتيد وتمضى الأسابيع والشهور واذا بهمة الشيخ تفتر عن السير مع احلام الرجل ولكنه لايصارحه بشىء وتبدأ الأمور فى التعقيد وينقلب اعجاب الرجل بالشيخ محمد سرور وثناؤه عليه الى نقد صارخ فيسبق إلى ذهنه انه اساء إليه وأوقعه فى ورطة ولا يجد الشيخ محمد سرور مفرا من تفادى المشكلة إلا بالتنازل عما دفع من مال بفدية أخرى يفتدى نفسه مما كان ، وكان من الممكن تفادى كل هذا الحرج وكل هذه الخسارة بصرف الرجل من البداية صرفا حسنا أو بالاعتذار المؤدب عن الدخول فى هذه المشاريع . والواقع أنى لست أدرى حتى الآن وبعد معايشتى للشيخ محمد سرور السنين الطوال هل هو حب المجاملة للناس ، أو الطموح الكبير هو الذى كان يدفع الشيخ محمد سرور إلى مثل هذه المواقف أو انهما الصفتان معا كانتا الدافع إلى مثل هذه الأمور ، وأستطيع أن أضيف إلى صفات الشيخ محمد سرور رحمه الله انه كان كثير الحياء كاتما لأسرار الناس ، وكانت هذه الصفات فيه تمنعه من

مصارحتهم بما يكرهون ، وبالاسراف فى مجاملتهم وملاطفتهم . كما أن كتمانه لأسرار الناس كان يمنعه من تقصى أحوالهم والواقع أن هناك فرقا بين كتمان أسرار الناس وبين التقصى فيما يجب التقصى فيه خاصة فى الأمور الاقتصادية . وقد جاء وقت أصبح فيه الكثير من الناس يدعون انهم شركاء للشيخ محمد سرور فيما يقومون به من أعمال ومشاريع ، والكثير من هؤلاء الناس لايستحقون أن يقرن اسمهم إلى اسمه ، فشتان بين مشرق ومغرب وقد انتهت هذه المشاركات كلها إلى التلاشى وفقد الشيخ محمد سرور رحمه الله أموالا طائلة فيها نتيجة لعدم التقصى عن أحوال هؤلاء الناس وعدم التروى فى الدخول معهم فى أى مشروع .

وكان الشيخ محمد سرور رحمه الله يقرض الكثيرين المال الكثير فلما ظهرت حاجته اليه وبدأ يطالب الناس به لم يجد منه الا القليل او اقل القليل ، وقد شكا لى فى آخر حياته من بعض الناس الذين كان اقراضه لهم بمثابة انقاذ من الهاوية وستر من الفضائح وكنت اعرف سلفا ان هذا سيحدث وحينما كنت مديرا لأعماله من عام ١٣٥٥ هـ ـ ١٣٦٤ هـ كنت انبهه الى شيء من ذلك ولكن ما جبل عليه من حب للخير وإسداء للمعروف جعله يندفع فى الطريق الذى يسير فيه .

هذا وقد بقى الشيخ محمد سرور فى منصبه مديرا عاما لوزارة المالية وتقلبت به الايام فى هذا المنصب علوا وسفلا فاذا كان الرضا عنه كانت له السلطة والتصرف ، واذا أُغضِى عنه وحل محله من ينال ثقة الوزير الشيخ عبدالله السليمان بقى مجمدا فى منصبه او سافر الى الخارج ينتظر تغير الاحداث .

وبعد تولى الملك سعود العرش خلفا لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز واستقالة الشيخ عبدالله السليمان الحمدان من وزارة المالية عين الشيخ محمد سرور وزيرا لها فى اول وزارة رسمية يرأسها جلالة المغفور له الملك فيصل ، وكان

الانفاق الضخم الذى صاحب بداية عهد الملك سعود فى ولاية الشيخ محمد سرور لوزارة المالية سببا فى الازمة المالية التى حدثت فى ذلك الوقت ، وارتفاع اسعار العملات الاجنبية مع ان تسعين فى المائة من واردات الدولة كان من العملات الاجنبية ولم يتمكن الشيخ محمد سرور من معالجة الوضع لأن العلاج كان يقضى حزما وسيطرة كاملتين على النفقات وخاصة فيما يتعلق بالعملات الاجنبية وهذا هو الذى قام به جلالة المغفور له الملك فيصل شخصيا فما هو إلا عام او بعض عام حتى استقرت الأمور وتحدد الصرف وتوازنت الميزانية ، وكان الشيخ محمد سرور اذ ذاك قد سافر الى اوربا فى رحلة للعلاج ولكنه أقيل من منصبه قبل عودته الى المملكة بسبب هذه الأحداث وبقى الشيخ محمد سرور فى مصر فترة طويلة من الزمن حتى استدعاه جلالة المغفور له الملك فيصل للعودة الى البلاد ٠

وخلال اقامة الشيخ محمد سرور فى القاهرة كانت داره مفتوحة للناس ويده مبسوطة اليهم بالإنفاق الكثير فكان يبعث المرضى على نفقته الى المستشفيات ويعين العائلات الكثيرة المهاجرة فى مصر ممن يحتاجون الى العون ، وقد شمل كرمه الكثير من أحرار العرب المقيمين بالقاهرة وبيروت والذين شردتهم الأحداث السياسية عن بلادهم وهكذا كان المرحوم الشيخ محمد سرور كالغيث يعم نفعه اينما حل ويصل خيره الى الكثيرين فى صمت وتواضع وحياء ٠

وبعد عودة الشيخ محمد سرور الصبان اسندت اليه الأمانة العامة لرابطة العالم الاسلامى حين تأسيسها فكانت ولايته لها خير استهلال للأمانة الوليدة وبمهارته وحذقه استطاع ان يخلق من الرابطة على قلة مواردها اذ ذاك كيانا كبيرا ضخما ، وقد ساعد تأييد جلالة المغفور له الملك فيصل للرابطة على انجاحها ، كما ساعدت علاقات الشيخ محمد سرور الصبان الكبيرة والمتشعبة بالكثيرين من رجالات العالم الإسلامى على ترسيخ قواعد الرابطة وامتداد تأثيرها وللتاريخ

فإن كلا من معالى الشيخ محمد سرور الصبان ومعالى الشيخ صالح قزاز كانا يعملان فى الرابطة دون. مقابل منذ بدء تأسيسها وحتى وفاة الشيخ محمد سرور رحمه الله وهو امينها العام ، وكذلك حتى استقالة الشيخ صالح قزاز بعد ذلك من أمانتها العامة بعد اسنادها اليه اذ كان الامين العام المساعد منذ بداية التأسيس وتوفى الشيخ محمد سرور رحمه الله بالقاهرة بتاريخ الثانى من ذى الحجة ١٣٩١ هـ اثر نوبة قلبية وكان يشكو فى السنوات الأخيره من عمره من لغط فى القلب وقد نصحه الأطباء فى بريطانيا باجراء عملية عاجلة ولكنه فضل التأجيل والتريث وكانت رنة حزن كبيرة لدى جميع عارفيه ومحبيه فى شتى البلاد الاسلامية والعربية وفى وطنه خاصة وارسلت الدولة طائرة خاصة لنقل جثمانه من القاهرة حيث صلى عليه فى المسجد الحرام ودفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة فى الثالث من ذى الحجة سنة ١٣٩١ هـ واشترك فى استقبال جثمانه وتشييعه كثير من الأمراء والأعيان والجموع الشعبية الكثيرة التى كانت تدين له بالحب والولاء ٠

رحمه الله رحمة واسعة وأحسن جزاءه فى جنات الخلود فقد كان رجلا محبا للخير مقيلا للعثرات ساترا للعورات ٠

مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان

هذا وقد ترك المرحوم الشيخ محمد سرور مكتبة قيمة تعد من أحسن المكتبات الخاصه فى مكة المكرمة وهى تحتوى على كثير من أمهات كتب المطبوعة وبعضها مخطوط ولعل أبناءه الاساتذة الاخوة عبدالرحمن وعبدالباري وسعدا يهتمون بها او يضمونها الى احدى المكتبات العامة لينتفع بها الراغبون .

فى الحلقة الخاصة بترجمة معالى الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله ضمن تراجم اعلام القرن الرابع عشر ذكرت ان لديه مكتبة ، تعتبر من اكبر المكتبات

الخاصة فى الوقت الحاضر وانها تحتوى على مجموعة ثمينة من الكتب الى جانب المخطوطات القيمة التى تضمها المكتبة وتمنيت على ابنائه السادة الاخوة عبدالرحمن وعبدالبارى وسعد ان يعملوا على اتاحة الفرصة للانتفاع بما تضمه هذه المكتبة بإهدائها الى جامعة الملك عبدالعزيز ولقد تلقيت خطابا من سعادة الاخ الشيخ عبدالرحمن سرور يذكر فيه أن المكتبة قد سبق ان قدمت من قبلهم الى جامعة الملك عبدالعزيز بتاريخ ١٣٩٧/٧/١٩ هـ وارفق بخطابه صورة من محضر الاستلام والتسلم وهو يضم خمسة آلاف ومائة وستة وسبعين كتابا منها مائتان وثلاثة مخطوطات وقد رأيت إكمالا لترجمة معاليه ان انوه بهذا العمل الطيب الذى قام به ابناء المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان ولاشك انهم حققوا بهذا رغبة من أهم رغبات والدهم الكريم كما انهم ساروا فى هذا العمل على النهج الطيب الذى اتسمت به حياته وأعماله جزاهم الله خير الجزاء ووفق الجميع الى مافيه الخير ٠٠ ويسرنى أن أثبت هنا صورة من المحضر الذى تم به استلام هذه المكتبة من قبل مندوب الجامعة وهو بتاريخ ١٣٩٧/٧/١٩ هـ

محضر استلام وتسلم

إنه فى يوم الثلاثاء الموافق ١٣٩٧/٧/١٩ هـ تحرر هذا المحضر بين الأستاذ عبدالحميد فهمى اسماعيل مندوبا عن ورثة المرحوم معالى الشيخ محمد سرور الصبان ٠٠ والاستاذ حلمى عيد العزب مندوبا عن جامعة الملك عبدالعزيز بمكة المكرمة عن سعادة مدير عام المكتبة المركزية للجامعة وذلك لتقرير استلام السيد مندوب الجامعة لكافة الكتب المخطوطة والمطبوعة والمصورة وغيرها والتى قام

بجمعها المغفور له طيب الذكر معالى الشيخ محمد سرور الصبان وكانت بمكتبة معاليه بأم الدرج بمكة المكرمة وأهداها المكرمون ورثة معاليه للجامعة تحقيقا للنفع العام لطلبة وأساتذة الجامعة والناطقين بالضاد بما احتوت عليه فى شتى العلوم والمعارف ، وهى تراث من أمجاد العرب لتحفظه الأجيال عبر السنين .

وقام السيد مندوب ورثة المغفور له معالى الشيخ بتسليم تلك المجموعة من الكتب طبقا للكشوف التى أعدت ووقعت للسيد مندوب الجامعة تنفيذا للاهداء بادىء الاشارة اليه

وبيان تلك المجموعات والكتب حسب الكشوف مع ملاحظة أن الكتب مرقمة على أساس العناوين وبعض العناوين يشمل أكثر من نسخة طبقا لما هو مقيد بالكشوف وبيانها كالآتى :

١ ـ دوائر المعارف من ١ إلى ٢
٢ ـ القرآن وعلومه من ١ إلى ١٩٢
٣ ـ الحديث وعلومه من ١ إلى ٢٤٦
٤ ـ الفقه وأصوله من ١ إلى ٦٢٣
٥ ـ الاسلاميات من ١ إلى ٨٠٦
٦ ـ اللغة العربية من ١ الى ٢٣٢
٧ ـ الأدب من ١ الى ٦٠٦
٨ ـ التاريخ والتراجم من ١ الى ٨٥١
٩ ـ المتفرقات من ١ الى ١٢٢٥
١٠ـ مجموعة كتب الرابطة من ١ الى ٢٧
١١ـ المخطوطات من ١ الى ٢٠٣

١٢ـ المصورات من ١ الى ١١

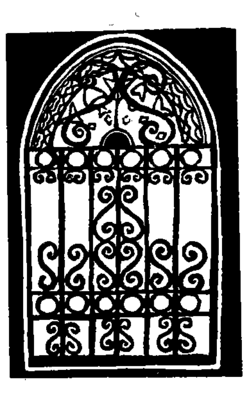
١٣ـ كتب قديمة مطبوعة من ١ الى ١١

١٤ـ الدوريات من رقم ١ الى ١٤١

وبعد مراجعة الكشوف مع مصادرها بمعرفة مندوب المكرمين ورثة معالى الشيخ قد نقلت تلك المجموعات والكتب بواسطة السيد مندوب الجامعة ومعاونيه الى مقر الجامعة بمكة المكرمة على أن يتم اعادة فرزها وختمها بخاتم خاص وحفظها بمكتبة الجامعة .




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد صالح ابوزنادة

الشيخ محمد صالح أبوزنادة

متوسط القامة ممتلىء الجسم واسع العينين تشوب بياضه حمرة خفيفة يطلق لحيته وعارضيه ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية فى العهد الهاشمى وأوائل العهد السعودى ثم أصبح يرتدى العباءة العربية والغترة البيضاء دون عقال ٠

ولد الشيخ محمد صالح ابوزنادة بمدينة جدة عام ١٣١٤ هـ وتلقى تعليمه فى مكتب صادق ومكتب صادق هذا يعتبر هو أول تطوير فى الدراسة من الكتّاب الى المدرسة النظامية وفيه تعلم الشيخ محمد سرور الصبان وكثير من رجالات جدة الذين ولدوا فى الربع الأول من القرن الرابع عشر ، وفى مطلع شبابه عمل كاتبا للحسابات فى بيت آل عاشور التجارى وهذا البيت كان فى عهده من أجمل بيوت جدة ولايزال من أجمل وأفخم البيوت القديمة فى جدة وهو فى امتداد شارع قابل بجوار مسجد المعمار وقد بناه آل الصبان فى اوائل القرن الثالث عشر وهو قريب من قصر نصيف المشهور بجدة ولعله بنى تقليدا لهذا القصر أو محاولة لتقليده فى ذلك الزمان والقصر الآخر الذى يشبه قصر نصيف هو قصر آل الجوخدار فى حارة اليمن بناه الشيخ محمد نور جوخدار رئيس وكلاء مشايخ الجاوه فى جدة نقول إن منزل آل عاشور هذا آل اليهم بالشراء من آل الصبان وكان آل

الصبان من أكبر تجار الجلود فى مكة وجدة وقد أدركتهم وهم يجمعون جلود الذبائح ويدبغونها دباغة ابتدائية ثم يصدرونها للبيع فى أسواق عدن ، وكان لهم بيت كبير فى مكة وآخر فى القنفذة وكان الحاج سرور الصبان والد معالى الشيخ محمد سرور الصبان رحمهم الله يدير بيتهم التجارى فى القنفذة ثم فى جدة وحينما باع ابن الصبان الكبير هذا المنزل فى جدة استعاده الحاج سرور لملكية ابناء الصبان ولكنهم باعوه مرة اخرى الى آل عاشور وهذا البيت لايزال موجودا وقد باعه ورثة عاشور الى احد قدماء التجار الهنود فى جدة ولايزال البيت يعتبر من أجمل البيوت التى تمثل فن البناء القديم محتفظا بجماله وهندسته وقوته كأجمل ما يكون عليه البناء مع أنه مضى عليه ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن أو أكثر ، نعود بعد هذا الاستطراد الى الشيخ محمد صالح أبوزنادة لنقول انه عمل فى مطلع حياته كاتبا فى بيت آل عاشور التجارى ثم انتقل للعمل فى بيت الشيخ ابراهيم الفضل فى جدة ثم انتدب للعمل فى مدينة بومباى وكان للشيخ ابراهيم الفضل بيت تجارى كبير فى جدة وآخر فى مدينة بومباى وكان أحد كبار التجار العرب فى الهند ، وكان يعمل فى تجارة اللؤلؤ كما علمت من ابن شقيقته وزوج ابنته المرحوم الشيخ ابراهيم السليمان بن عقيل السفير السعودى الأسبق فى القاهرة ، ثم عاد إلى جدة بعد ذلك مع بداية تأسيس أول شركة للسيارات فى العهد السعودى فعين مديرا لها بجدة وكان الشيخ محمد صالح قد افتتح كذلك عمله التجارى الخاص الى جانب عمله فى ادارة الشركة السعودية للسيارات وكان يعمل فى استيراد الارزاق كالدخن والشعير من موانىء جيزان والقنفذة وموانىء اليمن الأخرى ، ولم تستمر الشركة السعودية للسيارات وقتا طويلا بعد تعرضها للمشاكل الكثيرة فانحلت ولكن الشيخ محمد صالح أبوزنادة أنشأ لنفسه شركة خاصة للسيارات وأطلق عليها اسم شركة (قاصد كريم) ثم أصبح عضوا فى نقابة السيارات الأولى

بجدة حين تأليفها وحين توحيد شركات السيارات جميعها فى شركة واحدة اختير الشيخ محمد صالح أبوزنادة مديرا لفرع الشركة الموحدة فى جدة والتى أطلق عليها اسم (الشركة العربية للسيارات) كما انتخب عضوا بمجلس إدارة الشركة لسنوات طويلة ولعله من المستحسن أن نذكر الآن طرفا من تاريخ دخول السيارات الى البلاد والمشاكل الكثيرة التى تعرض لها كثير من المشتغلين بها وكيف تطور الامر الى الوضع الحاضر ٠

لقد ذكرنا فى حلقات سابقة ان السيارات كانت ممنوعة منعا باتا فى العهد الهاشمى اذ أن الملك الشريف الحسين بن على كان يعتبر ان هذه السيارات تهدد اقتصاد البلاد وتنزح ثروتها الى الخارج على اعتبار ان السيارات صناعة أجنبية وتحتاج فى تشغيلها من وقود وصيانة الى مستوردات اجنبية كقطع الغيار والبنزين والزيوت والإطارات وما اليها كما انها ستحتاج فى قيادتها وصيانتها الى القوى البشرية الأجنبية ولهذا فهو يعتبر أن الجمل هو الوسيلة الاقتصادية المثلى للبلاد فى ذلك الزمان فهو حيوان وطنى والجمال الذى يقوده وطنى كذلك وصناعة الشقادف (الهوادج) التى كانت تنقلها الجمال صناعة وطنية تعمل فيها ايد وطنية كثيرة وهو يضمن للبادية وهى تمثل السواد الأعظم من الشعب وسيلة ارتزاق يجب إلا تحرم منها ، هذه هى الأفكار التى كانت لدى الشريف الحسين والتى بسببها منعت السيارات من دخول البلاد فلما انتهى العهد الهاشمى كان رأى جلالة الملك عبدالعزيز هو الأخذ بمبدأ التطور ومسايرة العصر خصوصا وأن المملكة واسعة الرقعة كبيرة المساحات وهذا هو التفكير الصحيح بطبيعة الحال فسمحت الحكومة باستيراد السيارات وأسست لذلك الشركة السعودية للسيارات كما ذكرنا برئاسة الشيخ سليمان قابل فى جدة كما قامت الحكومة بتأسيس عدة شركات باسمها لأغراض النقل الحكومى ثم ساهمت فى نقل الحجاج كذلك ، وانطلق

الناس من كل حدب وصوب يشترون السيارات وكان محل جلاتلى هنكى وشركاه الانجليزى فى جدة يجمع كل وكالات السيارات تقريبا باستثناء الفورد فقد كان وكيلا لشركة جنرال موتورز لسياراتها المختلفة كما كان وكيلا لشركة دودج وهى من انتاج شركة كريزلر اما شركة فورد فقد كان وكيلها المستشرق الانجليزى المسلم سانت جون فيلبى والذى سمى نفسه فيما بعد عبدالله فيلبى وبعد فترة من الزمن اصدر جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله امرا با حصار دخول السيارات على شركة فورد والكفرات على ماركة قوديير التى كان وكيلها فيلبى المذكور والتى أسس لها شركة تجارية باسم الشركة الشرقية ويبدو ان جلالته رأى السيارات الاخرى ولا وكلاء رسميون لها يعانى مشتروها من نقص قطع الغيار واقنعه عبدالله فيلبى بقصر الاستيراد على شركة فورد المهم ان هذا الامتياز بقى لشركة فورد ولكفرات قوديير بضع سنوات الى ان طلب المسؤولون فى الشركة العربية للسيارات الغاءه محتجين باستغلال الشركة الشرقية لهذا الامتياز فوافق جلالته على ذلك فى الحال وأصبح الاستيراد مسموحا به لجميع انواع السيارات والاطارات بلا استثناء ٠

ان اقبال الناس على شراء السيارات دون سابق خبرة بإدارتها وصيانتها قد حدثت عنه مشاكل من عدة جهات الأولى هى استقدام اعداد كبيرة من السائقين والميكانيكيين من مهندسين وسائقين وعمال صيانة من السودان والهند وعدن وكانت تصرف لهم المرتبات الضخمة بطبيعة الحال لأنهم تركوا أوطانهم وأهليهم فكان لابد من تقديم الاغراءات الكبيرة لهم ، وكانت هذه السيارات محتاجة الى قطع الغيار التى لم تكن متوفرة فى البداية بالشكل الكامل ، كما ان البلاد لم تكن قد عرفت الطرق المزفتة او المعبدة فكانت السيارة الجيدة تقطع طريق مكة جدة فى ساعتين وكثيرا ما تتعرض للتعطيل فى الرمال المتحركة فى

منطقة الحديبية وكانت تسمى فى ذلك الزمان ـ زقاق حدة ـ حيث كانت السيارات تغرز فى هذه المنطقة وهى منطقة رمال متحركة ويقضى السائق والمسافرون ساعات فى اخراجها من الرمال ودفعها الى منطقة صلبة ، اما طريق المدينة المنورة فكانت السيارة الجيدة تقطعه فى يومين كاملين اذا لم تتعطل فى الشفيا وآبار ابن حصانى أو سبخة رابغ ولكن الاجور التى كانت مقررة على الحجاج كانت مغرية اذ كانت الأجرة تبلغ خمسة عشر جنيها ذهبا لنقل الحاج إلى المدينة المنورة وإعادته الى مكة وكان المطوفون يتولون التعاقد مع اصحاب السيارات سواء أكانوا أفرادا ام شركات ولكثرة التنافس بين أصحاب السيارات انخفضت الاجرة او تأجل استلامها الى ما بعد الموسم وقد لاتدفع كلها أو بعضها فيا بعد فأصبحت العملية خاسرة تماما وفقد كثير ممن أقدموا على هذا العمل ثرواتهم والبعض باع عقاره أو مجوهرات عائلته ليضعها فى السيارات ، وحينما تفاقم الامر اضطرت الحكومة للتدخل فأسست النقابة العامة الأولى للسيارات وجرى تحديد الأجور بمعرفة الدولة كما ان نظام النقابة كان ينص على ان تكون شركة السيارات مكونة من عشرين سيارة كبيرة كحد ادنى وان يتم دفع الاجور فى النقابة التى تتولى هى احالة الحجاج على الشركات حسب تعداد مقاعد كل شركة وكانت هذه البداية هى اول عمل تنظيمى جيد لشركات السيارات وكان هذا فى النصف الثانى من الاربعينات وأوائل الخمسينات ثم رأت الدولة ان المصلحة تقضى بتوحيد الشركات جميعها فى شركة واحدة فتم ذلك بعد جهود مضنية وتألفت الشركة العربية للسيارات وأصبحت صاحبة امتياز النقل للحجاج والبريد لسنوات طويلة وحينما تعرضت الشركة للمتاعب وعجزت عن نقل الحجاج مما اضطر الحكومة الى التدخل سنويا لانقاذ الحجاج فى عرفات ومزدلفة ومنى أصدرت الدولة فى عام ١٣٧٢ هـ قرارا بالسماح للسعوديين أفرادا

وشركات بالاشتراك فى نقل الحجاج وحددت العدد الأدنى للشركة بمائة سيارة كحد أدنى وعلى أثر ذلك تأسست الشركات الحالية للسيارات ولاتزال تقوم بعملها فى نقل الحجاج حتى الآن ٠

مُستشفى أبوزنِاده

نعود بعد هذا الاستطراد الى الشيخ محمد صالح ابوزناده فنقول ان للرجل مبادرات تلفت النظر فلقد كان من اوائل الذين قاموا بتأسيس المستشفيات بمدينة جدة وان كان هذا المستشفى لم يستمر طويل وقت فلقد قام الشيخ محمد صالح ابوزناده فى عام ١٣٧٠ هـ بتأسيس مستشفى خاص فى شارع الملك عبدالعزيز مما يلى باب شريف وكان قد قام بانشاء بنايات فى هذا الشارع وتم افتتاح المستشفى بالفعل وكان يديره اطباء المان ولكن هذا المستشفى كما ذكرت لم يستمر طويل وقت بسبب اختلاف الشيخ محمد صالح أبوزنادة مع بعض شركائه على ادارة المستشفى فتحول الى فندق بعد ان استمر اربعة اعوام وافتتح فيه اول فندق باسم فندق الحرمين الذى اسسه السيد حسين العطاس ولايزال هذا المبنى مستعملا كفندق بهذا الاسم حتى اليوم هو والمبنى الصغير المجاور له ٠

كهرباء وثلج أبوزنادة

وكما قام الشيخ محمد صالح ابوزناده بانشاء المستشفى فى عام ١٣٧٠ هـ قام فى عام ١٣٦٠ هـ باستيراد مكينة كهربائية وأسس لها مبنى فى شارع الملك عبدالعزيز بجوار بنك الرياض حاليا وكانت هذه المكينة تمد الشارع كله

بالكهرباء ثم امتدت الى شوارع اخرى ، كما انه اسس فى هذا المبنى مصنعا للثلج وورشة كهربائية وكان الشيخ محمد صالح ابوزناده ينفذ هذه المشـاريع بأيدى الايطاليين الذين هاجروا من أريتريا خلال الحرب العالمية الثانية الى جدة واتصلت أسبابهم بأسبابه فاستفاد الرجل بفكره الثاقب من خبرتهـم فى تنفيذ الأعمال الجديدة التى أقدم عليها وقد استمرت كهرباء أبوزنادة فى العمل الى أن تأسست كهرباء جدة وحصلت على امتياز الإنارة فى مدينة جدة كلها فاضطر الشيخ محمد صالح أبوزنادة الى ايقاف العمل فى الانارة ويبدو انه كذلك أوقف العمل فى مصنع الثلج والورشة الكهربائية بعد ذلك ، على أى حال ان اقامة مشروع للكهرباء ولو كان صغيرا يعتبر فى ذلك الزمن مبادرة لها مدلولها فالبلد كانت محرومة من الانارة الكهربائية وكان الإقدام على مشروع كهذا له معوقاته الكثيرة وفى مقدمتها المعوقات الفنية ان صح هذا التعبير وكذلك المعوقات المالية فالتجار العاديون يرغبون فى استثمار أموالهم فى بضائع يقومـون هم بتوريدهـا وبيعها ، ويتركون المشاريع الصناعية كالإنارة وما شابهها للدولة او للشركات التى تؤلفها الدولة وهكذا كان بالفعل فبالنسبة لكهرباء جدة فان وزير المالية الشيخ عبدالله السليمان كلف شركة بكتل الامريكية بالقيام بالمشروع الابتدائى لكهرباء جدة تم تحول الى شركة مساهمة وتسلمه مجلس ادارة سعودى وبالنسبة لكهرباء مكة فحينما تقدم آل الجفالى الى جلالة الملك عبدالعزيز بطلب الامتياز للمشروع كان جلالته يشفق عليهم من تبعاته ومشاكله ولكنهم أقدمـوا عليه بحماس الشباب فكان لهم ما أرادوا ٠٠ ان الغرض من ذكر هذا كله ان الاقدام على مثل هذه الاعمال قبل اربعين عاما او اكثر كان يدخل فى باب المجازفات

اكثر منه فى باب الأعمال المربحة ، والشيخ محمد صالح ابوزناده افاد من الربح فيما أقدم عليه من مشروع الانارة وفى غيره من المشروعات دون شك ولكنه كان فى زمنه كالرائد الذى يكتشف الطريق وهذه البادرات وأمثالها هى عندى موضع التقدير لأنها تدل على الشجاعة وبعد النظر وكان عمل الشيخ محمد صالح أبوزنادة وأمثاله يكون كاملا لو انه حول مشروعه الصغير الى مشروع كبير بعد ان رأى كثرة الاقبال عليه وبوادر النجاح تلوح امامه فلو انه استعان بالجهات الفنية المتخصصة فى الخارج وألف شركة للإنارة وتقدم بها الى الدولة فى ذلك الزمن لكان السابق ولبقيت له كهرباء جدة كما فعل آل الجفالى وقد أصبحوا عنصرا هاما فى اغلب شركات الكهرباء التى تأسست بعد ذلك .

صندوق البر

وللشيخ محمد صالح ابو زناده مساهمات اخرى فى سبيل المصلحة العامة فحين تأسيس صندوق البر فى جدة عام ٨٣ هـ كان الشيخ محمد صالح ابوزناده من المؤسسين له وقد تولى رئاسته العملية منذ تأسيسه حتى وفاته وصندوق البر فكرة انسانية جليلة وهى تقوم على دعوة القادرين للاشتراك فى هذا الصندوق بمبالغ سنوية او شهرية يتم توزيعها على العائلات الكريمة التى فقدت عائلها وأصبحت فى حاجة الى ما يقيم الأود وهم فى نفس الوقت من كرام الناس الذين تحسبهم اغنياء من التعفف فيقوم الصندوق بإيصال مرتبات شهرية اليهم ولايزال صندوق البر يعمل منذ بدء تأسيسه حتى الآن وقد علمت ان عدد المستفيدين منه يبلغ خمسمائة وخمسين اسرة وفرداً وأن المبالغ التى تدفع لهؤلاء المستفيدين تبلغ حوالى الثلاثمائة وستين ألف ريال فى كل عام وهو مبلغ زهيد فى هذا الوقت الذى أشتد فيه الغلاء وفاض فيه المال فهو بحاجة الى دعم القادرين من زكاة أموالهم

لتنفق فى وجوهها الصحيحة بواسطة رجال خيرين موثوق بأمانتهم وعلمهم بأمور الناس .

أبوزنادة مندوب جدّة

أخبرنى الأستاذ عبدالرؤوف أبوزنادة ان والده الشيخ محمد صالح توجه لمقابلة الملك عبدالعزيز فى مكة قبيل تسليم مدينة جدة وقال لى ان الرجل الذى رافق والده فى هذه الرحلة لايزال حيا يرزق ، وبالفعل فقد بعث إلى المرافق المذكور وبعد أن استمعت منه إلى قصة هذه الرحلة رجعت إلى كتاب ماضى الحجاز وحاضره للمرحوم الأستاذ حسين محمد نصيف فوجدت فى الصفحة ٢٠٢ ، ٢٠٣ ما أورده المؤلف عن تسليم جدة انه تم بواسطة نائب معتمد وقنصل بريطانيا العظمى المستر جوردن بناء على طلب الملك الشريف على بن الحسين ، ووجدت فى هامش الصفحة ما نصه « سمع البعض من الأهالى عن وساطة القنصل الانجليزى فى الأمر فأبوْا ذلك وذهبوالدار الملك على واحتجوا وطلبوا أن يسلمهم البلاد وهم يسلمونها لابن السعود ولا دخل ولا وساطة لأجنبى فى بلادنا فوعدهم وأخلف - انتهى مانقلناه - من كتاب ماضى الحجاز وحاضره وقد استنتجت من ذلك أن أهالى جدة حينما علموا بأمر الاتفاق على التسليم لم يعجبهم ان يتم التسليم بوساطة القنصل الانجليزى فاختاروا ارسال الشيخ محمد صالح ابوزناده لمقابلة الملك عبدالعزيز فى مكة ويعود هذا الاختيار أولا الى ما يتمتع به الرجل من إتزان وتعقل وثانيا الى انه كان وكيل محل الشيخ ابراهيم الفضل التجارى فى جدة وصلته بآل الفضل قديمة كما ورد فى مقدمة ترجمته وقد التحق آل الفضل بالملك عبدالعزيز فى مكة من حين فتح الملك عبدالعزيز لها

وباعتبارهم من كبار النجديين المقيمين فى الحجاز والمطلعين على الأمور فيها فقد كانت صلتهم بالملك عبدالعزيز قوية فى ذلك الزمان هذه هى الأسباب التى رجحت إختيار الشيخ محمد صالح أبوزنادة لهذه المهمة ونعود الآن إلى حديث المرافق لهذه الرحلة قال : غادرنا جدة فى لباس الإحرام الشيخ محمد صالح ابوزناده وأنا ويرافقنا سائس يعتنى بدوابنا وكانت هذه الدواب من الحمير الجيدة التى كانت وسيلة السفر إلى مكة فى ذلك العهد قال : حينما وصلنا إلى بوابة الاسلاك الشائكة فتحت لنا الأبواب مما يدل على أن الأمر قد اعطى لحراس البوابة بذلك قال : وانطلقت بنا الدَّوابُّ إلى الرغامة ولم نشعر الا ببعض البدو من الجنود النجديين وقد هَبُّوا شاهرين أسلحتهم فقال لهم الشيخ محمد صالح اننا إخوة لكم ونرغب فى مقابلة امير المعسكر لأننا نحمل رسالة للسلطان فاقتادونا الى امير المعسكر على بعد بضع كيلو مترات وتحدّث معه الشيخ محمد صالح عن مهمته فأرسل امير المعسكر مندوبا إلى جهة بعيدة وبعد ساعتين أو أكثر عاد المندوب واصطحبنا إلى بحرة ثم تركونا نتوجه الى مكة المكرمة ، ووصلنا اليها ضحى اليوم التالى ، وذهبنا إلى بيت الفضل وبعد أن استرحنا وأدَّينا مناسك العمرة ذهب الشيخ محمد صالح أبوزناده لمقابلة السلطان عبدالعزيز فى قصر السقاف بالمعابدة قال المرافق وقضينا فى مكة يومين أو ثلاثة وبعدها حضر سائق سيارة الملك عبدالعزيز صدِّيق الهندى وطلب من الشيخ محمد صالح ان يذهب معه إلى الرغامة لمقابلة الملك عبدالعزيز قال وذهب الشيخ محمد صالح بسيارة الملك وذهبت أنا والسائس والدواب إلى الرغامة للقاء الشيخ محمد صالح هناك قال المرافق :

وفى اليوم التالى حضر أهالى جدة للسلام على السلطان عبدالعزيز وكان الشيخ محمد صالح أبوزناده يقدمهم لجلالته ويذكر أسماءهم وسأل السلطان

عبدالعزيز عن محمد الطويل لماذا لم يحضر مع الحاضرين وكان المرحوم الشيخ محمد الطويل من أركان الحكومة الهاشمية وممن وقفوا إلى جانب الشريف على وضحُّوا بأموالهم حتى أنه باع المنزل الذى كان يسكنه ودفع مرتبات الجنود الذين اعتصموا بمسجد عكاش وكان السلطان عبدالعزيز معجبا باخلاص الرجل ويرغب ان يراه قال : فقيل للملك عبدالعزيز ان الطويل يرغب الحضور للسلام على جلالتكم ولكنه يطلب الامان على نفسه أولاً وهنا قال الملك عبدالعزيز والله لو حضر الشريف على نفسه لأنزلته بين عينى وبعدها قدم الطويل للسلام على السلطان فأحسن وفادته واستقباله .

هذا ما أستطعت استنتاجه عن هذه الوفادة فقد رأى أهلُ الحلِّ والعَقْد بمدينة جدة ان يبعثوا واحدا منهم للسلطان عبدالعزيز لينقل إليه آراءهم بعد أن تم تسليم المدينة دون اشراكهم خاصة وأن الاتفاق تم بواسطة القنصل الانجليزى وهو أجنبى عن الجانبين وأنى لأرجو ان يكون من بين الرجال الذين عاصروا هذه الاحداث ولا يزالون على قيد الحياة من يستطيع القاء الضوء على هذه الأمور التى أصبحت فى ذمة التاريخ .

رئاسة المجلس البلدي والمجلس الإداري

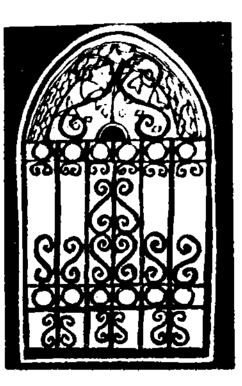
هذا وقد كانت للشيخ محمد صالح أبوزنادة مشاركة فى الحياة العامة فقد كان عضوا بالمجلس الادارى لمدينة جدة كما تولى رئاسة المجلس البلدى فترة طويلة وفى وقت من الأوقات تولى رئاسة بلدية جدة وكالة عن الشيخ محمد الهزازى ثم أصالة إلى حين تعيين رئيس جديد .

وفـــاتـــه

أدى الشيخ محمد صالح أبوزناده صلاة الفجر فى المسجد الذى وفقه الله تعالى لانشائه بجوار منزله بالشرفية كعادته فى المحافظة على أداء الصلوات كلها جماعة وبعد أن عاد إلى داره وأوى إلى فراشه يلتمس بعض الراحة فاجأتهَ المنية صباح يوم ١٣٨٧/٣/١٧ هـ وقد طلب أحبابه الكثيرون نقل الجثمان الى مسجد عكاش حيث كان يؤم الناس فى كثير من الصلوات واشترك فى الصلاة عليه وتشييعه الى مثواه الأخير الجموع الكثيرة من المواطنين رحمه الله تعالى وأحسن جزاءه ..




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد صالح جمجوم

الشيخ محمد صالح جمجوم

طويل القامه مملوؤها بيضاوى الوجه اشقر تخالط بياضة حمرة ، اشهب اللحية خفيفها ، وهبه الله بسطة فى الجسم وسماحة فى الطبع وقوة فى العقيدة والخلق كما وهبه بسطة فى المال ومحبة فى البذل ، كريم فى تواضع ، عظيم فى بساطة احب الناس واحبه الناس ، فكان زعيما ابويا محبوبا من الجميع .

ذلكم هو المرحوم الشيخ محمد صالح عبدالعزيز جمجوم عميد آل جمجوم فى عصره وأحد أعلام مدينة جدة بل أحد أعلام المملكة فى منطقة الحجاز .

ولد الشيخ محمد صالح جمجوم فى اوائل القرن الرابع عشر الهجرى عام ١٣٠٣ هـ وتوفى بمدينة حرج بولاية ميسور بالهند فى ١١ جمادى الأولى من عام ١٣٦٣ هـ بعد ان ذهب اليها مستشفيا من المرض الذى الم به بصحبة ابن اخيه رجل الأعمال المعروف الشيخ محمد نور صلاح جمجوم وقد بلغ من العمر ستين عاما قضى معظمها عاملا فى سبيل الخير والنفع العام فلقد كان من الرجال القلائل الذين عاونوا المرحوم الحاج محمد على زينل رضا فى تأسيس مدارس الفلاح والإشراف عليها طيلة حياته ، فلقد كان هو واخوه المرحوم الشيخ عبدالرؤوف المتوفى عام ١٣٣٨ هـ يتوليان القيام على شؤون هذه المدارس كوكلاء مفوضين من قبل مؤسسها الحاج محمد على زينل والذى كان يقضى ايامه

كلها فى الهند وأوربا ، ولقد عرفت الشيخ محمد صالح جمجوم وكيلا لمدارس الفلاح بعد وفاة اخيه الشيخ عبدالرؤوف وانا تلميذ صغير بها وكان يحضر الى المدرسة فى كثير من الاوقات ويلجأ اليه مديرها واساتذتها بل وطلابها فى كل ما يعرض لهم من امور ، واذا عرفنا المهام التى كان يتولاها الشيخ محمد صالح جمجوم الى جانب وكالته للفلاح ادركنا بعض جوانب العظمة فيه فلقد كان عميد بيت الجمجوم التجارى وهو من ابرز البيوتات التجارية فى جدة انداك ، كان له فرع فى الهند يتولاه اخوه الشيخ محمد عبدالعزيز جمجوم ، وكانت الهند انداك هى مصدر التجارة للجزيرة العربية كلها ، وكان الى جانب هذا وذاك مديرا لأوقاف جدة وهو منصب شرفى اسنده اليه جلالة المرحوم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه ، وكان الى جانب كل هذا من زعماء البلاد المحبوبين فلقد تطوع من تلقاء نفسه بتيسير العمل لكل راغب فيه وذلك بتقديم كفالته الشخصية للدوائر الحكومية للرجال والشبان الذين تتطلب وظائفهم كفالة مالية لدى الدوائر الحكومية كأمناء الخزانة والمستودعات وغيرهم ممن يشترط توفر الكفالة المالية فى قبولهم للوظائف ، بل تعدت هذه الكفالة الوظائف فأصبحت مبذولة لكل من يطلبها دون تمييز وكثيرا ما قام بكفالة المسجونين لإطلاقهم من السجون وكذلك المسافرين سواء عرفهم او لم يعرفهم ، وقد رأيت الرجل كما رآه غيرى من معاصريه يوقع الكفالات وهو يسير فى الشارع دون ان ينظر اليها او يعرف اصحابها وأسبابها فكان كل من يلجأ اليه يجد طلبته دون تردد او امتعاض ، فلقد كان رجلا كبير القلب يسع الناس جميعا بمحبته وعونه ولقد جنت عليه هذه الطيبة فيما بعد اذ أخل بها بعض المكفولين فى مبلغ ضخم فى ذلك الوقت وألزم المرحوم الشيخ محمد صالح جمجوم بدفعه ولم يكن قادرا على ذلك فخير بين الدفع او السجن ولما لم يكن قادرا على الدفع فقد قبل راضيا بالسجن الذى تم فى غرفة خاصة بإدارة شرطة

جدة ولم يلبث هذا السجن ان تحول الى مجمع شعبى كبير فقد تقاطر الناس صباح مساء لزيارة الشيخ محمد صالح فى غرفته تلك معبرين عن تعاطفهم معه وحنقهم على من تسبب له فى هذا الاذى وما هى الا أيام قلائل اذن الله فيها بالفرج اذ امر جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز باعفائه من الغرامة وغادر الشيخ محمد صالح مكانه ذاك عائدا الى منزله بين تكريم كل الناس ومحبتهم وابتهاجهم وهكذا عرف الشيخ محمد صالح مكانه فى القلوب ولم يكن هذا المكان بالمجهول او المنكور ٠

والمتتبع لتاريخ حياة هذا الرجل العظيم يجدها تشير فى جميع اطوارها الى حب الخير للناس ومساعدتهم وبذل العون لهم ، ولقد قلنا فى مقدمة هذا البحث ان الشيخ محمد صالح وأخاه الشيخ عبدالرؤوف كانا من الرجال القلائل الذين عاونوا الحاج محمد على زينل مؤسس الفلاح حين تأسيسه لمدرسة الفلاح بجدة وقد سبق لى ان تحدثت وكتبت عن الحاج محمد على زينل يرحمه الله انه حينما فكر فى تأسيس مدرسة الفلاح بجدة لم يكن قد حصل على ترخيص حكومى بافتتاح المدرسة وكان هذا فى العهد العثمانى فى عام ١٣٢٣ هجرية فلجأ هو واصدقاؤه الى اخذ التلاميذ من بيوت آبائهم فى جنح الظلام ثم اعادتهم الى بيوتهم بعد انتهاء الدرس ، واقول الآن ان من هؤلاء الاصدقاء الذين كانوا يقومون بهذا العمل النبيل الشيخ محمد صالح جمجوم واخوه الشيخ عبدالرؤوف ، واذا علمنا ان الحاج محمد على زينل اسس مدارس الفلاح عام ١٣٢٣ هـ وكان من مواليد ١٣٠١ هـ ادركنا انه كان وصحبه فى اوائل العقد الثالث من اعمارهم اى بين العشرين والثانية والعشرين من العمر وهى سن باكرة جدا لايقوم فيها بمثل هذا العمل العظيم الا اولئك الرجال الذين وهبهم الله الغيرة على دينهم وأمتهم وهيأهم للقيام بالعظائم من الأمور وبعد الحصول على الترخيص الرسمى بافتتاح

المدرسة وتوسع التعليم فيها غادر الحاج محمد على زينل الحجاز الى الهند معتمدا على كل من الشيخ عبدالرؤوف واخيه الشيخ محمد صالح جمجوم فى الاشراف عليها وبعد وفاة الشيخ عبدالرؤوف جمجوم فى عام **١٣٣٨ هـ** انفرد محمد صالح جمجوم بإدارة شؤون المدرسة إلى أن توفاه الله تعالى عام **١٣٦٣ هـ** ولقد كان طوال هاتيك السنين يهب هذا العمل الكثير من وقته وجهده رغم مشاغله العظيمة فى ذلك الزمان ٠

أُسَرة آل الجَمْجُوم

والحديث عن الشيخ محمد صالح جمجوم يقتضى الحديث عن اسرة آل الجمجوم التى كان الشيخ محمد صالح عميدها وهى من اكرم العائلات فى مدينة جدة ومن اكبرها عددا ان لم تكن اكبرها عددا على الاطلاق وحينما كانت الاسرة مجتمعة فى مكان واحد فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى وفى عهد عميدها الشيخ محمد صالح كان تعدادها يزيد على المائة شخص وكانت اسرة كريمة مضيافة تسير فى حياتها اليومية على النمط الذى كان متبعا فى ذلك الحين فكان رجال الاسرة وشبابها يجتمعون على مائدة واحدة لتناول طعام الغداء ، كما كان نساء الأسرة وضيوفهن يجتمعن على مائدة واحدة لهذا الغرض ، وكان معروفا ان جوالا ضخما من الدقيق يرسل يوميا الى الفران ليصنع منه الخبز الذى يكفى هذا العدد الضخم كما ان خروفا كبيرا واكثر مع كميات ضخمة من الخضار تشترى يوميا من الحلقة لصنع طعام غداء الاسرة اما العشاء والافطار فكان اعضاء الاسرة يتناولونه فى الاماكن المخصصة لهم من هذا البيت الكبير ٠

وكان إخواننا الشناقطة ـ الذين أصبحوا الآن موريتانيين ـ ضيوفا دائمين على آل الجمجوم حينما يفدون من الخارج لأداء فريضة الحج أو العودة منها أو حينما

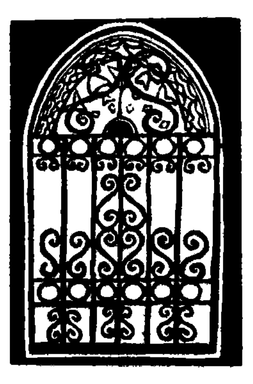
يمرون بمدينة جدة في طريقهم إلى مكة أو المدينة وما اكثر الشناقطة المهاجرين بها ، وما اكثر مايفدون لأداء العمرة في رمضان أو لأداء فريضة الحج وكانوا يفدون بنسائهم واطفالهم ، اما النساء فتستقبلهن نساء الاسرة واما الرجال فقد خصص لهم المكان بل الامكنة التى ينزلون بها وكانت هذه الضيافة لاتقتصر على المأوى وانما تشمل الطعام والشراب والكساء بل وقضاء الحوائج على اختلاف هذه الحوائج واكثرها يقتضي بذل المال وبعضها يقتضى السعى فى دوائر الحكومة لإنجاز الامور التى تقتضى الإنجاز وكان الشيخ محمد صالح جمجوم بقلبه الكبير يرعى هؤلاء الوافدين ويتفقد امورهم ويحقق مطالبهم حتى قيل مرة ان احدهم تمنى عليه الزواج فحقق له ما طلب وهناك ناحية اخرى شاهدتها فلقد كان الميت يموت ويعجز اهله عن تجهيزه فاذا طلب من الناس العون اشاروا له الى بيت الجمجوم ولقد سمعت احدهم ، وهو يقول ماذا تطلب منى ؟ هل هنا بيت الجمجوم ؟ كأنما كان بيت الجمجوم بيتا للمال فى ذلك الزمان ، اخيرا وليس آخرا فان الشيخ محمد صالح جمجوم كان كما ذكرنا عميد بيت تجارى كبير وكان لهذا البيت التجارى معاملات كثيرة مع الناس واخذ وعطاء وعملاء لهم حسابات مفتوحة وعليهم ديون كثيرة وكان مما عرف عن الشيخ محمد صالح جمجوم انه كان ييسر على الناس فلا يثقل عليهم بالوفاء ولا يلح ، وقد استغل بعض ذوى النفوس الضعيفة هذا الخلق العالى فاستمرأوا المماطلة واستباحوا عدم الوفاء فبقيت بذمتهم المبالغ الطائلة التى تبلغ الالوف المؤلفة من الجنيهات الذهبية وما لبثوا ان جاهروا بالامتناع عن الدفع مستأثرين بما وصل اليهم من هذا المال ليستخدموه فى اعمال تجارية خاصة بهم آمنين ان احدا لايقاضيهم او يزعجهم وهكذا كان ، فلقد كان الشيخ محمد صالح يرفض كل الرفض فكرة المقاضاة او الشكوى سواء للعملاء المماطلين او للمستأجرين الذين يستبيحون السكنى فى

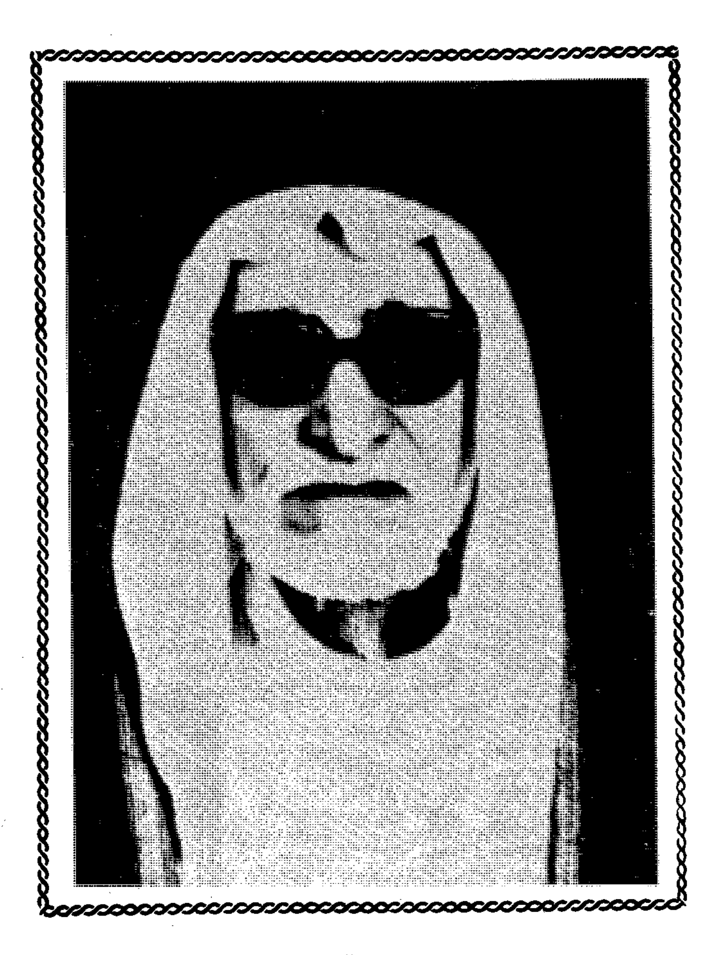
عقار آل الجمجوم السنوات الطوال دون ان يدفعوا بدل الإجارة مستغلين طيبة الرجل وحياءه وحسن ظنه بالناس جميعا فلقد كانت هذه الطيبة التى ظنها البعض غفلة هى من اسباب اجتراء المجترئين واستهتارهم وليست هى من الغفلة فى شيء وانما هى النفس الكبيرة تحاول اصلاح النفوس وتقويمها بالصبر والتسامح والإيثار ٠

رحم الله الشيخ محمد صالح جمجوم فلقد كان نمطا فريدا فى العمل للناس بجهده وماله وجاهه طيلة حياته ثم مضى الى لقاء ربه قبل خمسة واربعين عاما ولكن ذكراه لاتزال تعمر قلوب عارفيه ، فلقد كان مثلا كريما وقدوة حسنة تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه فى دار الخلود ٠




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد صالح نصيف

محمد صالح نصيف

طويل فارع ممتلىء الجسم فى غير اسراف ، حنطى اللون ، حسن الملامح تزين وجهه لحية كاملة ، وقد ادركته فى العهد الهاشمى فى عهد الشريف الملك على بن الحسين وهو رئيس بلدية جدة وكان يومها يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، ثم تحول عنها فى العهد السعودى الى العباءة والعقال ، ولد الشيخ محمد صالح نصيف بمدينة جدة فى عام ١٣١٠ هجرية وهو من اسرة نصيف الغنية عن التعريف ، وفى اوائل العهد السعودى عين عضوا بمجلس الشورى عن مدينة جدة وانتقل بأسرته الى مكة المكرمة ، ان ما لفت نظرى فى تاريخ الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله انه كان رائدا من رواد الصحافة فى الحجاز وان لم يكن هو من رجال القلم ولا من اعلام الادب والكتابة ، إلاً انه كان من السابقين الى اصدار الصحف فى الحجاز وقد اصدر جريدة بريد الحجاز فى عهد الملك الشريف على بن الحسين من عام ١٣٤٣ هـ الى عام ١٣٤٤ هجرية ثم حصل على امتياز اصدار جريدة صوت الحجاز فى صفر ١٣٥٠ هـ فى اوائل العهد السعودى وكان قد استورد مطبعة من مصر ، كما شارك الاستاذ عبدالفتاح قتلان فى تأسيس المكتبة والمطبعة السلفية بمكة المكرمة وكان الغرض منها طبع الكتب التى تعبر عن المذهب السلفى ونشرها فى هذه المطبعة وقد تم طبع جريدة صوت

الحجاز بها منذ بدء صدورها ، وقد اتفق الشيخ محمد سرور الصبان معه فيما بعد على نقل امتياز جريدة صوت الحجاز الى الشركة العربية للطبع والنشر والتى كان الشيخ محمد سرور رحمه الله مؤسسها ورئيسها وتم كذلك شراء المطبعة التى استوردتها المكتبة السلفية من قبل شركة الطبع والنشر وذلك لطبع جريدة صوت الحجاز بها ولقد ادركت هذه المطبعة فى منزل الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله فى بئر بليلة بأجياد فى مكة المكرمة قبل انتقال ملكيتها الى شركة الطبع والنشر وطبع جريدة صوت الحجاز عليها لسنوات كثيرة وهذه المطبعة اصلاً هى مطبعة المنار وقد باعها المرحوم السيد رشيد رضا الى اصحاب المطبعة والمكتبة السلفية وهما الشيخ محمد صالح نصيف وعبدالفتاح قتلان وانتقلت من دار المنار بالقاهرة الى مكة المكرمة لتطبع عليها جريدة صوت الحجاز لسنوات طويلة جدا كما ذكرنا وهى مطبعة قديمة تدار باليد وهى لاتزال موجودة حتى اليوم وان كنت اشك انها تستعمل مع وجود المطابع الحديثة المتطورة .

اقول ان ما لفت نظرى فى سيرة الشيخ محمد صالح نصيف رحمه الله هو هذا السبق فى تأسيس المطابع واصدار الصحف وهو ليس من رجال القلم ولا من اعلام الكُتَّاب ، ولكنه بعمله هذا هيأ الفرصة الكبيرة للكتاب والادباء فقام بعمل جليل فى نشر المعرفة وتنوير الأذهان ، وهو امر يستحق الإشادة به والترجمة له ، لأنه عمل نافع وعظيم ، ولعله من الخير ان نذكر بعض ما علق بالذاكرة من امر هاتين الصحيفتين اللتين اصدرهما الشيخ محمد صالح نصيف للذكرى والتاريخ .

بريد الحجاز

اما الصحيفة الاولى فهى جريدة بريد الحجاز التى صدرت عام ١٣٤٢ هـ واستمرت الى اوائل عام ١٣٤٤ هـ فى عهد الملك الشريف على ابن

الحسين رحمه الله ، وكانت هذه الجريدة تعبر عن وجهة نظر العهد الهاشمى فى ذلك الحين بطبيعة الحال وتطبع بمطبعة رمزى بجدة وكان ابرز كتابها هو الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد شيخ أدباء جدة ولعل الكثيرين لايعرفون ان أدباء جدة الكبار المعروفين حمزة شحاتة واحمد قنديل رحمهما الله ومحمود عارف ومحمد على باحيدرة وعباس حلوانى هم تلامذة الأستاذ محمد حسن عواد ، كما ان كاتب هذه

السطور هو من تلاميذه كذلك وله تلاميذ كثيرون هم من اعلام الرجال فى مختلف المجالات ، نعم لقد أدركت الأستاذ محمد حسن عواد (رحمه الله) استاذا من ابرز اساتذة الفلاح فى مدينة جدة وكان كلُّ الاساتذة الشعراء الذين ذكرت أسماءهم آنفا وغيرهم من تلاميذه فى مدرسة الفلاح واذكر اننى كنت فى الصفوف الأولى من هذه المدرسة الجليلة وكان الأساتذه شحاتة وعارف وقنديل وعباس حلوانى وباحيدرة فى الصفوف العليا منها .

نقول إن الأستاذ محمد حسن عواد كان ابرز كاتب فى جريدة بريد الحجاز فى هذا العهد لأنه كان بالفعل ابرز الادباء فى ذلك العهد[1] ، وقد وجدت عن بريد الحجاز للاستاذ محمد حسن عواد فى كتاب ابتسامات الايام فى انتصارات الإمام ما يستحق الاقتباس وهذا الكتاب هو ديوان يضم قصائد شاعر نجد الكبير الشيخ محمد عبدالله بن بليهد من عام **١٣٣٧ هـ** الى **١٣٧٠ هـ** ومعظم قصائد

---

(١) كما كان الاستاذ احمد ابراهيم الفزاوى يراسل بريد الحجاز من مهجره فى بورسودان ويرسل اليها القصائد التى تنشرها له فيها .

هذا الديوان فى الوقائع التاريخية التى خاضها جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وانجاله الكرام جلالة الملك سعود وجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمهم الله ، والكتاب مهدى الى صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل (وكيل نائب جلالة ملك المملكة العربية السعودية) هذه كانت وظيفة سموه الرسمية حين طبع هذا الكتاب اقول جاء فى هذا الكتاب فى الصفحة ٨٦ عن بريد الحجاز ما نصه:

وقلت وأنا فى مكة مع الامام عبدالعزيز وقد وردت قصيدة لرجل من اهل جدة يقال له حسن عواد وجعل توقيعه تحت قصيدته الأخطل الأصغر فرددت على ذلك الشاعر وقلت القول اللطيف فى الرد على شويعر الشريف ، الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبى بعده أما بعد فقد ورد فى بريد الحجاز الخارج من جدة من بلد الشريف على بن الحسين قصيدة لمن سمىً نفسه الأخطل الأصغر فقلت وهذا خليفة الأخطل النصرانى فقال فى قصيدته فى رجب ١٣٤٣ هـ وهذا مطلع قصيدته على الخفيف ·

حدثيهم عن بأسنا يا حراب ☆ واذقهم نكالنا يا عذاب
وأمطريهم قذائفا يا مناطيد ☆ كأنَّ الدخان منها سحاب

إلى ان قال :

ايها المصلحون فى الشرق مهلا ☆ أين اصلاحكم وأين الصواب ؟

الى آخرها وهى ثمانية وعشرون بيتا فقلت مجيبا له :

ما أصبتم وما لديكم صواب ☆ بعد ما نُصَّ فى البريد كتاب
وانتبهنا لقولكم حين قلتم ☆ حدثيهم عن بأسنا يا حراب
ان هرمتم على الحروب فإنا ☆ كلما طالت الحروب شباب

والقصيدة فى خمسة وخمسين بيتا ومنها فى وصف الأسلاك الشائكة التى كانت تحيط بمدينة جده خلال فترة الحصار ·

إن ظننتم بأن سلككم اليوم ☆ عن رحى الحرب والمنون حجاب
فارقبوها من الكثيب سراعا ☆ طالعات كأنهن الهضاب

ومنها فى وصف ما كان يعانية الحجاج من فقدان الأمن :

كم اخذتم من الحجيج فلوسا ☆ طالما أزعج الحجيج النهاب
عبثت فيهم اللصوص وأمست ☆ عندكم ما على اللصوص عقاب

انتهى نص ما نقلناه عن كتاب ابتسامات الأيام · والغرض من هذا النقل هو الأشارة الى الناحية التاريخية فى الموضوع لأن هذا العهد قد انقضى والحمد لله بكل ما كان فيه واستعاضت البلاد عنه امناً شاملا ووحدة كاملة ورخاء عظيما ، وهكذا نرى ان الشعر السياسى كان وسيلة من وسائل الإعلام فى ذلك العهد وكان يمثله شاعران من اكبر شعراء المملكة احدهما الاستاذ الشيخ محمد حسن عواد من اكبر شعراء الحجاز مد الله فى حياته والثانى الشيخ محمد ابن عبدالله بن بليهد من شعراء نجد ومؤرخيها ومن اعلم الناس بالمواقع والآثار فى الجزيرة العربية رحمه الله ·

ومن البديهى أن نقول إن صحيفة بريد الحجاز انما كانت صحيفه سياسية صدرت فى عهد معين للتعبير عن وجهة نظر معينة ثم انتهت بانتهاء الظرف الذى وجدت من اجله ولكن الشيخ محمد صالح نصيف لم يكتف ببريد الحجاز وانما اصدر فيما بعد صحيفة صوت الحجاز كما ذكرنا ·

صوت الحجاز

حينما يكتب تاريخ الأدب والصحافه فى هذه البلاد يستطيع المؤرخ ان يربط ولادة الأدب الحديث بظهور المطبوعات التى اصدرها المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان فى أوائل العهد السعودى فى الأربعينات وهى ادب الحجاز والمعرض وخواطر مصرحة للأستاذ محمد حسن عواد ثم بجريدة صوت الحجاز التى اصدرها الشيخ محمد صالح نصيف عام ١٣٥٠ هـ واذا كانت المطبوعات التى اصدرها الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله والمذكورة آنفا هى ايذان بولادة الأدب الحديث فى هذه البلاد فان ظهور صوت الحجاز واستمرارها لسنوات طويلة وحتى الآن مع تغيير اسمها الذى سنتعرض له فيما بعد ، نقول ان ظهور صوت الحجاز هو التعبير المستمر عن نشوء هذا الأدب الوليد ونمائه وانتشاره فلقد كانت صحيفة صوت الحجاز اول صحيفة تصدر فى هذه البلاد محررة بأقلام أبنائها ، ومما يلفت النظر ان صحيفة صوت الحجاز انما صدرت بتوجيه من جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله وقد بعث الىَّ الاستاذ محمد خليل عنانى مدير فرع رابطة العالم الاسلامى بجدة نص الكتاب المرفوع الى جلالته فى هذا الصدد والذى استخلصت منه هذا التوجيه وهذا نصه :

(صاحب الجلالة الملك المعظم ايده الله)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فى تاريخه ادناه اجتمع الموقعون على هذا تحت اشراف الشيخ عبدالعزيز الرشيد للنظر فى اصدار جريدة يومية حسب الإرادة الملكية التى بلغت الينا بواسطة الأستاذ المذكور وقد قررنا انتخاب الأستاذ فؤاد شاكر ليكون مديراً مسؤولا لهذه الجريدة ورئيسا لتحريرها ولأجل

اصدار إرادتكم السامية الملكية بهذا الشأن ، نرفع هذا الى السدة الملكية أدام الله جلالتكم ذخرا للعرب والمسلمين . وفيما يلي اسماء الموقعين على هذا الكتاب .

عبدالوهاب آشي ☆ احمد ابراهيم الغزاوي ☆ بكر فالح ☆ عبدالله عبدالكريم الخطيب ☆ محمد عناني ☆ محمد سرور الصبان ☆ عبدالله فدا ☆ حسين نصيف

وواضح من نص هذا الكتاب ان اصدار الجريدة انما كان بتوجيه من جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، كما أن مما يلفت النظر ان امتياز هذه الجريدة انما صدر باسم الشيخ محمد صالح نصيف ولم يكن من الموقعين على هذا الخطاب ، ولعل وجود المطبعة السلفية بمكه تحت ادارة الشيخ محمد صالح نصيف وعمله السابق فى اصدار بريد الحجاز هو الذى هيأ له الفرصة لإصدار امتياز جريدة صوت الحجاز باسمه ، كما ان الاقتراح بتعيين الأستاذ فؤاد شاكر رحمه الله مديرا مسؤولا للجريدة ورئيس تحرير لها لم يتم ، فحينما صدرت الأعداد الأولى منها عام ١٣٥٠ هـ لم يكن لها رئيس تحرير معين وإنما كان يحررها نخبة من الشبان وهؤلاء الشبان هم الاساتذه عبدالوهاب آشي ومحمد حسن فقي ومحمد حسن عواد وكانت تصدر اسبوعية وكان كل واحد منهم يكتب افتتاحيتها أسبوعيا ثم يكتب الافتتاحية فى الأسبوع الثانى كاتب آخر من الثلاثة وهكذا ، وكانت الصحيفة الى جانب هذه الافتتاحيات حافلة بالشعر والادب والنقد والدعوة الى الاصلاح والتجديد ولم يكن هناك أثر للصورة ، كما انها لم تكن تنشر الأخبار الداخلية الا فى حدود ضيقة جدا نعم لقد كانت صحيفة رأى قبل كل شيء وكان الناس جميعا يقرأونها ولم يكن يتقاضى كتابها أجرا على كتابتهم باستثناء رئيس التحرير المنوط به امر الجريدة ككل .

ولقد عرف الناس الأستاذ عبدالوهاب آشي ككاتب كبير كما عرفوا الأستاذ محمد حسن فقي كشاعر كبير ولكنى اود ان اذكر هنا ان الاستاذ محمد حسن فقي فى السنوات الاولى لصدور صوت الحجاز كان كاتب مقالة ممتازا إلى جانب ما عرف عنه من مكانة شعرية ، ولكنه فى ذلك الزمان كان يعنى بالكتابة اكثر من عنايته بالشعر وكانت مقالاته تتميز بأسلوب جزل رصين وقد تفرغ للشعر فيما بعد فكان فيه المجلىً كما هو معلوم ، ومن الجدير بالذكر ان نذكر ان الأستاذ عبدالوهاب آشي كان شاعرا مرموقا كما كان الأستاذ محمد سعيد العامودى شاعرا بارزا وهؤلاء جميعا كانوا من أبرز كتاب صوت الحجاز فى بداية عهدها وقد تولى رئاسة تحرير صوت الحجاز الأستاذ محمد حسن كتبى والأساتذة احمد قنديل رحمه الله واحمد السباعى ثم المرحوم فؤاد شاكر ثم كاتب هذه السطور وكان من الكتاب الذين عملوا فى تحرير الجريدة الأساتذة حسين عرب وأحمد جمال والمرحوم حسين خزندار ولست فى حاجة لأن أقول أن جميع الكتاب والشعراء المعروفين كانوا ممن يوافون الصحيفة بانتاجهم الشعرى والنثرى ، كما كانت الصحيفة ميدانا للنقد تصول فيه الأقلام وتجول ٠

ولعله من الطريف أن نذكر أن المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف عهد فى وقت من الأوقات إلى الأستاذ محمد حسن كتبى ـ وزير الحج السابق ـ برئاسة تحرير صوت الحجاز ويبدو ان خلافا وقع بين الرجلين فصدرت الصحيفة فى احد الاعداد وكل ما فيها بتوقيع الأستاذ محمد حسن كتبى ابتداء من الأفتتاحية إلى آخر عمود فى الصحيفة ولقد ظهر فيما بعد ان المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف تعمد ذكر اسم السيد محمد حسن كتبى على كل ما نشر بهذا العدد لأنه أراد إحراجه واظهاره بمظهر المستأثر بالكتابة فى الصحيفة وحده ولو كان هذا الامر صحيحا لما تعمد الاستاذ الكتبى اغفال توقيعه عن كل ما يكتبه فى الصحيفة

باستثناء الافتتاحية مثلا ولكن هذا ما وقع وظهر العدد الثانى وقد انتهت علاقة الاستاذ الكتبى بالصحيفة وصاحبها معا .

وقد توقفت صحيفة صوت الحجاز عن الصدور فى أوائل الحرب العالمية الثانية ثم عادت إلى الظهور عام ١٣٦٥ هجرية بعد أنتهاء الحرب باسم البلاد السعودية وتولى رئاسة تحريرها المرحوم عبدالله عريف ، وعلى ذكر توقف جريدة صوت الحجاز فى اوائل الحرب العالمية الثانية انقل هنا من كتابى « حبات من عنقود » هذه الطرفة عن هذا الموضوع .

كنت رئيسا لتحرير جريدة صوت الحجاز خلال الحرب العالمية الثانية ولم يمض على الحرب إلا بضعة شهور حتى اصدر جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله امراً بإيقاف الصحف عن الصدور لعدم وجود الورق والاكتفاء بجريدة ام القرى الرسمية ، وكان لدينا فى صوت الحجاز كمية من الورق تكفى لصدور الجريدة وقتا طويلا ، وكنا نتقاضى اشتراكا شهريا من الحكومة مقداره اربعمائة ريال عن اشتراك الحكومة والدوائر الرسمية فى الجريدة وبايقاف الصحف توقف هذا الاشتراك وكانت الأربعمائة ريال مبلغا كبيرا فى ذلك الوقت ، وبالاتفاق مع سعادة رئيس الشركة العربية للطبع والنشر كتبت الى جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله كتابا قلت فيه :

لقد اصدرتم جلالتكم الأمر بتوقيف الصحف لعدم وجود الورق وبما اننا فى جريدة صوت الحجاز نملك كمية من الورق تكفى لصدور الجريدة وقتا طويلا فإننا نتعهد لجلالتكم بأننا لن نطالب الحكومة باعطائنا ورقا لاصدار الجريدة ، وان كان هذا الامر لحكمة سياسية اقتضاها رأى جلالتكم فالرأى ما ترونه ، لكن جريدتنا تتقاضى أشتراكا شهريا مقداره اربعمائة ريال من وزارة المالية وقد توقف صرف هذا الاشتراك نتيجة لتوقف الجريدة عن الصدور وفى الجريدة ومطبعتها

موظفون تتأثر احوالهم بتوقف الجريدة فلا اقل من الاستمرار فى صرف هذا الاشتراك الشهرى لنا »

ولم اتلق اى جواب على خطابى ولكن الامر صدر برقيا الى وزارة المالية من جلالته بالاستمرار فى صرف مخصص الجريدة الشهرى وعدم توقيفه وكانت جريدة صوت الحجاز فيما اعلم هى الجريدة الوحيدة التى كانت تنبض قيمة الاشتراك طوال مدة توقفها عن الصدور ·

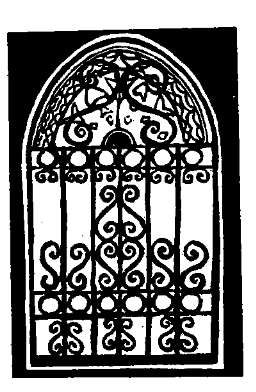
وحين صدور الأمر بإدماج الصحف اندمجت جريدة البلاد السعودية مع مجلة عرفات التى كان يصدرها الأستاذ حسن قزاز فى صحيفة واحدة باسم البلاد واسندت رئاسة تحريرها إلى الأستاذ محمد حسين زيدان ثم إلى الأستاذ حسن قزاز وحين تحولت الصحافة إلى مؤسسات أسندت رئاسة تحريرها إلى الأستاذ عبدالمجيد شبكشى بتاريخ أول ذى القعدة ١٣٨٣ هـ ·

نعود بعد هذا الاستطراد التاريخى عن الصحافة إلى المرحوم الشيخ محمد صالح نصيف لنذكر انه اختير لرئاسة ماليات وجمارك جيزان فى عهد وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان وأنتقل الى هناك لعدة سنوات ثم عاد الى الحجاز وقد توفى رحمه الله بعد ان أسن عام ١٣٩١ هـ فى مدينة جدة عن عمر يناهز الواحد وثمانين عاما ·

تغمده الله برحمته الواسعة وأحسن جزاءه لقاء ماهدف اليه من خدمة الفكر والقلم ·




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





السيد محمد طاهر الدباغ

السيد محمد طاهر الدباغ

أبيض الوجه تخالط بياضه حمرة ، أقنى الأنف ، ممتلىء الجسم أقرب إلى الطول منه إلى القصر ، تزين وجهه لحية اختلط سوادها بالبياض ، ثاقب النظرة شديد الذكاء تلوح فى وجهه مخايل الشهامة عرفته وهو يرتدى العباءة العربية والعقال بعد عودته إلى المملكة من مهجره فى الخمسينات من هذا القرن .

ولد السيد محمد طاهر الدباغ بالطائف عام ١٣٠٨ هجرية وتلقى علومه الابتدائية بمكة ثم بالاسكندرية ثم عاد إلى مكة وتلقى العلم على أيدى علماء عصره بالمسجد الحرام حتى حصل على اجازة التدريس واشتغل به فى المسجد الحرام مدة من الزمن ثم التحق مدرساً بمدرسة الفلاح حتى أصبح مديرا لها وفى عام ١٣٣٦ هـ انتقل إلى مالية جدة وأصبح رئيسا لها ومعتمدا للمعارف بمدينة جدة وتوابعها فى عهد الملك الشريف حسين بن على يرحمه الله وفى عهد الملك على بن الحسين عام ١٣٤٣ هـ الى ١٣٤٤ هـ تولى وزارة المالية ، وللسيد محمد طاهر الدباغ موقف تاريخى مشهود فقد كان هو الذى أبلغ الشريف الحسين بن على بلسان المجتمعين فى الخزنة بجدة ، وهى مكتب القائممقام « وكانت أمام باب جديد قريباً من ميدان البيعة فى الوقت الحاضر نقول ان السيد محمد طاهر

الدباغ كان هو الذى تحدَّث إلى الشريف الحسين بن على فى مكة تليفونيا وأبلغه بأن المجتمعين وهم أهْلُ الحل والعقد قد قرروا عزله عن العرش وتولية ابنه وولى عهده الشريف على بن الحسين ملكا على الحجاز ، وقد وردت هذه القصة بتفاصيلها فى كتاب المرحوم الأستاذ خير الدين الزركلى « ما رأيت وماسمعت » ولقد كان الشريف الحسين كما يعرف معاصروه معروفا بالصرامة والجبروت وكان ينزل بطشه وعقابه لأتفه الأسباب فالاقدام على إبلاغه بقرار أهل الحل والعقد إقالته من الملك وتنصيب ابنه بدلا عنه ليس بالأمر السهل وإنما هو من عظائم الأمور التى تدل على تمتع صاحبها بالشجاعة المفرطة ، التى تؤهله للاضطلاع بعظائم الأمور ٠

هجرته إلى الخارج

من هذه الحادثة يتبين لنا أن السيد محمد طاهر الدباغ كان من الرجال البارزين فى العهد الهاشمى ولقد هاجر بأسرته جميعا من الحجاز بعد ان دان الحجاز بالولاء لجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله وعلمت من السيد طاهر انه توجه أولا إلى الهند ثم تنقل بعدها فى مختلف البلاد العربية والاسلامية مشتغلا بالتدريس إلى أن أصدر جلالة الملك عبدالعزيز نداءه المشهور إلى رجال العهد الهاشمى المهاجرين فى الخارج يدعوهم إلى العودة إلى بلادهم ليعملوا تحت لوائه فى سبيل خدمتها والنهوض بها إلى ما يطمح إليه الجميع من رقى وتقدم ٠

عودته إلى المملكة

وكان السيد محمد طاهر الدباغ من أوائل من استجاب لهذه الدعوة الكريمة من المهاجرين كما عاد فى نفس الوقت كل من المرحوم الشيخ عبدالرؤوف

الصبان ، والشيخ محمد صادق ، وكانوا جميعا ينشرون مقالات فى جريدة صوت الحجاز توضح استجابتهم للنداء واستعدادهم للخدمة فى المجال الذى يختاره لهم جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ، وقد رأيت السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله يوم عاد فى لباس الإحرام عشية يوم عرفه فى مخيم الشيخ محمد سرور الصبان فى عرفات فى حج عام ١٣٥٤ هـ .

مديرية التعليم العامة

وقد أسند جلالة الملك عبدالعزيز إلى السيد محمد طاهر الدباغ إدارة التعليم فى المملكة وكانت إدارة بسيطة فجعلت مديرية عامة ، ولقد كان جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله ذا فراسة فى الرجال يعرف أقدارهم ويستفيد من قدراتهم وكان بهذا الاختيار قد أعطى القوس باريها فانطلق السيد محمد طاهر رحمه الله بالمعارف الانطلاقة الكبرى التى كانت النواة الطيبة للنهضة التعليمية فى المملكة .

مدرسة تحضير البعثات

وكان أول ما فكر فيه المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ هو تنظيم الابتعاث إلى الخارج للدراسات العليا المتنوعة فأسس مدرسة تحضير البعثات فى مكة المكرمة واستقدم لها الأساتذة وذلك لتهيئة الطلاب للدخول إلى الجامعات والمعاهد العليا فى مصر بعد التخرج منها حيث وضعت برامجها بحيث تكون متفقة مع مناهج المدارس الثانوية فى مصر وكان الطلاب الذين يكملون الدراسة فى مدارس المملكة اذ ذاك يلتحقون بها فى مكة المكرمة وكانت مدرسة داخلية بالنسبة للطلاب القادمين من أنحاء المملكة الأخرى سواء من مدن الحجاز أو من مدن

نجد أو المناطق الأخرى فى المملكة ونستطيع أن نقول للتاريخ ان مدرسة تحضير البعثات كانت هى المهد الذى احتضن كل المبتعثين إلى الخارج فى ذلك الوقت والذين تخصصوا فى الدراسات العليا المختلفة كالطب والهندسة والتعليم وخلافهم ومن تلامذتها تخرج الوزراء والأطباء والمهندسون والعلماء نذكر منهم على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر السادة أحمد جمجوم ، الدكتور حسن نصيف ، المرحوم السيد احمد شطا ، الدكتور عبداللطيف جمجوم ، الدكتور الهرسانى ، السيد عبدالله الدباغ ، العلامة الشيخ حمد الجاسر وكثيرون غيرهم ممن لايتسنى ذكرهم فى هذه العجالة .

هذا وكان الطلبة المبتعثون من قبل يتعثرون فى دراساتهم حينما يصلون إلى مصر فيتضح انهم أقوياء فى بعض المواد بينما أنهم لم يكونوا قد تزَّودوا بالمقدار الكافى من المواد الأخرى العلمية كالرياضيات واللغة الانجليزية وغيرها ، فكان وجود مدرسة تحضير البعثات سببا فى سدْ هذه الثغرة ومنطلقا للنهضة التعليمية التى هيأت للبلاد النواة الأولى من المتخصصين فى مختلف فروع العلوم والفنون .

دار البعثات فى مصر

وكما عنى المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ بتأسيس مدرسة تحضير البعثات فى مكة المكرمة عنى بتهيئة دار البعثات العلمية بالسعودية بالقاهرة وأسندت إدارتها الى مديرين مشهود لهم بالكفاءة والاخلاص وأذكر منهم على سبيل المثال المربى القدير السيد ولى الدين أسعد رحمه الله ، وكانت هذه الدار تضم الطلبة المبتعثين حيث يتهيأ لهم فيها المسكن والطعام ويشرف السيد ولى الدين رحمه الله ومعاونوه على إلحاقهم بالمعاهد المختلفة ويهتم بشؤونهم الدراسية والمعاشية فى آن

واحد مما هيأ للطلبة الجو المناسب للدراسة المنظمة الجادة التى آتت أكلها فيما بعد ثمرا جنياً ورجالا عاملين فى شتى المجالات هذا وقد تم فيما بعد تأسيس دار للبعثات السعودية بالاسكندرية تولاه المرحوم الأستاذ صادق ماجد كردى وكان يرعى الطلبة السعوديين الذين يتلقون دراساتهم فى جامعة الاسكندرية ·

نشر المدارس فى أنحاء المملكة

ولم يكتف السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله بالعناية بالدراسات العليا وتهيئة أسبابها فحسب وإنما بذل جهودا جبارة فى نشر التعليم فى كثير من مدن المملكة فبعد أن كانت مدارس المعارف فى المدن الكبرى محدودة العدد توسعت المديرية العامة للمعارف فى عهده بتشجيع من جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز فى افتتاح المدارس وخاصة الابتدائية ، والمتوسطة فكنا نرى فى كل عام زيادة ملحوظة فى عدد المدارس فى جميع المدن وفى كثير من القرى مما هيأ الجو المناسب للنهضة التعليمية الكبرى فيما بعد مع ادخال الاصلاحات الجذرية على مناهج الدراسة وتهيئتها لتكون متساوقة مع المدارس المماثلة فى البلاد العربية المجاورة ·[1]

مدرسة الأمراء فى الرياض

وقد قام المرحوم السيد محمد طاهر الدباغ كذلك بتأسيس مدرسة الأمراء فى الرياض أو على الأصح بتوسيعها وتنظيمها فقد كانت المدرسة موجودة من قبل ولكنها كانت فى نطاق ضيق فقام بتوسعتها وتنظيمها وقد أصبحت هذه المدرسة فيما بعد تضم مختلف الطبقات ولم تكن قاصرة على الامراء فحسب وهكذا فإن العلم مباح للجميع ·

---

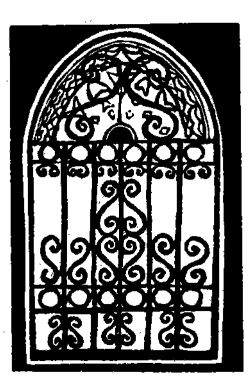
(١) للاستزادة عن تطور التعليم فى المملكة يراجع كتاب محمد طاهر الدماغ للاستاذ بكر الصباغ فهو يحتوى على معلومات قيمة فى هذا الشأن ·

وقد بقى السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله قائما بأعباء هذا العمل العظيم لسنوات طويلة من عام ١٣٥٥ إلى عام ١٣٦٤ هـ ثم عين عضوا بمجلس الشورى ثم أحيل إلى التقاعد عام ١٣٧٢ هـ ٠

المرض والرحلة إلى مصر

وقد شعر السيد محمد طاهر الدباغ رحمه الله بالمرض الذى بدأ يؤثر على بصره فسافر إلى مصر طلبا للعلاج ولكن الداء كان قد استشرى فذهب بصره ولكنه كان كالعهد به دائما شجاعا مؤمنا فتحمل المرض فى صبر وايمان ولم يكن يشكو ذهاب بصره ، بل لم يكن يتحدث عن ذلك بتاتا ، حدثنى أحد أبنائه وكان معه فى مصر قال كنا نعرف أن لاعلاج للمرض الذى ألمّ ببصره ، وكنا نكتم عنه ذلك مراعاة لشعوره قال وكنت أشعر أن الوالد يعرف من أمر مرض عينيه ما نعرف وكان لايتحدث عن ذلك اشفاقا علينا ، لقد كان رحمه الله رحيما وزعيما عظيما ، ورجلا من أشجع الرجال هذا وقد أدركته الوفاة رحمه الله بالقاهرة فى ١٨ رجب ١٣٧٨ هـ ودفن بها مأسوفا عليه من كل الناس الذين عرفوا فضله وجميل صفاته رحمه الله جزاء ما أسدى للأمة من خير وما عمل فى سبيلها من جهد مخلص ونفع عظيم ٠






أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



محمد على زينل رضا

محمد علي زينل رضا

معتدل الجسم وسط فى الرجال لا بالطويل ولا بالقصير ، مستدير الوجه ابيض اللون ، واسع العينين ، اقنى الانف ، يضع على عينيه نظارة ذهبية ويرتدى الجبة والعمامة الحجازية وقد احتفظ بلباسه هذا حتى فى زياراته الكثيرة إلى اوربا بعد ان افتتح مكاتب بها لأعماله التجارية الواسعة ، قويٌ الشخصية وهبه الله مهابةً واسبغ عليه محبة فاذا رأيته هبته واحببته فى وقت واحد ولا عجب فى ذلك فقد هيأه الله تعالى بتوفيقه للزعامة بما وهبه من صفات البذل فى سبيل العلم من مال كثير وجهد عظيم استمر معه منذ نشأ الى ان توفاه الله تعالى وقد اشرف على التسعين من عمر طويل قضاه فى خدمة العلم والدين ٠

ولد الحاج محمد على زينل رضا بمدينة جدة فى اول القرن الهجرى سنة ١٣٠٠ هـ فى ظل والده الحاج زينل على رضا وكان هو واخوه الحاج عبد الله على رضا من اكبر تجار مدينة جدة وابرزهم وتعلم القراءة والكتابة فى دار والده على ايدى بعض علماء عصره كما بدأ دراسته اللغة الانجليزية والفارسية كذلك على ايدى من يعرفونها ممن يعملون فى بيت والده التجارى وكان مجاله الطبيعى بعد هذا العلم المحدود ان يعمل فى تجارة ابيه وعمه موظفا يتدرج فى الاعمال

ويتمرن عليها حتى يستطيع ان يمسك زمام الامور حين يشتد ساعده ولكن محمد على زينل كان شغوفا بالعلم منذ الصغر وخاصة بعلوم الدين ولم يجد فى مدينة جدة ما يشبع نهمته ويسد جوعته فاستأذن من أبيه فى السفر الى مصر والالتحاق بالجامع الازهر وهو أكبر مصدر لتلقى علوم الدين فى عصره ، ولكن والده الذى كان يرغب فى تهيئة ابنه للعمل التجارى لم يوافق على هذه الرغبة ، كما انه كان راغبا فى بقاء ابنه محمد على بجانبه وهو اكبر ابنائه ولكن حب محمد على زينل للعلم والدراسة استحوذ على فكره وأخذ بمجامع قلبه فما هو الاً ان حزم أمره وترك مدينة جدة دون علم والده ، وذهب الى مصر وبدأ الدراسة فعلا بالجامع الازهر ، ولكن الحاج زينل الذى لم يطق فراق ابنه تبعه الى مصر وأعاده الى بلده ، ورأى محمد على نفسه مرة اخرى فى مدينة جدة وقد حيل بينه وبين ما يرغب من تعليم ، رأى نفسه كما حدثنى رحمه الله فى جدة وهو شاب فى العشرين أو دونها وكان يصف حال العلم والتعليم فى أوائل القرن الرابع عشر قال عن :

نشوء فكرة مدارس الفلاح

« كان يقوم الجمال من مكة المكرمة باحماله ومعه ورقه بها اسم الرجل الذى له البضاعة فيدخل من باب مكة الى ان يصل الى الخاسكية ـ قلب شارع الملك عبدالعزيز الآن ـ فلا يجد من يحسن قراءة الورقة التى بيده الى ان يُيَسر الله من يقرأها بعد الجهد والتعب فيستدل على صاحب الاحمال وينزلها لديه قال وكانت فى مدينة جدة كلها مدرسة واحدة هى ـ المدرسة الرشدية ـ كان موقعها امام مسجد الباشا وقد هدمت بعد خرابها وتقرر ابقاء الارض دون بناء توسعة للشارع ـ وكانت هذه المدرسة تعلم اللغة العربية بالتركية ـ كان هذا فى اواخر العهد العثمانى ـ وحين انتشار حركة التتريك التى كانت تمارسها جمعية الاتحاد والترقى

التركية ـ قال الحاج محمد على وهالنى الأمر ووجدت انه لابد من عمل شيء لتغيير الحال وتعليم الأولاد القرآن الكريم ومبادىء القراءة والكتابة على الاقل ولم يكن مسموحا بافتتاح المدارس او الكتاتيب فى ذلك العهد ، ولكن هذه العقبات جميعها لم تكن لتحول بين الرجل العظيم وما يريد قال فاستأجرنا مقعدا فى بيت ذاكر بحارة الشام ـ المقعد هو المجلس الذى كان يوجد فى مدخل كل بيت لاستقبال الرجال وجلوس صاحب المنزل به فى ذلك الحين ـ واتفقنا مع احد الفقهاء على تدريس الأولاد مبادىء القرآن الكريم والكتابة وتعليمهم صغار السور بين المغرب والعشاء قال الحاج محمد على وقد اخترنا هذا الوقت لنختفى عن عيون الدولة حيث لم يكن مصرَّحاً لنا بهذا العمل ولأوَّل مرةٍ وجدنا ان هناك مخاطر فى خروج الأولاد للدراسة وعودتهم تحت جنح الظلام فاتفقت واصدقائى عبدالرؤوف جمجوم ومحمد صالح جمجوم ، ويحيى سليم ومحمد صالح نوار أن يذهب كل منا الى منازل الاولاد (بعد الاتفاق مع آبائهم) لنأخذهم الى هذه المدرسة الصغيرة ثم نعيدهم الى منازلهم بعد انتهاء الدروس ، وهكذا كان فكان هؤلاء الشبان وجميعهم فى مطلع الشباب يذهبون الى بيوت الأولاد لإيصالهم إلى المدرسة ثم يعودون بهم بعد العشاء ليوصلوهم الى أهليهم بأمان ٠

تخذوا الظلام الى الضياء وسيلة ☆ والفجر يولد فى الدجى فيشيب

قال وكنا قد تقدمنا الى الحاكم التركى بطلب التصريح لنا بافتتاح مكتب لتعليم القرآن الكريم وقد حصلنا اخيرا على هذا التصريح فأصبحت المدرسة تمارس نشاطها فى وضح النهار واخذنا نشجع الكثيرين على ارسال اولادهم اليها ، وكان ما يأخذه الحاج محمد على زينل من مرتب شهرى لقاء عمله فى مكتب ابيه التجارى عشر روبيات[1] يذهب جميعه فى نفقات هذه المدرسة

---

(١) محمد على زينل رضا لمؤلفه محمد احمد الشاطرى ٠

الصغيرة وبدأ يفكر فى ايجاد موارد اكبر لتغطية نفقات المدرسة ومواجهة ما يحلم به من تكبيرها وتوسيع اغراضها ومن اهم ذلك ايجاد مبنى اكبر وأوسع ، وفى ذلك الوقت عرض مبنى مدرسة الفلاح الحالى بباب مكة للبيع وكان هذا المبنى بموقعه وبنائه الحديث وكثرة غرفه هو اصلح مكان للمدرسة التى يحلم بها هذا الشاب العظيم »

تَبَرُّع زَوجَتِهِ بِحُلِيِّها وَجَواهِرِها

وأخذ الرجل يفكر فى الطريقة التى يستطيع بها توفير المال اللازم وهو لا يملك منه شيئا واخذت الفكرة بمجامع قلبه حتى ارقت جفنه وأقضت مضجعه ورأت زوجه ـ السيدة خديجة بنت عمه الحاج عبدالله على رضا ـ ما هو عليه من تفكير فسألته عما يشغله فأسرَّ اليها بالأمر ولم يكن من هذه السيدة العظيمة الكريمة الا ان قدمت كل ما تملك من مجوهرات وحلى لزوجها ليبيعه ويشترى به البناء المطلوب ، وهكذا كانت هذه المكرمة العظيمة من تلك السيدة العظيمة سببا فى شراء المبنى الكبير لمدرسة الفلاح فى شهر شوال **١٣٢٣** هـ

هبـــة تطـــوق كل أنثى عزة ☆ ان كاثرتنـــا بالهبـــات وهوب

ولعله من المناسب هنا ان نذكر للتاريخ ان الجامعة المصرية ـ جامعة فؤاد الاول ـ اوجامعة القاهرة اخيرا حين تأسيسها كانت تفتقر إلى المال فتقدمت أحدى الأميرات المصريات الى الجامعة بمصوغاتها ومجوهراتها فوهبتها للجامعة وقد اشادت الصحف المصرية اذا ذاك بهذا الحدث ، نقول ان هبة السيدة خديجة بنت الحاج عبدالله على رضا لشراء مدرسة الفلاح كانت قبل ذلك ، وكان سبقها بهذه الهبة من الاعمال الجليلة التى تدل على سمو نفس صاحبتها جزاها الله خير الجزاء .

وبعد شراء مبنى المدرسة بدا لمحمد على جليا ان من الضروري العمل على ايجاد موارد مالية كافية للمدرسة ، فالمدرسة كل مدرسة كما هو معلوم كالمزرعة تبدأ فصلا واحدا ثم تنتهى الى فصول عديدة بحسب تدرج قدرة الطلاب على الاستيعاب وهكذا قرر محمد على الهجرة الى الهند طلبا لمجال أوسع من الرزق والعمل وسافر الى الهند تاركا المدرسة فى رعاية اصدقائه وزملائه وفى مقدمتهم الشابان عبدالرؤوف ومحمد صالح جمجوم وقد حدثنا الحاج محمد على شخصيا عن هذه الفترة ، فترة البداية فى مهجره بالهند قال كنت محتاجا الى المال الذى ابدأ به العمل وكان صديقى يحيى سليم يعرف ذلك فحسَّن لوالده ان يرسل معى مبلغا من المال لأرسل لهم به بعض البضائع بعد وصولى الى الهند قال محمد على وقد انتظر الشيخ سليم وقتا طويلا حتى وصلت اليه البضائع المطلوبة وكان ابنه يحيى سليم مطلعا على كل شيء .

ملك اللؤلؤ فى العالم

وفى الهند اشتغل محمد على زينل بتجارة اللؤلؤ حيث كان يشترى اللآلئ فى مواسم الغوص من الموانىء الخاصة بذلك وهى البحرين والكويت ودبى فى الخليج ثم يصنف هذه اللآلىء حسب احجامها بعد ثقبها وصقلها فى عقود واساور وحلقان ويبيعها حسب أصنافها وأحجامها فى العواصم الأوربية العالمية فكان له مكتب فى لندن وآخر فى باريس بالاضافة الى مكاتبه فى بومباى بالهند وفى موانىء الخليج حتى اصبح من اشهر العاملين فى هذا العمل واطلق عليه ملك اللؤلؤ فى العالم ، وكان العهد العثمانى قد انتهى فى الحجاز وبدأ العهد الهاشمى وتمكن محمد على بما افاء الله عليه من خير من التوسع فى التعليم بمدارس الفلاح فأسس مدرسة الفلاح بمكة المكرمة سنة ١٣٣٠ هـ بعد مدرسة الفلاح فى جده كما اسس

مدرسة الفلاح فى بومباى سنة ١٣٥٠ هـ ومدرسة الفلاح فى عدن ومدرسة الفلاح فى دبى سنة ١٣٤٧ هـ ومدرسة الفلاح فى البحرين وكان يزمع تأسيس مدرسة الفلاح فى المدينة المنورة كذلك إلا أن ذلك لم يتم وقد حدثنى الشيخ محمد صالح جمجوم وكيل مدارس الفلاح فى جدة ومكة ان مقدار ما كان ينفقه الحاج محمد على زينل على المدرستين فى مكة وجدة سنويا وصل الى ثلاثة عشر الف جنيه من الذهب ، واستمر فى هذا الانفاق مايقرب من ثلاثين عاما وحينما بدأ العهد السعودى فى جدة كانت مدارس الفلاح تقريبا هى المدارس الوحيدة فى مكة وجدة التى اشتهرت بحسن إدارتها وجودة برامجها التعليمية وكان متخرجوها هم الأساس الذى قام عليه بناء الأدارة الحكومية فكانوا يشكلون القسم الأكبر من موظفى الدولة كما كانوا يمسكون بالاعمال الكتابية فى البيوت التجارية فى المدينتين كما اشتغل الكثيرون منهم بالتدريس فى مدارس الفلاح نفسها وفى المدارس الحكومية الأخرى فى بداية العهد السعودى .

البعثات التعليمية

ولم يكتف الحاج محمد على زينل بما تقوم به مدارس الفلاح فى كل من مكة وجدة على علو برامج الدراسة فيها فى ذلك الزمان باختيار أجود المدرسين وأستقدامهم من مصر وسوريا بالاضافة الى افضل المدرسين الوطنيين فقد كان يفكر فى اخراج جيل من الرجال المتعمقين فى دراسة الإسلام ليقوموا باداء رسالة الاسلام الحقيقية فى بلادهم ومن ثم عمد الى اختيار أفضل المتخرجين من طلاب الفلاح وابتعثهم إلى الهند ليكونوا تحت إشرافه الخاص بعد ان اعدّ لهم برنامجا

علميا حافلا واستقدم لهم اعظم المدرسين من البلاد الاسلامية وكان يهدف بذلك الى اعداد جيل من الدعاة الاسلاميين الواعين لرسالة الاسلام وكان يغري الطلاب بالاستمرار فى الدراسة او الابتعاث الى الهند بترتيب مرتبات شهرية مغرية لهم وخاصة لمن يكون أهلوهم من ذوى الدخل المحدود وهكذا كانت هذه المرتبات الشهرية للطلبة ولابائهم فى السنوات الثلاث الاخيرة من الدراسة فى الفلاح وهى السنوات العلمية كما اطلق عليها اذ ذاك وهى بعد الست سنوات العادية حافزا كبيرا للآباء لإبقاء ابنائهم مستمرين فى دراستهم كما كانت حافزا للموافقة على ارسال ابنائهم للاستزادة من العلم فى بومباى فى المدرسة التى اعدها الحاج محمد على هناك لهذه الغاية .

الدِّرَاسَة مجَانِيَّة

ولست فى حاجة لأن أقول إن الدراسة فى مدارس الفلاح كانت مجانية لأبناء الفقراء والأغنياء على سواء ولم يكن يتكلف ولى امر الطالب سوى شراء الكتب المدرسية فى أول كل عام وكانت هذه الكتب تباع باسعار زهيدة يسهل توفر ثمنها لكل انسان .

انهِيَار تجَارة اللؤلؤ

وبينما كان الحاج محمد على زينل يواصل جهوده العظيمة فى حقل التعليم كما اسلفنا وينفق المال الكثير فى هذا السبيل تعرضت اعمال هذا الرجل العظيم للانهيار بعد ظهور اللؤلؤ الصناعى اليابانى فى الخمسينات من هذا القرن الهجرى وكان هذا الحدث بعد ان اشترى الحاج محمد على اكبر كميات من اللؤلؤ فى مواسم الغوص من موانىء الخليج وهكذا وجد محمد على زينل نفسه بين يوم وليلة

يملك من اللآلىء الكثير الذى انفق فيه الملايين ولكن هذه اللآلىء لا تشترى ، فقد اتجه الناس الى شراء اللؤلؤ اليابانى الزائف الرخيص والذى لافارق بينه وبين اللآلىء الأصليه من ناحية المنظر فى شيء وتعرض الرجل لمصائب مالية تنوء بها العصبة اولو القوة ولو لم يكن الرجل على ايمان قوى بالله وعلى سمعة عالية لدى البنوك لكانت هذه المصاعب كافية للقضاء عليه ولكنه ثبت ثبات المؤمنين ، وقال وقد سلمت كل ما لدىَّ من لآلىء ومجوهرات الى البنوك تأمينا لهم لقاء ما استدنته من اموال وكانوا يقدرون الموقف فصبروا حتى يجعل الله من بعد عسر يسرا ٠

توقف الصرف على مدارس الفلاح

وفى هذه الظروف البالغة السوء أنىّٰ يستطيع الحاج محمد على زينل ان ينفق ما كان ينفقه على الفلاح ، بل انّى له ان ينفق اى شيء وقد بلغ به الامر ما بلغ فاضطر الرجل العظيم آسفا ان يعلن ذلك للقائمين على شؤون الفلاح وكان لهذا الأمر أبلغ الأثر فى نفوس الناس عامة ٠

الأمة تتولى الصرف على الفلاح

فقامت الأمة مجتمعة بما كان يقوم به فرد واحد هو الحاج محمد على زينل رضا ، وقد اجمع تجار مدينة جدة ان يتقدموا للدولة بفرض رسم مقداره قرش واحد على كل طرد يصل الى ميناء جدة ويستوفى هذا القرش لصالح مدارس الفلاح ، وكان الشيخ حمد السليمان الحمدان وكيل وزارة المالية مدعوا على العشاء بمنزل الشيخ عثمان باعثمان أحد أعيان جدة ومدير العين العزيزية فيما بعد ـ فتقدموا اليه

مجتمعين بهذا الطلب الذى وافق عليه فى الحال واصبحت حصيلة هذا الرسم تستوفى فى جميع جمارك المملكة وتؤدى لمدارس الفلاح ومن المهم هنا ان نذكر ان هذا القرش يضيفه التجار على تكلفة بضائعهم وهم يستردونه بطبيعة الحال ضمن هذه التكلفة حين البيع فهو ليس منحة من فئة معينة وانما هو مشاركة عامة من الأمة كلها فى الإنفاق على مدارس الفلاح ·

الدَّولة تتولى تغطية مصاريف الفلاح

ولقد قامت الدولة فيما بعد مشكورة بتغطية مصاريف مدارس الفلاح فى كل من مكة وجدة وأصبح هذا القرش الذى كان يستوفى باسم الفلاح عائدا لمصلحة التعليم كله باسم (قرش المدارس) لأن هذا القرش لم يعد يكفى لسد متطلبات الانفاق على الفلاح بعد تطور التعليم فيها وتوسعه ليشمل المراحل الثلاث مثل مدارس وزارة المعارف وهكذا شملت الدولة اخيرا مدارس الفلاح برعايتها فأصبحت تعامل معاملة المدارس الحكومية سواء بسواء ·

محمد علي زينل لا يقبل التبرع للفلاح

ولعله من الخير ونحن نستعرض حياة الحاج محمد على زينل وتاريخ الفلاح ان نذكر هنا انه كان لايقبل تبرعا من اى انسان ، فحينما كان قادرا على الانفاق أنشأ مدارس الفلاح وأنفق عليها من حرِّ ماله واستمر فى هذا الانفاق حتى عجز عنه تماما فتركه للأمة كلها تتولى الأمر نيابة عنه وهكذا كان ولقد حدث ان قدم الحاج محمد على زينل الى الحجاز فى احدى زياراته المعتادة التى كانت تتم كل بضعة اعوام مرة ، اقول قدم الى الحجاز فى الستينات وكانت مدارس الفلاح

معروضة للبيع فى مكة المكرمة وكانت مدارس الفلاح تشغل مبنيين فى القشاشية بمكة المكرمة قرب باب على ـ من ابواب المسجد الحرام ـ وكانت هذه المبانى مملوكة لأولاد الشريف على باشا امير مكة الاسبق ، وكان معلوما يومها ان ثمن هذين المبنيين هو مائة الف ريال وانى إنقل هنا من كتابى حبات من عنقود ما سبق ان كتبته عن هذا الأمر قبل سنوات :

سَأَبْنِي رِجَالاً

(كنت عضوا فى مجلس إدارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد بمكة المكرمة ، وكان رئيس المجلس الصديق المرحوم الشيخ عبدالله باحمدين ، وذات ليلة حضر الينا الشيخ عبدالله فى المجلس وقال هو بادى التأثر ، لقد علمت اليوم أن البناية التى تشغلها مدرسة الفلاح بالقشاشية معروضة للبيع وأن ثمنها يبلغ مائة الف ريال ، وإننى لا أتصور ماذا يكون حال التلاميذ وحال المدرسة بعد أن تباع بنايتها ؟ ثم استطرد قائلا الا يوجد مائة شخص من خريجى مدارس الفلاح فى مكة وجدة يستطيع كل منهم أن يدفع الف ريال فيجمعون قيمة المدرسة ويقدمونها هدية للحاج محمد على زينل رئيس مدارس الفلاح الموجود حاليا بين ظهرانينا ، قلنا إن ذلك واجب لا مناص منه وأن خير هدية تقدم للحاج محمد على وقد اعتذر عن قبول حفلات التكريم هى قيمة بناية هذه المدرسة التى غذّاها بعقله وماله وجهده طوال ثلاثين عاما أو تزيد ثم قلت للمجتمعين ، إن لدينا إلى جانب جمع التبرعات لشراء المدرسة وسائل أخرى بعضها فى يدنا هنا فى مجلس إدارة الشركة ، فإن لدينا بنداً للأعمال الخيرية مخصصا له بموجب نظام الشركة خمسة فى المائة من صافى أرباح الشركة سنويا ، وفى يدنا أن نصدر قرارا فى الحال باعتماد المخصص جميعه لمدارس الفلاح ، كما أننا نستطيع أن نفعل مثل ذلك فى الشركة العربية للسيارات وفى شركة الطبع والنشر ، وكل منكم له صلة بهاتين

الشركتين من قريب أو بعيد ، وإذا رغبتم فانني سأشرح للشيخ محمد سرور وهو رئيس الشركات العربية جميعها الموقف كله وآخذ موافقته عليه ، ونكون بهذا قد جمعنا قسما هاما من المبلغ المطلوب من أيسر طريق ثم نلجأ بعدها إلى جمع التبرعات ، استحسن المجتمعون جميعا الفكرة ورحبوا بها وكلفونى أن أتحدث إلى الشيخ محمد سرور نيابة عنهم فيها ، وأعددت تقريرا مفصلا أوضحت فيه المبالغ التى يمكن جمعها من الشركات العربية وشرحت فيه الأمر شرحا وافيا ، وقدمته فى اليوم التالى للشيخ محمد سرور وقرأ التقرير بإمعان ثم قال : إننى موافق على كل ماجاء فى هذا التقرير ، ولكن هل تحدثتم إلى الحاج محمد على وأخذتم موافقته ؟ قلت : اننا نريد أخذ موافقتك أولا ثم نتحدث إليه ، قال : اننى موافق فخذوا موافقته وأخبرونى ، واتصلت بإخواننا فى مجلس ادارة الشركة العربية للتوفير والاقتصاد وأخبرتهم بالأمر فقرروا انتدابى مع الأستاذ الشيخ عبدالوهاب آشى والأخ السيد هاشم زواوى لمقابلة الحاج محمد على زينل وأخذ موافقته على الأمر ، وعهدنا إلى السيد هاشم بالاتصال بالحاج محمد على وتحديد موعد معه للمقابلة ، واتصل بى السيد هاشم فى اليوم التالى وقال : الاجتماع بعد صلاة الظهر مباشرة فى بيت الآشى بالقشاشية ، (هذا البيت هدم وأدخل ضمن التوسعة الأولى للمسجد الحرام) وذهبت إلى الموعد وبعد دقائق حضر الحاج محمد على وشرحت له الفكرة بحذافيرها ، وأشرق وجه الرجل العظيم وتهلل وهو يستمع إلى ثم قال : لقد فكرت يوما من الأيام أن أشترى محلا كبيراً هنا فى القشاشية أشيد فيه بناء المدرسة وأحيطه بدكاكين تكون موردا للمدرسة نفسها ، ولكن وقد حالت الظروف دون تحقيق هذا المطلب عزَّيت نفسى قائلا : إننى سأبنى رجالا ، وانى لأحمد الله تعالى أن جاء اليوم الذى رأيتكم فيه يا أبنائى ، يا أبناء الفلاح تغارون على مدرستكم وتفكرون فى شراء المبنى الذى يضم التلاميذ بعد أن علمتم أنه معروض للبيع وأنكم تخشون عليهم من الضياع .. ثم أردف

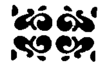
قائلا : ان أفكارى فى الواقع تتلاقى معكم ، وإننى هنا على اتصال بمالك الدار فى هذا الشأن وان لدى مبلغا أحضرته من الهند لهذه الغاية ، هذا ولم أر فى حياتى رجلا ساحر الحديث كالحاج محمد على زينل « مد الله فى عمره » هذه الحلقة نشرت قبل وفاته رحمه الله ، لم اجتمع اليه مرة الا وانطوى الوقت وهو يتحدث وأنا أستمع ، فلا نشعر بمرور الزمن ولا انقضاء الساعات ، وظل يومها يتحدث عن مدارس الفلاح وكيف أنشأها وهو موظف فى بيت أبيه بمرتب عشر روبيات فى الشهر الواحد ، وكيف كان وصحبه يأخذون التلاميذ من بيوت آبائهم بعد الغروب إلى المدرسة ثم يعيدونهم إلى دورهم فى صدر الليل لأن الدراسة كانت فى السر بعيدا عن أعين الدولة التركية ورقابتها ، وكيف سافر إلى الهند طلبا لتدبير المال لهذه المدارس وكيف تبرعت زوجه بحليها لتساهم فى شراء مدرسة الفلاح بجدة حينما عرضت للبيع ولم يكن يملك مالا لشرائها ، واستمر يتحدث ونحن نستمع إليه مأخوذين ولم نشعر الا وقد اذن للعصر ولم نتناول غداء ولم نفكر فى راحة وانتبه الرجل العظيم فقال لقد أضعت عليكم وقتا كبيرا ولكنى سأجتمع اليكم مرة اخرى ، قلت : ولكنى لم أسمع جوابا منك على اقتراحنا ، ان الشيخ محمد سرور ينتظر موافقتك لنبدأ الخطوات الأولى للمشروع ، قال : لا تفعلوا شيئا حتى أخبركم ، وأردف سأتقابل مع الشيخ محمد سرور ثم اجتمع اليكم مرة اخرى ، وانتظرنا وطال انتظارنا ، وكلما قدم لزيارة الشيخ محمد سرور تعرَّضت له مذكِّرا فيعدنى بأنه سيخبر الشيخ محمد سرور بما يستقر عليه رأيه ، وأخيرا سافر إلى جدة ومنها الى الهند وسألت الشيخ محمد سرور ألم تتلق شيئا من الحاج محمد على ؟ فقال فى هدوء كلا : ثم ابتسم وقال : انك لاتعرف الحاج محمد على إنه لايقبل تبَّرعا من احد قلت : حتى ولا من أبناء الفلاح ؟ قال لقد

خبرت بنفسك الأمر فلا داعى للجواب ٠

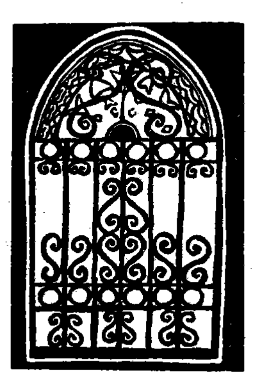
مد الله فى عمر مؤسس الفلاح فلقد كان ومايزال بأخلاقه العالية وعصاميته الفذة وغيرته العظيمة مدرسة كبرى تبنى الرجال ـ(هذا ما نقلته من كتابى حبات من عنقود مما سبق نشره قبل سنوات فى جريدة البلاد وهو مثل من أمثلة كثيرة تدل على أن محمد على زينل لايقبل تبرعا من أى جهة كانت لمشاريعه العظيمة التى أسسها وحينما عجز هو عن الانفاق على الفلاح لم يلجأ إلى جمع التبرعات وإنما ترك المدارس وديعة فى يد الأمة كلها تحتضنها دون أن يتدخل فى الأمر بصورة من الصُور وهو تصرف يدل على نفس عظيمة كريمة أبيَّة ٠

ولقد استطاع الرجل العظيم بمرور الزمن ان يتغلب على الأزمة العظيمة التى تعرض لها وأخذ يعمل فى تجارة المجوهرات فى نطاق محدود ، وحينما علت سِنُّه أخذ يفكر فى العودة إلى وطنه والاستقرار فى الحجاز حيث تقيم أسرته الكبيرة وأحبابه الكثيرون ، وكنت أراه فى كل مرة يقدم فيها إلى الحجاز فأسأله عن موعد هذه العودة المرتقبة فيقول باق لى بالهند سنتان سنة تخليه وسنة تحليه ، والذى ظهر لى أن ارتباطاته الكثيرة فى الهند بعد أن قضى معظم عمره هناك لم تكن تسمح له بتركها ، وقد علمت من شقيقته السيدة عائشة زينل التى زارته فى السنوات الأخيرة من حياته أن بيته هناك كان مفتوحا للناس وخاصة للسيدات اللاتى لا عائل لهن ، كما علمت انه كان يساعد الحركات الاسلامية من ماله فى صمت ما وسعه ذلك ، وتعرض فى أواخر حياته لمرض خطير سافر من أجله لآل زينل بعد أن استقدموا له طبيبا من انجلترا لإجراء جراحة عاجلة كللت بالنجاح ولم تمض فترة من الزمن بعد ذلك الا وقد أدركته المنية فى مدينة بومباى ، وما أن علم جلالة المغفور له الملك فيصل بالأمر حتى أمر بارسال طائرة خاصة لنقل جثمانه إلى الحجاز ولكن الحاج محمد على رحمه الله أوصى أن يدفن حيث يقبض

فدفن فى مدينة بومباى بالهند وقد تركت وفاته رنة حزن وأسى لدى كل عارفيه ونعته صحف الحجاز خاصة وكتب الكثيرون عنه رحمه الله رحمة الأبرار وكانت وفاته بتاريخ ٢ شعبان ١٣٨٩ هـ أحسن الله جزاءه وأسبغ عليه شآبيب رحمته ورضوانه فقد كان من أعظم الرجال ..




أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة





محمد عبدالصمد فدا

محمد عبد الصمد فدا

متوسط القامة معتدل الجسم أسمر اللون له لحية خفيفة يضع نظارة على عينيه ويرتدي العباءة والعقال .

ولد الأستاذ محمد فدا بمكة المكرمة عام ١٣٤٣ هجرية وتلقى تعليمه في مدارس الفلاح بمكة المكرمة ثم ابتعث الى مصر والتحق بكلية الشريعة بجامعة الأزهر متخصصا في القضاء وعاد منها الى الحجاز عام ١٣٧٠ للهجرة وعين عقب تخرجه قاضيا بمدينة رابغ الا انه كان يرغب العمل في سلك التعليم فاعتذر عن قبول الوظيفة التي أسندت اليه ومن ثم عين مدرسا بالمعهد العلمي السعودي أوائل عام ١٣٧١ هـ وحينما ظهرت مواهبه في التدريس عين في ٧٢/١١/١ هـ مديرا للمدرسة الرحمانية الثانوية وانتقل في ٧٦/٢/١ هـ إلى المدرسة العزيزية الثانوية مديرا لها ثم عين مستشارا بمكتب المستشارية لوزارة المعارف في ٧٧/١١/١ هـ الى ٧٨/٥/١ هـ حيث اختير مديرا للمدرسة النموذجية بالطائف التي تحولت فيما بعد الى مدرسة الثغر النموذجية بجدة .

المدرسة النموذجية بالطائف

قام المرحوم ابراهيم أدهم وهو والد سعادة الأستاذ كمال ادهم بإنشاء المدرسة النموذجية بالطائف لغرض نبيل فقد أسست المدرسة فى البداية لتكون مدرسة للأمراء وقام المرحوم ابراهيم أدهم باحتضان التلاميذ اليتامى فى المدرسة المذكورة ، لإيوائهم وتعليمهم وسرعان ما أصبح عدد هؤلاء التلاميذ اليتامى كبيرا وأصبحت العناية بالمدرسة المذكورة ضرورة حتمية فشملها برعايته صاحب السمو الملكى الأمير فيصل النائب العام لجلالة الملك ـ جلالة الملك فيصل فيما بعد ـ وحولها الى مدرسة نموذجية ومن ثم اختير الأستاذ محمد عبدالصمد فدا رحمه الله مديرا لها لما عرف عنه من القدرة الادارية الفائقة وقوة الشخصية الى جانب مؤهلاته العلمية وخبرته السابقة فى التعليم حوالى الثمانية أعوام ومنذ تولى الاستاذ محمد فدا ادارة المدرسة النموذجبه بالطائف استطاع ان يكتسب ثقة جلالة الملك فيصل رحمه الله فاتخذ بتأييد من جلالته الاجراءات التى تكفل لهذه المدرسة ان تكون نموذجية فعلا لا اسما وقد رؤى ان تنتقل المدرسة الى مدينة جدة ليكون الانتفاع بها شاملا لا يقتصر على سكان مدينة الطائف وحدها ولقد بدأت المدرسة النموذجية بالطائف تكتسب سمعتها الأولى فانتقل اليها بعض ابناء كبار رجالات مكة وخاصة من موظفى الدولة وحينما تم بناء المدرسة بجدة واعدادها انتقلت المدرسة النموذجية اليها بكامل طلبتها وخصصت لها ميزانية ضخمة فى كل عام واطلق عليها اسم « **مدرسة الثغر النموذجية** » .

وفى هذه الفترة عرفت المرحوم الأستاذ محمد فدا اداريا قديرا ومربيا عظيما ، ورجلا قوى الشخصية لا يتهاون فى تطبيق أنظمة المدرسة ازاء صغير أو كبير

فالطالب الذى يسقط فى سنة من السنوات ولا ينجح فى الملحق لابقاء له بين صفوف طلاب الثغر وإنما ينتقل الى مدرسة اخرى ، والدراسة فى المدرسة علمية فى مرحلة التوجيهية فالطالب الذى لا يتفوق فى المواد العلمية أو الذى لا يميل اليها لا بقاء له فى المدرسة ولو كان متفوقا فى المواد الأدبية ولن يشفع له قط ان يكون ابن أمير أو كبير ولن يشفع له كذلك ان يكون ابوه صديقا حميا لمحمد فدا بالذات ، ولعله كان أشد ما يكون صرامة مع الطلاب من أبناء اصدقائه وذوى قرباه وعلامات الطالب تراقب فى الاختبارات الشهرية وترسل نتائجها الى آباء الطلاب وكنا نترقب هذه العلامات فى كل شهر بقلوب واجفة خشية ان يكون أحد الابناء مقصرا فى بعض الدروس والويل لمن تأتى الشهادة الشهرية وفيها علامة حمراء فمعنى هذا أن الخطر على الأبواب .

وتحل المصيبة العظمى اذا أساء الطلاب أحدهم او بعضهم سلوكه فى المدرسة ولم يعترفوا بما اقترفوا ويدلوا على الفاعل هنالك ينتقل الأمر الى آباء الطلاب وأولياء أمورهم وهناك ترسل الخطابات الى هؤلاء الآباء بطلب الحضور وكنا نعرف ان المقابلة ستكون عاصفة وإننا لا نملك فيها الا التسليم بما يرتئيه الاستاذ فدا ، وبهذه الوسائل كان البيت مرتبطا بالمدرسة اشد ارتباط وكان الآباء والأمهات على علم تام بأحوال ابنائهم الدراسية بل وبسلوكهم واخلاقياتهم ، وهكذا كان الاستاذ محمد فدا شخصية يحسب حسابها الجميع ويحبها الجميع اشد الحب لانهم يضعون بين يديه مستقبل أبنائهم ويعرفون أن هؤلاء الأبناء فى يد أمينة كريمة .

ولتكتمل الصورة لدى القارىء عن هذه المدرسة او المؤسسة العظيمة (مدارس الثغر النموذجية) لابد ان نذكر ان المدرسة تضم قسما داخليا تهيىء

فيه للطلاب كل وسائل الراحة من المأكل والمضجع والتطبيب الى مختلف النشاطات الرياضية التى تحفل بها برامج هذه المدارس وكذلك البرامج الاجتماعية

والفنية وكان الاختيار لكل العاملين في هذه المدارس من مدرسين وعاملين فى مختلف أعمال المدرسة وشؤونها يتم على أسس مؤهلات علمية وخبرات سابقة وكان الاستاذ محمد فدا يشرف على الكبيرة والصغيرة فى شؤون هذه المدارس مواصلا الليل بالنهار فى تقصى هذه الأمور لضمان سيرها على الوجه المطلوب وكانت الحفلة السنوية التى تقيمها المدرسة والتى تعرض فيها نشاطات الطلاب يتخللها بعض البرامج التمثيلية الناجحة يدعى لها آباء الطلاب بل والأمراء والوزراء ويحضرها صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ولى العهد - ولم ينقطع عن حضورها الا بعد ان ولى العرش وأصبح وقته كله مشغولا بشؤون الدولة ، نقول ان هذا الحفل السنوى كان أشبه بمظاهرة ثقافية يحرص الجميع على حضورها فى كل عام ٠

وليس سرا ان مدارس الثغر النموذجية سبقت جميع المدارس الى تقديم الوجبة الغذائية التى كانت اجبارية على جميع الطلاب والتى كانت غنية بأصناف الطعام ولقد سألت الاستاذ فدا رحمه الله لم لا تكون هذه الوجبة اختيارية ؟ فقال حتى لا يشعر الطلاب الذين يحتاجون اليها بالفارق بينهم وبين زملائهم الذين يجدون مثلها فى بيوتهم فى كل يوم وليست هذه بأولى ملاحظات الاستاذ فدا بل ومحافظاته على شعور ابنائه من الطلاب وغرس روح المساواة بينهم ، كما كانت مدارس الثغر اول مدرسة فيما اعلم توحد زى الطلاب وهو الزامى فيها ، ولقد كان الاستاذ فدا يعرف قدرات طلابه ويرعاهم الرعاية الكاملة ٠

حدثني مرة انه يعرف طالبين من أنجب الطلاب فى مكة المكرمة وكان يترقب لهما مستقبلا زاهرا اذا اتما دراستهما وكان يرغب ان ينقلهما الى مدارس الثغر توطئة لابتعاثهما الى الخارج ولكن والد الطالبين كان يعارض حتى فى مجرد انتقالهما الى جدة فضلا عن السفر الى امريكا واوربا فمازال به حتى اقنعه وانتقل الطالبان فعلا الى مدارس الثغر بجدة ولقد صحت نبوءة الاستاذ فدا رحمه الله حينما عاد احد الطالبين مهندسا عظيما من الولايات المتحدة ولم يمض طويل وقت حتى اسند اليه منصب رئيسى فى مجال عمله ، بل استطيع ان أقول ان معظم من عرفت من طلاب الثغر هم من أصحاب المكانة المرموقة فمنهم من أكمل الدراسة الجامعية الى اقصى مراحلها واصبحوا من الأساتذة المعروفين فى الجامعات ومنهم من برز فى ميدان الهندسة او فى الأعمال التجارية ، والجميع يذكرون استاذهم محمد فدا بالإكبار والحب ولعلى لا أفشى سرا حينما أقول ان ابنائى وقد قرأوا ما اكتبه عن أعلام القرن الرابع عشر سألونى لماذا لا أكتب عن أستاذنا محمد فدا ؟ ولقد اكبرت فيهم هذا الوفاء لأستاذهم العظيم ولم اكن له ناسيا فهو علم من أعلام هذه البلاد فى مجاله يرحمه الله .

عضو جامعة الملك عبد العزيز

وفى رحاب مدرسة الثغر ولدت فكرة جامعة الملك عبدالعزيز أو على الأصح ولدت الترتيبات الخاصة بها وكان المرحوم محمد فدا فى رحلة فى الخارج حينما ظهرت الفكرة ودعى الناس للاجتماع لانتخاب الهيئة التأسيسية للجامعة وكان المطلوب من الراغبين فى عضوية هذه الهيئة ترشيح أنفسهم لها ولما كان الأستاذ محمد فدا

غائبا عن البلاد فقد ارتأت الهيئة التى تشرف على فكرة الجامعة ان يكون الاستاذ فدا من ضمن المرشحين لهذه العضوية فأعلن المرحوم السيد احمد شطا اسمه كأحد المرشحين الذين لم يستطيعوا ترشيح انفسهم لغيابهم وقد نال فى هذا الانتخاب الكثير من الاصوات لما يتمتع به من سمعة طيبة ومقام ملحوظ ، ولقد اختارت الهيئة التأسيسية للجامعة مدرسة الثغر مقرا لاجتماعاتها الأسبوعية والتى كانت حافلة بالجهود الكبيرة للتأسيس ولم تنقل منها إلا بعد ان تسلمت مبانى الجامعة التى قدمها لها المرحوم الشيخ عبدالله السليمان وتم إصلاح المبنى الاول فيها وهكذا ساهمت مدارس الثغر فى احتضان فكرة الجامعة التى هى مفخرة من مفاخر مدينة جدة ومعلم من اكبر معالم النهضة فى البلاد كما ان الحفل الذى نظم لجمع التبرعات للجامعة اقيم كذلك فى مسرح مدرسة الثغر بجده وحضره جلالة المغفور له الملك فيصل وتدفقت التبرعات السخية للجامعة فى ذلك الحفل الكبير .

هذا وقد تفضل الأخ الأستاذ محمد سعيد طيب بزيارتى قبيل طبع هذا الكتاب وقدم لى قصاصات كان يحتفظ بها مما نشرته الصحف بعد وفاة المرحوم الصديق الأستاذ محمد فدا مدير مدارس الثغر النموذجية وتحدث الى بمعلوماته عن الاستاذ فدا رحمه الله الذى كانت تربطه به زمالة الصداقة والعمل منذ فجر شبابه الباكر ولقد كنت حريصا دائما على اضافة معلومات الإخوان الكرام إلى ما أكتبه فى تراجم أعلام الحجاز وكنت ألجأ إلى اهليهم وأصدقائهم مستمدا ما لديهم من هذه المعلومات التى قد يكون بعضها بعيدا عنى ، وحسنا فعل الأستاذ محمد سعيد طيب لأنه أتاح لى الاطلاع على أشياء جديدة كان من الواجب أن تضاف إلى ما كتبته عنه .

محمد فدا الشاعر

إن أهم ما لفت نظرى فيما قدمه الأستاذ محمد سعيد طيب عن المرحوم الأستاذ محمد فدا أنه كان شاعرا مشرق الديباجة رائع المعانى والكلمات ولقد أورد المرحوم الاستاذ فؤاد شاكر بعض قصائده التى نظمها وألقاها فى مناسبات معينه ذلك أن صاحب السمو الملكى الأمير عبدالله الفيصل زار دار البعثات السعودية فى مصر فاحتفل به الطلاب وكان محمد فدا أحد أعضاء البعثة فرحب بسموه بقصيدة شعرية ثم دعا سموه أعضاء البعثة فى رحلة ترفيهية إلى القناطر الخيريه فألقى محمد فدا كذلك قصيدة فى هذه الرحلة وإننى اورد هنا بعضا من أبيات هذه القصائد التى أوردها المرحوم الأستاذ فؤاد شاكر الذى كان مشاركا فى هذه الحفلات :

يقول فى وصف مرابع القناطر الخيرية :

مشهد الحسن والخفر ☆ فتنة الماء والزهر
معهد الفن والهوى ☆ متعة الروح والبصر
يسعد العاشقون فى ☆ جوها الحالم العطر

ويخاطب الأمير الشاعر قائلا :

شاعر الحسن قف تز ☆ ود لأيامك الأخر
واندفق يافؤاد الشعر ☆ نشوان وابتكر
واقتبس للقصيد من ☆ رائد الفن والشعر

ومنها :

شــاعـــر انـــت عندمـا ☆ اختـرت ذا المربـــع النضر
ومثـــال لفيصـــل ☆ فى طبـــاع له غرر

والسؤال الذى ورد على ذهنى بعد قراءة ما أورده الأستاذ فؤاد شاكر هو اين ذهب شعر الأستاذ فدا ؟ فمن المؤكد ان له قصائد اخرى كثيرة أو قليلة وقد عرف الناس محمد فدا خطيبا مفوها يعتلى المنبر فيرتجل من الكلام أحسنه غير مستعين بورقة مكتوبة أو بإعداد سابق ـ سوى الإعداد الذهنى ـ اذا صح هذا التعبير كما انى علمت أنه كان لايستسيغ الخطابة التـى تعتمـد على الاوراق المكتوبة أما اللحن اللغوى أو النحوى فانه ينفر منه نفورا شديدا بل ويزدريه وكل هذا الذى ذكرته إنما يدل على أصالة الحاسة الادبية وتمكنها وكل هذا يجعل ممارسة الشعر أمرا سهلا لمن توفرت له هذه الصفات ولئن استطاع الأستاذ محمد فدا ان يبعد الانظار عنه كشاعر فلن يستطيع فيما أرى ألا يمارس نظم الشعر أو التدفق به فى بعض المواقف لأن تجربتى فى الشعر انه يملى على الشاعر ما يقول وفى الوقت الذى تتجلى فيه الدوافع التى لا يملك الشاعر لها مقاومة أو دفعا •

ولهذا فان للشاعر محمد فدا أو يجب أن يكون له قصائد قليلة او كثيرة ضمن محفوظاته وإن كان لم يظهرها للناس ولابد ان تكون كريماته وهن المثقفات يعلمن عن هذا الأمر فلا أقل من إظهار هذه الآثار للنشر لتكون الصورة عن محمد فدا الشاعر مجلوة إلى جانب الجوانب الأخرى لهذه الشـخصية الكريمـة والعظيمـة الصفات •

مرضه ووفاته

فى أحد اجتماعاتى بالاستاذ فدا بعد ان توثقت أواصر الصداقة بينى وبينه قال لى : إننى اقرأ ما تكتبه عن رحلاتك فى الخارج وأود لو رافقتك فى بعض هذه الرحلات فاننى أزور انكلترا ولكنى لا اعرف شيئا عن معالمها السياحية فحركتى محدودة بين الطبيب والسفارة ومنازل بعض الأصدقاء الى جانب جولات فى شارع اكسفورد (استريت) الذى انزل فى أحد فنادقه بعد العشاء ، قلت إننى مسافر هذا الصيف ورحلتى فيه تشمل مدنا فى أواسط اوروبا وشمالها وإنه ليسعدنى كثيرا ان تكون رفيقى فى هذه الرحلة وتواعدنا على الاجتماع فى لندن وحضر رحمه الله فى الموعد الذى عينه ونظمنا برنامج الرحلة بحيث نزور الدانمرك والمانيا وسويسرا معا وقبل سفرنا من لندن بثلاثة أيام حضر المرحوم الصديق الشيخ محمود عطار وكان معنا فى لندن وقال لى أبلغ الأستاذ فدا أن الطبيب فلان يريد أن يراه فقد علم منى عرضا أنه هنا فى لندن وهو يصر على ذلك وأبلغت الأستاذ فدا ما سمعت فوجم فألححت عليه أن يذهب طالما أن الأمر يتعلق بصحته فوافق وفى اليوم التالى قال لى وفى صوته رنة حزينة لا تنتظرنى فإنى سأطيل المقام هنا حسب نصحية الطبيب وكنت أعلم عن مرضه فطمأنته وأعطيته أسماء الفنادق التى سأنزل بها وقلت له إننى سأتصل به فيما بعد ومن مدينة ميونيخ بألمانيا اتصلت به وقلت له إننى سأكون موجودا فى جنيف بعد ثلاثة أيام قال وستجدنى هناك وفى فندق مجاور للفندق الذى تنزل فيه وفى الموعد المعين حضر وكان بادى الانشراح منبسط الأسارير وقضينا بضعة أيام فى سويسرا نزور معالمها كما نظمنا رحلة بالسيارة تشمل كثيرا من المدن السويسرية وتخترق بعض المدن الفرنسية وتناولنا الغداء فى مدينة لوزان وخلال جلسة الغداء أدهشنى الأستاذ فدا

بمحفوظاته من الشعر وقد أسمعنى قصائد قديمة من الشعر الغزلى نشرت لى فى الخمسينات فأدركت أن للرجل ذوقا أدبيا إلى جانب شخصيته الحازمة فى التربية والتعليم • ثم اقترب موعد عودتنا الى المملكة فافترقنا على أمل أن نجتمع مرة أخرى فى الصيف القادم وقد صمت فجأة ثم قال يبدو لى أنه ليس فى عمرى بقية لرحلة أخرى اننى اقترب من النهاية قلت اتق الله يارجل فإنك فى خير حال وفى الصيف التالى قال إننى قررت الذهاب هذه المرة إلى أمريكا فإنى لم أزرها من قبل فتمنيت له كل خير وقلت له إن الطب هناك متقدم كثيرا عنه فى انكلترا التى تزورها دائما لهذه الغاية •

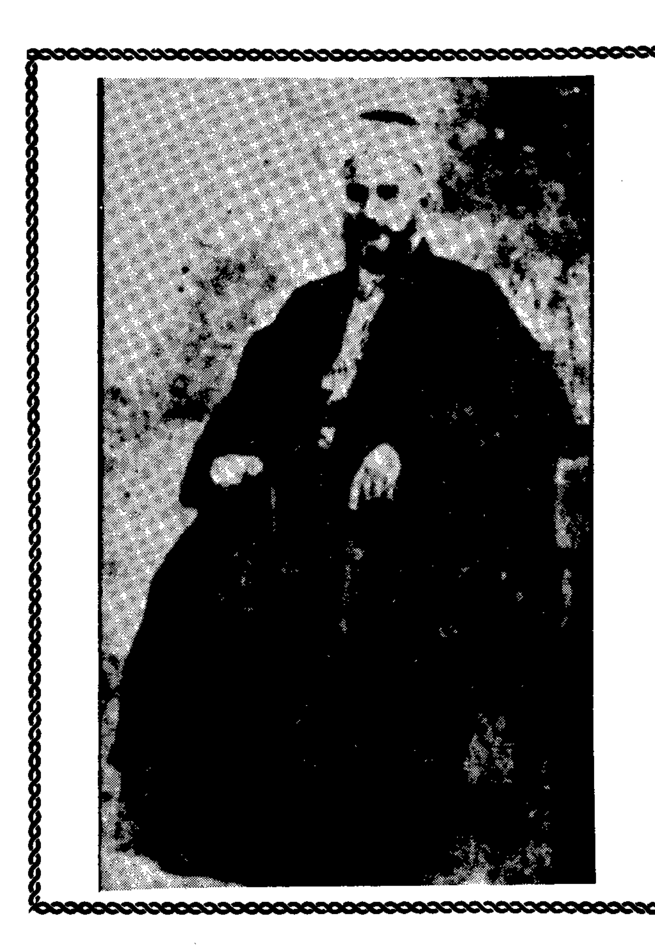
وسافر إلى أمريكا وما لبثنا أن علمنا أنه أدخل المستشفى ثم اشتد عليه المرض فكان هناك يتنفس فى خيمة من الأوكسيجين وأن صحته تتداعى ومع ذلك فقد أصر على أن تعود زوجته وبناته إلى جدة للالتحاق بمدارسهن حيث كان موعد افتتاح المدارس قد أزف وفى مساء الخميس ١٣٨٥/٧/١١ هـ أسلم الروح بمدينة واشنطن فى امريكا ونقل جثمانه بالطائرة حيث دفن بمقبرة المعلاة بمكة المكرمة مساء الثلاثاء ١٣٨٥/٧/١٦ هـ فى مشهد مهيب اشترك فيه أصدقاؤه وطلابه رحمه الله فلقد كان مربيا قديرا وأستاذا عظيما تغمده الله برحماته وأحسن جزاءه فى جنات الخلود •



أعلام الحجاز

في القرن الرابع عشر للهجرة





الشيخ محمد ماجد الكردى

الشيخ محمد ماجد كردي

ولد الشيخ محمد ماجد بن صالح كردى بمكة المكرمة عام ١٢٩٤ للهجرة وتلقى العلم على أيدى علماء مكة المكرمة فى عصره وحفظ القرآن الكريم وكان شغوفا بالعلم والدراسة منذ نعومة أظفاره كما كان شغوفاً بالقراءة فكان يقتنى الكتب المطبوعة والمخطوطة ومما لاشك فيه أن رغبته الصادقة فى التزود من المعرفة هى التى هيأته لجمع هذه المجموعة العظمة من الكتب مع ما وهبه الله من ثراء يسرَّ له شراء الكتب المخطوطة والمطبوعة وضمها إلى مكتبته العظيمة قالوا : وكانت مكتبة الشيخ ماجد كردى فى مكة المكرمة تعتبر أكبر وأغنى مكتبة خاصة بما تحويه من مجموعات قيِّمة فى التفاسير والأحاديث النبوية وكتب الفقه واللغة ودواوين الشعر وكتب التراث وكانت تمتاز بالمخطوطات النفيسة النادرة التى تضمها هذه المكتبة القيِّمة ، وكان الشيخ ماجد كردى على اتصال بأصحاب المكتبات وعشاق الكتب فى جميع أنحاء العالم الإسلامى فكان يستورد كل جديد ونادر من الكتب المخطوطة والمطبوعة ويضمها إلى مكتبته الفريدة القيمة والتى أطلق عليها اسم المكتبة الماجدية .

المطبعة الماجدية

وكان الشيخ ماجد كردى من أوائل الناس الذين فكروا فى تأسيس المطابع فى الحجاز وفى مكة بصورة خاصة وله بحث قيم عن تاريخ المطابع نشر بجريدة أم القرى وكتب عنه كتابة مطولة الأستاذ عثمان حافظ فى كتابه نشأة الصحافة وتطورها فى المملكة العربية السعودية ٠

نعم لقد رأى الشيخ ماجد كردى بما وهبه الله من بصيرة نافذة أن نشر العلم يجب أن يستند إلى وسائل تتيح تعميمه وتيسيره للناس ولما كان الكتاب هو وسيلة نشر العلم وكانت الكتب فى الماضى تعتمد على نسخ النساخ أو نسخ طلبة العلم أنفسهم فان هذه الوسيلة البطيئة لم تعد قادرة على إشباع نهمة الطلاب الذين يتكاثرون وخاصة مع انتشار المدارس وتكاثر عدد الطلاب فقام أولاً بشراء مطبعة شمس الحقيقة الموجودة بمكة والمؤسسة عام ١٣٢٧ هـ ولكنه وجد أن هذه المطبعة قديمة ولا تقوم بإنجاز ما كان يطمح إليه ، فاستورد المطبعة الماجدية إلى مكة المكرمة ، حدثنى ابنه الشيخ عادل ماجد كردى عضو مجلس الشورى قال حينما قام الوالد باستيراد المطبعة الماجدية واجه صعوبات جمة فى نقلها إلى مكة المكرمة فإن الأجهزة التى تتألف منها المطبعة ثقيلة الحجم ولم تكن هناك السيارات ولا الرافعات فإن عصر السيارة لم يكن قد حان فى الحجاز ولم تكن هناك وسيلة للنقل سوى الجمال والخيل والبغال فاختار الوالد أن تكون البغال هى وسيلة النقل إلى مكة لما تتمتع به من قوة على حمل الأثقال ، ومع ذلك فإن حجم المطبعة كان أثقل من أن تتحمله البغال فى طريق صحراوى رملى غير معبد ، فكانت البغال تنوء بحملها الثقيل وبعضها يضعف عن مواصلة الحمل والبعض الآخر ينفق

تحت وطأة هذه الحمولة الثقيلة فتستبدل البغال بغيرها وهكذا تم النقل على مراحل وفى عناء شديد ولولا رغبة الوالد الشديدة فى إنشاء المطبعة بمكة المكرمة لكانت هذه الصعوبات كافية فى إثنائه عما يريد ، ولكن همم الرجال لا تقف أمام العقبات وإنما تتخطاها وتذللها وهكذا كان الشيخ ماجد كردى بهمته العظيمة وبحبه الكبير لنشر العلم مثالا فريدا فى قوة الارادة وفى البذل لبلوغ الهدف الذى يريد ، ولم تقف العقبات عند وصول المطابع الى مكة المكرمة وتركيبها فكان لابد من توافر الأيدى الفنية لتشغيل هذه المطابع وكان الطبع فى ذلك الوقت يعتمد على صف الحروف التى تسبك سباكة مستقلة ، ولم يكن قد عرف (اليونوتيب) وما إليه من أجهزة الصف الحديثة فكان جمع الحروف وتوضيبها يتم باليد ، تصنف الحروف المسبوكة سابقا فى ادراج معينة فى المطبعة ويجمعها عمال الصف فى سطور بطريقة معلومة لعدم تداخل الحروف فى بعضها فاستقدم الشيخ ماجد عمالا لهذه الغاية وأمر أولاده أن يتعلموا كيف يقومون بصفٍ الحروف وبادارة آلات المطابع كلها وكل ما يتعلق بها موفرا لمطبعته الاكتفاء الذاتى حتى لاتتعطل عن العمل ، قال الشيخ عادل فكنا نعمل فى المطبعة بأيدينا عمال صف وطبع ولم يأنف ماجد كردى أن يكون اولاده عمال صف وطبع وهو من هو فى ثرائه ومكانته الاجتماعية الكبيرة بل رأى أن هذا العمل هو نوع من حسن التربية للأولاد الذين أمرهم من قبل بحفظ القرآن الكريم على عادة الكثيرين من أهل مكة المكرمة فى ذلك الزمان وهكذا أنشأ الشيخ ماجد كردى المطبعة الماجدية .

وهكذا كنا فى مقاعد الدراسة فى ذلك الزمان نجد بين أيدينا كتب الفقه والحدث والتاريخ والتجويد والنحو وما إليها وقد كتب على غلافها (طبع بالمطبعة الماجدية بمكة المكرمة) وهذا هو المجد الذى حققه ماجد كردى رحمه الله

إذ يسرَّ لمدارس الحجاز حاجتها من الكتب المدرسية فلا تتعطل الدراسة انتظارا لوصول الكتب من الخارج وإنما هى مطبوعة فى مكة المكرمة وموجودة بين أيدى المدرسين والطلاب فى الموعد الصحيح ولم تقتصر المطبعة الماجدية على طبع الكتب المدرسية وانما كانت تقوم كذلك بطبع المطبوعات التجارية والكتب الأخرى ومن أهم ما طبعته كتاب تاريخ مكة للأزرقى فى مجلدين وهو من أقدم وأهم كتب التراث قام بتحقيقه الأستاذ رشدى ملحس رحمه الله وكان يعمل بجريدة أم القرى فى مكة المكرمة فى أواخر الأربعينات ، وهكذا أنشأ ماجد كردى رحمه الله بمكتبته العظيمة ومطبعته منارة لنشر العلم فى بلد الله الحرام وبذل فى سبيل ذلك من المال والجهد ما جعله علما من الأعلام ·

بيت الكردي في القرارة

ولن يتم الحديث عن الشيخ ماجد كردى إلا إذا المحنا بشىء عن أخلاقه الشخصية فلقد كان الرجل طالب علم محبا للعلماء وكان بيته فى مكة المكرمة بالقرارة مفتوحا للناس وخاصة للعلماء ورجال الدين والمقرئين من حجاج بيت الله الحرام وكان الرجل بحكم صلته العلمية بالعلماء محط الأنظار فكان يستضيف العلماء ورجال الدين وأعلام الأدب الذين يصلون الى مكة المكرمة من جميع أنحاء العالم الإسلامى فيجدون فى داره حسن الضيافة وطيب المقام ، وكانت هذه الدار علاوة على ما توفره لمن تستضيفهم تعتبر منتدى علميا وأدبيا فى موسم الحج خاصة ، فتعقد فيها الندوات يستمع الناس فيها إلى قراءة القرآن الكريم من مقرئين أصواتهم حسنة ، وإلى تفسير للآيات من عالم بالتفسير وإلى أبحاث دينية وعلمية يسهم فيها أصحاب الاختصاص من الحاضرين كما يلقى فيها

الشعر ويتبارى فيها الأدباء وأصحاب الفكر فهى منتدى حافل بكل طريف ومفيد وكان الشيخ ماجد يحرص على أن يوفر للقادمين إلى هذا النادى ما يحببه اليهم من حسن الضيافة وكرمها وجميل الاستقبال والترحيب ٠

دَار الكُردِي بِمُنىٰ

وللتاريخ فإن دار الشيخ ماجد كردى بمنى حتى بعد وفاته رحمه الله كانت تؤدى نفس الغاية ولكن على نطاق اكبر فكان يعقد فيها فى ليالى التشريق هذه الندوات ومن أشهرها الندوة الخطابية التى يقيمها شباب مكة المكرمة وأدباؤها فى كل عام للوافدين من حجاج بيت الله الحرام وكان كل من قدم من أعلام الرجال للحج يحضر هذه الندوة وقد شهدت الدكتور محمد حسين هيكل مؤلف الكتب الاسلامية الشهيرة فى منزل الوحى وغيره يحضرها ويخطب فيها كما شهدت زعيم فلسطين الحاج محمد أمين الحسينى رحمه الله حضر فيها ومعه زعيم لبنان المرحوم رياض الصلح وقد طلب الحاضرون منهما الخطابة فألقى الحاج محمد أمين الحسينى كلمة فيها كما كانت للمرشد العالم للإخوان المسلمين الشيخ حسن البنا رحمه الله فيها مواقف خطابية شهيرة كل عام ، ولقد كانت الدار على رحبها تضيق بالمئات من الناس الذين يؤمونها فى تلك الليلة المشهودة وإنى لأذكر أن هناك مَنَصَّةً فى رحبة الدار ناءت بما تحمله من الناس ، وكانت من الخشب فتكسرت ولم تحدث أى أضرار وكان الشيخ حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة حاضراً فى تلك الليلة فقام وطلب التبرع لإصلاح الدار ولكن سارع الشيخ كامل ماجد كردى أكبر أبناء المرحوم ماجد كردى إلى القول بأن أصحاب الدار يشكرون له وللحاضرين هذا الشعور ولكنهم بحمد الله قادرون على

إصلاح ما تضرر ويعتذرون عن قبول التبرع ، قال هذا الدكتور محمد على الشواف رحمه الله بلسان الشيخ كامل كردى وإخوانه وهكذا فإن حسنات الشيخ ماجد كردى امتدت الى مابعد وفاته فقد سار أبناؤه ما أمكنهم فى الطريق الذى رسمه لهم والدهم العظيم ٠

مصير المطبعة

هذا وقد أدركت المطبعة الماجدية يديرها الشيخ طاهر كردى ابن الشيخ ماجد كردى رحمه الله فى مكة المكرمة فى الخمسينات وعهدى بها أنها استمرت بعد ذلك ولكنى لا أدرى ماذا تم فيها بعد ذلك وبعد التطور الكبير الذى أدخل على المطابع وانشغال أبناء الشيخ ماجد بالعمل الحكومى ووفاة البعض الآخر فقد كان الشيخ صادق ماجد كردى مديرا لدار البعثات السعودية بالاسكندرية لفترة طويلة كما ان الشيخ عادل ماجد كردى هو عضو مجلس الشورى فى الوقت الحاضر ٠

هذا بالنسبة للمطبعة أما المكتبة فكما قدمنا انها كانت تضم نوادر المخطوطات الى جانب ما تحويه من الكتب المطبوعة القيمة فى شتى العلوم والفنون ولعل الشيخ عادل كردى يتحدث الينا عما آل إليه أمر هذه المكتبة الفريدة فى زمانها فإذا كانت المطابع قد فقدت قيمتها بما جدَّ من فنون الطباعة الحديثة وآلاتها فإن الكتب والمخطوط منها لا تفقد قيمتها وإنما تزيد على الأيام(١)

---

(١) لقد تم نقل هذه المكتبة الى دار الكتب التى انشأها المرحوم الشيخ عباس قطان فى موقع الدار التى ولد فيها النبى صلى الله عليه وسلم راجع ترجمة الشيخ عباس قطان ٠٠

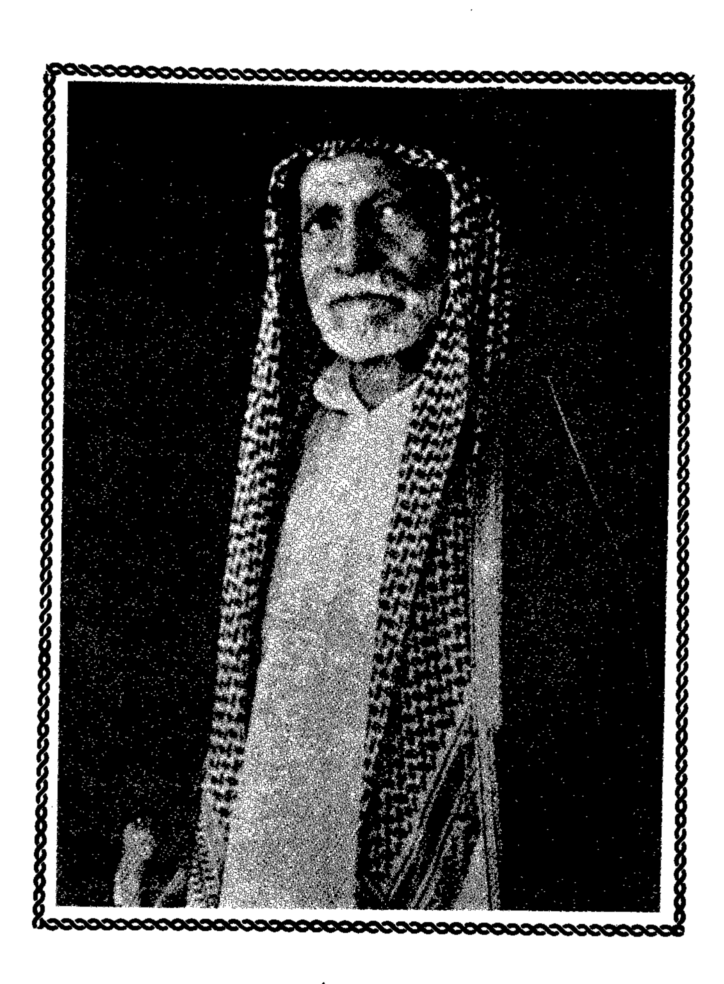
وَظائِفُ الشّيخ مَاجدكردي

وفى أوائل العهد السعودى عين الشيخ ماجد كردى مديرا للمعارف تقديرا لعلمه وفضله ثم أسندت إليه مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة وفى عهد إدارته للمعارف تم إرسال أول بعثة علمية من أبناء المملكة للدراسة فى معاهد مصر ومدارسها وكان هذا فى الأربعينات من هذا القرن •

وفـاة الشيخ ماجِدكردي

الحجاج على صعيد عرفات فى يوم التاسع من ذى الحجة ومخيم الشيخ ماجد كردى فى عرفات يغص بالوافدين من ضيوف الرحمن الذين يستضيفهم كل عام والجو عاطر بالتلبية والناس يضجون بالدعاء والكل مبتهـل إلى الله سعيد فى ضيافه الرحمن والشيخ ماجد كردى فى لباس الإحرام الأبيض يتفقد راحة ضيوفه من الحجاج وهو فى أكمل صحة ولكن الله تعالى أراد له حسن الختام فاختاره الى جواره فى هذا اليوم العظيم وفى ذلك المشهد العظيم وهو فى لباس الإحرام فدفن حاجا محرما ملبيا فى عرفات وكان هذا فى التاسع من ذى الحجة **١٣٤٩** هـ وهو فى الخامسة والخمسين من العمر فكانت لوفاته رنة حزن وأسى فى جميع أنحاء البلاد ولدى عارفى فضله فى جميع أنحاء العالم الإسلامى ، تغمده الله برحمته الواسعة واحسن جزاءه فى دار الخلود فلقد كان واحدا من أفذاذ الرجال ••





محمد الطويل

محمد الطويل

قصير القامة ، معتدل الجسم ، اشقر الوجه واللحية ، أزرق العينين ، أقنى الانف ، أصلع الرأس ، أنيق الملبس ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية ، ثم تحول عنها إلى العباءة والعقال ، ذو سمت وهيبه ، وقد استحوذ بكرمه وهمته على قلوب الناس فكان زعيما محبوبا ، كما نال ثقة الحكام فكان رجل الدولة فى العهد الهاشمى ، وأحد كبار الرجال الذين تسند اليهم المهام فى عهد جلالة المغفور له الملك عبدالعزيز .

لم أستطع الحصول على تحديد دقيق لولادة المرحوم الشيخ محمد الطويل وكل ما نستطيع أن نذكره أنه ولد فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى وكان فى مطلع شبابه موظفا بدائرة الجمارك فى جدة فى العهد العثمانى ، وحينما قام المغفور له الملك حسين بن على بالثورة على الحكومة العثمانية عام ١٣٣٤ هـ كان الشيخ محمد الطويل من أبرز الرجال الذين نالوا ثقته فكان ناظرا لعموم الرسوم فى جدة ، وقد اطلق عليه لقب الناظر ـ نسبة إلى هذا المنصب الرفيع إذ ذاك ، وكانت موارد الدولة الهاشمية فى ذلك الوقت تعتمد على الرسوم الجمركية وكان جمرك جدة الذى يتولى رئاسته الشيخ محمد الطويل هو أهم موارد الدولة لأن جدة

كانت ولاتزال أكبر موانىء الحجاز ، وكان مقر الحكومة فى مكة ، ولكن الموارد كلها تأتى من جدة سواء من الرسوم الجمركية التى تمثل القسم الأعظم من هذه الموارد ، أو من الضرائب التى كانت تجبى على وسائل النقل التى تتمثل فى الجمال سواء ما كان منها خاصا بنقل البضائع أو الحجاج ، وكان الشيخ محمد الطويل أشبه ما يكون بوزير كبير فى عهد الدولة الهاشمية فإلى جانب رئاسته للواردات المالية الضخمة ، كان يتولى تموين الحكومة بما تحتاجه من أرزاق ومستلزمات وكان الشيخ محمد الطويل بحكم منصبه الكبير وجاهه العظيم مقصوداً من الناس ، وكان الرجل كريما عالى الهمة شهما ذا نجدة ومروءة فكان بيته مفتوحا للناس ويده مبسوطة لهم ورفده موصولا لكل طالب ، فأحبه الناس وتعلقوا به ، والتفوا حوله ، ولم يكن يبذل للناس من ماله فحسب وإنما كان يبذل لهم من جاهه كذلك ، حدثنى من أثق بروايته أن الشيخ محمد الطويل كان يتوجه الى مكة لمقابلة الشريف حسين بن على بين وقت وآخر حسب متطلبات منصبه ، وكان أهل مكة يترقبون مقدمه حيث ينزل فى بيت باناجه ـ فى باب على ـ هذا البيت هدم وأدخل مع غيره فى التوسعة الجديدة للمسجد الحرام فإذا قدم وفدوا عليه بحاجاتهم وكان أكثر هذه الحاجات طلب وساطته لدى الشريف للعفو عن الغرامات وإطلاق المساجين وكان الشريف الحسين رحمه الله مشهورا بصرامته وشدته فى هذه الأحكام ، وفى إحدى زياراته لمكة تجمع لديه حصيلة من هذه الوساطات فجمع اوراقها وكتب معها رقعة موجهة للشريف قال فيها ما معناه ـ إن ما حبانى به جلالتكم من عطفه وما شرفنى به من خدمته جعلنى مقصدا للناس ومحل حسن ظنهم وإنى أقدم لجلالتكم ما قدم به على الناس من مطالب فان رأيتم أن تكرمونى بالعفو عنهم فليس هو بكثير على جلالتكم قال الراوى وقد استجاب الشريف لهذا الطلب فأطلق المسجونين وعفى عن الغارمين « وفى عام

١٣٤٢ هـ هاجر الكثيرون من أهل مكة إلى جدة بعد أن دخل الجيش السعودى مدينة الطائف ، ولم تكن هذه الهجرة منظمة فكان الناس يفدون بعائلاتهم وينزلون فى بيوت من يعرفون من أهالى جدة ولكن البعض لم يكونوا يعرفون أحدا ، كما أن منهم من كانت تنقصه وسائل النقل فكان البعض منهم يفد ماشيا أو يستعمل وسائل غير مريحة وما أن علم الشيخ محمد الطويل بذلك حتى استنفر الرجال لاستقبال القادمين من مكة فى ضاحية الرغامة وزود المكان بالماء والدواب والأغطية ثم تولى أسكان القادمين وإنزالهم فى بيوت الأهالى الذين كانوا يتسارعون إلى تلبية نداء النجدة والمروءة »

وقبيل نهاية الحرب السعودية الهاشمية هاجر الشيخ محمد الطويل بعائلته إلى مدينة اسمرا وقد أوشكت الحرب على النهاية وبدا أن البلاد كلها ستدين بولائها لجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز وكان الطويل بوصفه من أكبر رجالات العهد السابق يخشى أن يكون لهذا الأمر تأثير عليه فى العهد الجديد فبقى خارج البلاد حتى أذن المغفور له الملك عبدالعزيز بالعودة إلى وطنه فعاد إلى مدينة جدة مكرما آمنا على نفسه وماله[١] وكانت عودته مقترنة بدخول السيارات إلى الحجاز فقد كان الشريف حسين يحرم دخولها واستعمالها ويصر على استعمال الجمل كوسيلة للنقل سواء للحجاج أو البضائع واجتمع لفيف من تجار جدة وكلهم من أصدقاء المرحوم الشيخ محمد الطويل وألفوا شركة للسيارات سميت (شركة القناعة للسيارات) وعينوا الشيخ محمد الطويل رئيسا لها وخصص له مرتب شهرى مقداره ستون جنيها ذهبا فى الشهر ، وكان هذا المرتب كبيرا جدا فى ذلك الحين ،

---

(١) لقد علمت فيما بعد ان الشيخ محمد الطويل كان ممن بايعوا جلالة الملك عبدالعزيز بعد تسليم جدة ويبدو ان الشيخ محمد الطويل سافر مرة اخرى الى مصر بعد ان دانت البلاد لجلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله انظر ترجمة الشيخ محمد صالح ابوزناده .

وكان معروفا أن الغرض من ذلك هو تكريم الشيخ محمد الطويل وتأمين كفايته من المال حتى لاتتغير عليه الأمور والأحوال ، ثم استقدمه جلالة الملك عبدالعزيز إلى الرياض وأبقاه فترة ثم ما لبث أن أذن له بالعودة الى جدة مع موكب جلالته واستقبله الناس استقبالا عظيما وعاد مرة أخرى إلى عمله فى رئاسة شركة القناعة للسيارات ، وفى شركة القناعة للسيارات اتصلت اسبابى باسباب المرحوم الشيخ محمد الطويل فقد كنت كاتبا بادارة حسابات الشركة وكان هو رئيسها وقد أتاح لى ذلك الاطلاع على جانب من كرم الرجل إذ كانت ترد الى الرقع بخطه الجميل يمنح بها أصحاب الحاجات من مرتبه حتى أنه أصبح بعد فترة من الزمن مدينا للشركة بمبلغ كبير من المال .

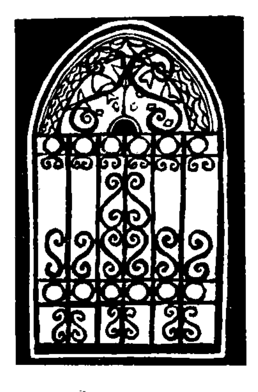
ولم تطل الأيام بالشيخ محمد الطويل فى شركة القناعة للسيارات فقد اختاره جلالة الملك عبدالعزيز لإدارة جمارك وماليات الإحساء والمنطقة الشرقية ، وكان الملك عبدالعزيز رحمه الله ذا فراسة فى الرجال وهكذا قام الشيخ محمد الطويل بتأسيس الجمارك ووضع الأسس لتنظيم الأموال وكان يفد كل عام إلى جدة لزيارة اهله فيفد الناس للسلام عليه وتمتلئ داره بالمهنئين والزائرين طيلة بقائه حتى يعود ، ومضت سنوات ثم اختاره جلالة الملك عبدالعزيز ليكون مستشارا له ضمن مجلس المستشارين الذى كان يسمى مجلس الربع ولكن الشيخ محمد الطويل ما لبث أن استأذن من جلالة الملك عبدالعزيز طالبا السماح له بتأسيس شركة نجد للسيارات وحصل على امتياز للشركة بالنقل بين الحجاز ونجد وقام فعلا بتأسيس الشركة المذكورة ولكنها ولدت ضعيفة فلم يكتب لها البقاء إذ كان مساهموها من أصحاب السيارات الذين لم ينضموا إلى الشركة العربية للسيارات حين توحيدها ولم تتوفر لها الإمكانيات المالية والادارية التى تضمن

حسن سيرها فتمت تصفيتها ، وعاد الشيخ محمد الطويل إلى جدة وقد خلا من كل عمل حكومى أو أهلى ، ولكنه أشغل نفسه بخدمة الناس ، فقد فتح بيته لاستقبال أصحاب الحاجات وخاصة من الأرامل الضعيفات فكان بيته يؤوى الكثيرات منهن ، وكان يستقل سيارته كل صباح إلى مختلف الدوائر الحكومية ليقضى حوائج الناس ، فكان هو لسان من لايستطيعون إيصال أصواتهم إلى رؤساء الدوائر من عائلة فقدت عائلها وتعثرت أوراق المتوفى بين أدراج الموظفين أو بين براثن الروتين وكثيرا ما سعى إلى إطلاق السجين وإغاثة الملهوف ، أما الأرامل الضعيفات فقد نصب من نفسه مدافعا عنهن وكثيرا ما تحول بيته الى محكمة صغيرة يستعين فيها بمن يختار من الناس فيحل الكثير من المشكلات العائلية المستعصية بإصلاح ذات البين أو الفراق بإحسان ، وكان يستخدم ماله الخاص فى هذا السبيل ، حتى أصبحت هذه الشؤون مشغلة له طيلة النهار وصدرا من الليل ، وحتى أصبح من المعتاد أن يرى ضحى كل يوم وهو يؤم الدوائر الحكومية فينجز أمور الناس ويقضى حوائجهم حيث كان يقابل دائما بالترحيب والاكبار .

ونشب المرض العضال فى دم الرجل الكبير فتوجه للاستشفاء بمدينة فينا بالنمسا وصاحبه إلى هناك بعض محبيه وأدركته المنيه غريبا عن وطنه فقد صرعه الداء ونعته الصحافة فتدفق الناس على منزله يعزون ابنه الاستاذ يوسف الطويل وبنتيه السيدتين نور وانجى الطويل وطال انتظار الناس لوصول الجثمان فكانوا يترددون يوميا للاستفسار عن موعد وصوله مما اضطر ابنه الاستاذ يوسف الطويل إلى نشر مايرده من أنباء فى الصحف يوميا وأخيرا وصل الجثمان وكان أهل جدة جميعا يشتركون فى تشييع الرجل العظيم مما جعلهم يصلون عليه فى الخلاء أمام

الثكنة العسكرية فى جدة قريبا من مقبرة حواء التى استقر بها جثمانه بعد طول سعى فى الخير ، وبعد عمل دائب فى خدمة الناس وكانت وفاته فى ليلة الخميس ٢٧ ربيع أول سنة ١٣٨١ هـ بالنمسا ودفن بمدينة جدة بتاريخ ٤ ربيع ثانى سنة ١٣٨١ هـ تغمده الله برحمته الواسعه وأحسن ثوابه فى جنات الخلود ٠






أعلام الحجاز
في القرن الرابع عشر للهجرة



الشيخ عبدالرؤوف الصبان

الشيخ عبد الرؤوف الصبان

قصير القامة ، ممتلىء الجسم ، حنطى اللون ، له عينان صغيرتان ، يضع عليهما نظارة طبية ، كان يرتدى الجبة والعمامة الحجازية فى العهد الهاشمى ، ثم أصبح يرتدى العباءة العربية والعقال بعد عودته إلى المملكة مع من عاد إليها من الحجازيين الذين غادروا البلاد فى أعقاب الحرب السعودية الهاشمية .

ولد الشيخ عبدالرؤوف الصبان بمكة المكرمة عام ١٣١٦ هجرية وهو من أسرة الصبان التى كانت طائلة الثراء فى ذلك الوقت وكانت تتخصص فى تجارة الجلود فتجمعها من جميع أنحاء البلاد وتصدرها إلى عدن بعد دبغها دباغة ابتدائية وكان فريق من آل الصبان يسكنون القاهرة وكانوا يعملون فى أعمال المواصلات بالعربات التى تقودها الخيول قبل دخول الترام وانتشار السيارات وكانت معروفة بخطوط الصبان ثم توقفت بعد دخول الوسائل الحديثة فى النقل إلى القاهرة .

تلقى الشيخ عبدالرؤوف الصبان تعليمه الابتدائى فى مكة المكرمة ثم ابتعثته أسرته الى مصر فدرس بها وتخرج من دار العلوم وهو يعتبر من أوائل المتعلمين الذين تلقوا دراسة منتظمة خارج البلاد فى ذلك العهد ، وحينما عاد إلى الحجاز كان ثائرا على ما تحفل به حياة المجتمع اذ ذاك من الخرافات نتيجة التأخر

والجمود ، وقد أخبرنى أنه كان من أصدقاء الشيخ محمد حسين نصيف وكان يقضى الأماسى فى مجلسه بدار نصيف وكان هو والشيخ محمد حسين نصيف يتعرضون للمواكب الخاصة بمشايخ الطرق ومريديهم فيسفهون آراءهم ويحصبونهم بالحجارة وكان هذا فى أواخر العهد العثمانى ثم فى العهد الهاشمى لأن العهد السعودى قضى على كل هذه البدع والخرافات من اليوم الأول لتسلمه زمام الأمور وإنى لأذكر انه كان فى محلة المظلوم قرب سوق الجامع زاوية السيد البدوى وكانت تعلق فيها مسبحة من الخشب كبيرة ، حجم حباتها مثل حجم البيضة وكان يدعى أنها المسبحة التي كان يستعملها السيد البدوى للذكر ، كما كان هناك جبة خضراء وعمامة عظيمة وغيرها وكنت وأنا صغير السن أتسلق الشباك لأرى المسبحة والعمامة وكان عقلى الصغير لايسلم بصحة ما أرى لأن المبالغة فيها والتهويل واضحان بجلاء .

كما كان فى حارة المظلوم زاوية أخرى للطريقة القادرية ، وفى حارة الشام زاوية للطريقة الجيلانية وفى العيدروس قريبا من مستشفى جدة الحكومى العام زاوية العيدروس ، وكانت الزوايا كثيرة والطرق عديدة وكانت لهم احتفالات كثيرة ومتعددة فهم يحتفلون مثلا بالمواسم التى اعتاد الناس الاحتفال بها فى ذلك الزمان مثل ليلة النصف من شعبان وليلة القدر وغيرها وغيرها علاوة على أيام خاصة بالطرق نفسها وكانت لهذه الاحتفالات شنة ورنة تذبح فيها الذبائح وتمد فيها موائد الطعام الكثيرة وتوزع فيها الحلوى ويمارس فيها شيخ الطريقة وأتباعه أسلوب طريقتهم وتتخللها الأغانى التى ينشدها المنشدون وتسير فيها مواكب كبيرة يتقدمها شيخ الطريقة وأتباعه ويشترك فيها الدهماء والأطفال وهم يغنون ما يعتبرونه ذكرا وفى مثل هذه التجمعات قد يحدث من المساوىء ما يبرأ منه الذكر

الصحيح وما لا يرضاه الخلق القويم وهى فى جملتها من البدع السيئة التى نحمد الله تعالى على تخلص البلاد منها فهى منافية للدين ومضيعة للمال والوقت وملهية للناس عن الصالح من الأعمال .

الهجرة من الحجاز

نعود بعد هذا الاستطراد عن الطرق ومشايخها وأساليبها إلى الشيخ عبدالرؤوف الصبان فنقول انه كان من اصدقاء الشيخ محمد نصيف وجلسائه فهو سلفى بحكم ثقافته المستنيرة وصفاء عقيدته كما كان أحد الأعضاء البارزين فى الحزب الوطنى الذى طالب الحسين بالتنازل عن العرش والذى مارس نشاطه فى الفترة الأولى لولاية الشريف على بن الحسين عرش الحجاز ، ولكنه لأمر ما انضم إلى قافلة الرجال الذين هاجروا من الحجاز فى نهاية العهد الهاشمى ، وقد علمت منه أنه سافر إلى مصر وإلى العراق ، وكان فى العراق يعمل سكرتيرا خاصا للملك على بن الحسين وقد روى لى رحمه الله قصة طريفة عن الملك على وابنه الامير عبدالاله ، قال كان الامير عبدالاله يدرس فى انجلترا ورغب فى العودة الى العراق فاستأذن أباه فلم يأذن له فلم يكن منه إلا أنه استقل الطائرة وعاد إلى بغداد ولم يعجب الملك على تصرف ابنه الشاب فأوعز الى الشيخ عبدالرؤوف ان يلومه ويعاتبه قال الشيخ عبدالرؤوف للملك على ، إننى سأعاتبه على مخالفة أوامرك له ، ولكننى لا أملك الا ان اقدر فيه اصراره على تحقيق ما يريد وهكذا كان ، كما علمت من الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله أنه كان صديقا للمرحوم الشيخ ابراهيم بن معمر وكان ابن معمر وعبدالرؤوف يقيمان فى مصر بغرض الدعاية الإعلامية وكان الشيخ ابراهيم بن معمر يعمل فى خدمة المرحوم

الملك عبدالعزيز بينما كان الشيخ عبدالرؤوف فى خدمة الملك على بن الحسين ، قال لى الشيخ عبدالرؤوف كنا صديقين إلا فيما يتعلق بالعمل السياسى فقد كنا ضدين ولم يكن الواحد منا يسمح للآخر بالاطلاع على عمل الثانى بحال من الأحوال رحمهما الله جميعا •

العودة إلى الوطن

وحينما اصدر الملك عبدالعزيز رحمه الله فى عام ١٣٥٤ هـ نداءه إلى المهاجرين بالعودة إلى بلادهم والعمل لإنهاضها كان الشيخ عبدالرؤوف من أوائل الرجال الذين استجابوا لهذا النداء وعاد إلى المملكة وكتب فى جريدة صوت الحجاز يعلن استجابته لهذا النداء ويقدم ولاءه وإخلاصه وقد عينه جلالة الملك عبدالعزيز رحمه الله عضوا فى مجلس الشورى فكان من أبرز الأعضاء العاملين فى المجلس وبعد وفاة المرحوم السيد عبدالوهاب نائب الحرم ـ والد الأستاذ أحمد عبدالوهاب رئيس التشريفات الملكية عين محله مديرا عاما للأوقاف بمكة المكرمة ثم عين أمينا للعاصمة وبعد عودته إلى الحجاز توثقت صلته بصاحب السمو الملكى الامير فيصل النائب العام ـ جلالة الملك فيصل فيما بعد ـ ومما أذكره عن هذه الصلة إننى حينما أصدرت قصة البعث وهى أول مؤلف لى فى الستينات أهديت الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله نسخة من هذه القصة وفوجئت بعد أيام بخطاب كريم من صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبدالعزيز يقول فيه إننى اطلعت على قصتكم ـ البعث ـ وإننى أتمنى لكم النجاح فى أعمالكم الأدبية ، ولم أكن قد قدمت الكتاب لسموه فلقد كنت أخشى أن يكون فيه مالا يعجب بعض الناس لأن القصة كانت وصفا للحاضر بما فيه من نقص وتطلعا إلى

المستقبل المرجو بما فيه من خير ، وذهبت إلى دار المرحوم الشيخ محمد سرور فوجدت الشيخ عبدالرؤوف هناك وأطلعته على الكتاب وقلت إننى لا أعرف كيف وصل الكتاب إلى سموه وإننى محرج لأننى لم أقدمه لسموه شخصيا أو أبعثه إليه ولكنى سعيد بأن الكتاب قد مرَّ بسلام فضحك وقال إننى بعد أن قرأت القصة قدمتها لسموه وألححت عليه أن يقرأها وإننى لسعيد أن يكون سموه قد فعل وكتب إليك مهنئا بها ، وإن هذه اللفتات الكريمة من هؤلاء الرجال انما تدل على علو نفس ، وأصالة طبع وكرم أخلاق ٠

ولقد كان الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله دائم التشجيع لى فى أعمالى الأدبية وأذكر أن المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان أقام حفلة فى موسم الحج فى الستينات لمجموعة كبيرة من كبار الحجاج المصريين وعلمنا أنه ستلقى فيها بعض الخطب فطلب منى رحمه الله أن أعد شيئا لإلقائه فى الحفل ردا على ما سيلقى من كلمات فنظمت على عجل قصيدة كان مطلعها ٠

هذا الحجاز وهذه مصر ☆ جمعا فكان الماء والزهر

ولا أذكر الآن بقية القصيدة فقد فقدت ضمن ما فقد من شعرى وألقيتها بعد أن انتهى الضيوف من إلقاء كلماتهم وكان الشيخ عبدالرؤوف حاضرا فكان أول المهنئين لى وقال لقد سددت خانة كان لابد وأن تسد فلم يكن من اللائق أن يخطب الخطباء فلا يجدون من يرد التحية بمثلها من قبلنا ٠ وحينما رجعت فى اليوم التالى إلى القصيدة وجدت فيها خطأ لغويا لم أتنبه إليه حينما نظمتها بتلك الصورة المستعجلة ، وقلت للشيخ عبدالرؤوف إن القصيدة التى هنأتنى عليها كان فيها خطأ لا أغفره لنفسى قال لقد أدركت هذا الخطأ وأنت تلقيها ولكنى أؤكد لك أن أحدا لم يلتفت إليه وأضاف إن مثل هذه الأخطاء تغفر فى هذه

المناسبات على شرط تدارك الخطأ وتصحيحه ، وهكذا كان الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله رجلا واسع الأفق نيرّ الذهن وكنت أعجب به كرجل فكر تمرس بأمور الحياة وخاض لججها محتفظا بقوة شخصيته وصفاء ذهنه وكان هو يتنبأ لى بمستقبل طيب ، وأذكر اننى حينما بدأت عملى التجارى لم يكن راضيا من تحولى إلى التجارة وقال لى إننى أعرف إنك ستحقق نجاحا عظيما ولكنى أريد لك أن تكون محمد على مغربى الكاتب والشاعر ومع ذلك فحينما أسندت إليه أمانة العاصمة كلفنى بأعمال كثيرة للأمانة كان فى حاجة إليها على وجه السرعة كما كلفنى بأعمال أخرى للأوقاف العامة ولم يبخل بتشجيعه واعلان رأيه الطيب فى كل مناسبة رحمه الله .

إدخال الميكروفونات إلى المسجد الحرام

ولعل من أهم ما تميز به عهد الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله فى الوظائف الحكومية ، أنه كان أول من أدخل الميكروفونات إلى المسجد الحرام وكان التبليغ سواء للأذان أو للتلاوة من الامام إنما تعتمد على أصوات المؤذنين والامام وكانوا يُختارون من ذوى الأصوات الحسنة والقوية فى آن واحد وكان المؤذنون يرتقون المنائر العالية المشيدة فى أطراف الحرم وحينما بدأت الإذاعة السعودية فى البث بعد الحرب العالمية الثانية اتصل بى الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله وقال لى إننا سندخل الميكروفونات إلى الحرم الشريف لنقل الأذان وإننا نحتاج إلى مولدات كهربائية ذات تيار معين فسألته عن التفاصيل المطلوبة فقال إن المهندس المختص بجوارى وهو الذى سيخبرك بذلك وتحدث إلى مهندس مصرى لعل اسمه أبوبكر ولا أذكر بقية الاسم فأخبرنى بالمطلوب وأضاف أننا لم نجد هذه المولدات فى المملكة وحينما رفعنا الأمر للشيخ عبدالرؤوف قال إنك تستطيع

إيجادها قلت أرجو ذلك ، وكان وجود المولدات الكهربائية قليلا ونادرا فى تلك الأيام وكان الشيخ عبدالرؤوف يتعجل الأمر وقد وفقنى الله تعالى الى تحقيق طلبته فقد علمت أن شركة جلاتلى هنكى فى جدة وهى شركة انجليزية ضخمة اشتراها فيا بعد صاحب السمو الملكى الامير عبدالله الفيصل وحولها إلى شركة سعودية باسم المؤسسة العربية للملاحة ، أقول علمت إن هذه الشركة الانجليزية استوردت كمية من المعدات من مخلفات الحرب فذهبت إلى هناك ولحسن الحظ وجدت المرحوم الشيخ أحمد عشماوى مؤسس شركة ـ الأسواق السعودية فيا بعد ـ وكان مدير المبيعات فى شركة جلاتلى هنكى فى ذلك الوقت وأخبرته بحاجتنا إلى هذه المولدات فقال لى اننا لانعرف ان كان الموجود لدينا ضمن هذه المخلفات تتوفر فيه المواصفات المطلوبة فاستعنت بمهندس آخر وأخذنا نبحث بين هذه المخلفات حتى وجدنا مولدين جديدين بالتيار المطلوب وأخبرت الشيخ عبدالرؤوف ان المولدات موجودة وطلبت منه أن يبعث الى مهندسا من قبله لفحصها واستلامها وهكذا كان ونقلت المولدات إلى مكة وما هى إلا أيام قليلة حتى سمعنا صوت الأذان ينطلق من المسجد الحرام من خلال الميكروفونات مما جعل إدارة الحرم تتوسع فى المشروع فيا بعد فأعفى المؤذنون من صعود السلالم الكثيرة الدرجات فى المآذن خمس مرات فى اليوم .

تسقيف المسعى

ولكن أهم انجاز قام به الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله حينما أسندت إليه أمانة العاصمة أنه قام لأول مرة فى التاريخ بتسقيف المسعى ، ولعل الكثيرين من الناس لايزالون يذكرون أن المسعى كان سوقا تجاريا من أهم أسواق مكة المكرمة

تقوم على جانبيه الدكاكين التجارية بمختلف أنواعها وترتفع فيه العمائر الشاهقة على جانبي الشارع ابتداء من الصفا وحتى المروة وكانت دكاكين الصرافين والحلاقين وبائعي المشروبات وأصحاب المتاجر المختلفة تنتشر على جانبي الشارع كما كانت أهم عمارات مكة المكرمة في ناحية الصفا بل وأغلاها وأعلاها ، وكان الساعون بين الصفا والمروة يؤدون نسكهم في وسط هذه الأسواق وضجيجها مما يضطر المرء إلى الشعور بالخروج عن حالة النسك والعبادة إلى ضجيج الحياة وزحامها وكانت المسعى إلى ذلك في بعض أجزائها مكشوفة تخترقها الشمس فكان الناس يتحاشون السعي في أوقات الحرارة ويؤدون نسكهم بعد صلاة الفجر او بعد صلاة العصر أو في الليل في أوقات الصيف وكان القسم الآخر مسقوفا بسقف من الخشب كئيب المنظر إن حمَى من حر الشمس فهو لا يحمي من المطر في الشتاء وإنني لأذكر انني اجتمعت بأحد كبار تجار الكويت الذي قدم حاجا في تلك الأيام فقال لي إن المسعى باقية على حالها منذ مئات السنين ألا تفكرون في إدخال شيء من التغيير عليها قلت إن هذا موضع نسك فكيف تريدنا أن نغيره ؟ قال وهل من النسك أن يكون موضعه سوقا للبيع والشراء ؟ والواقع ان كل عاقل كان يتمنى للمسعى أن يكون مصانا وقد أذن الله بذلك فيما بعد حينما تمت توسعة المسجد الحرام وأدخلت المسعى ضمن نطاق الحرم فتخلصت من السوق وضجيجه وغوغائه . أما دور الشيخ عبدالرؤوف رحمه الله فقد كان قبل هذه التوسعة بسنوات طويلة وقد بدأ هذا الدور بقيام الحكومة ممثلة في شخص وزير المالية الأسبق الشيخ عبدالله السليمان برصف شارع المسعى وكان شارعا ترابيا غير مبلط ومما أذكره عن هذا الرصف أن المهندس المصري الذي كان يشرف عليه وكان اسمه بهجت سليمان أعاد الرصف مرات في المنطقة التي تصل بين شارع القشاشية وأجياد جهة باب علي وما حولها وكل ما تم الرصف أو أوشك جاء السيل من أعلى مكة مخترقا شارع القشاشية فأزال الرصف في طريقه إلى أسفل مكة وأخيرا تم الرصف والحمد لله . هنالك تحرك الشيخ عبدالرؤوف فتقدم إلى المسؤولين بإكمال تجميل المسعى وذلك بإزالة السقف

القديم المتآكل الكئيب المنظر بسقف جميل حديث وهكذا تم له ما أراد وأسند المشروع إلى شركة عرين التى أسسها الأستاذ كمال ادهم والتى كان يديرها مهندس مصرى ضابط اسمه ابراهيم عويس وقامت الشركة المذكورة فى عهد الشيخ عبدالرؤوف بإزالة السقف القديم وتركيب سقف حديث جميل مرتفع قائم على أعمدة حديدية وكان هذا السقف مع الرصف أولَ تحسين أدخل على شارع المسعى فى التاريخ إن صحً هذا التعبير إلى أن تم العمل العظيم الكامل بإدخال المسعى نفسه كاملا فى الحرم كما هو بوضعه الحاضر مما أتاح للحجاج والمعتمرين أداء نسكهم فى جو صاف هادىء لا تعكره ضوضاء الشارع ولا أصوات الباعة والمشترين .

عضو مجلس إدارة الشركة العربية للسيارات

هذا وقد انتخب الشيخ عبدالرؤوف عضوا فى مجلس ادارة الشركة العربية للسيارات لفترة من الوقت ثم سافر إلى مصر فى السبعينات بعد أن تقاعد عن العمل وأقام بها بضع سنين ثم انتقل إلى لبنان وقد توفى رحمه الله بعد مرض قصير يرحمه الله فلقد كان من أعلام الرجال .





محمد جميل حسن

طويل فارع ، حنطى اللون ، واسع العينين ، أقنى الأنف ، يضع على عينيه نظارة طبية ، وكان له زى متميز عن الزى العادى لملابس الشباب من أمثاله فلقد كان يلبس القصير من الثياب تحتها سروال أشبه بالبنطلون السابغ كما كان يرتدى الكوت الطويل ولعله سافر إلى الهند فأعجبه الزي السائد هناك ولقد لاحظت أن كثيرا من الشبان الذين سافروا إلى الهند عادوا إلى الحجاز وهم يرتدون زيا مشابها لهذا مع اختلاف فى بعض التفاصيل .

ولد الأستاذ محمد جميل حسن سنة ١٣٢٢ هـ بمكة المكرمة وتعلم فى مدارسها وأرجح أنه تعلم فى مدرسة الفلاح لأنه عمل بعدها أستاذا فيها وقد عرفت الأستاذ محمد جميل حسن مدرسا بمدرسة الفلاح بجدة فى النصف الأول من الأربعينات وبالتحديد خلال الحرب الهاشمية السعودية وكان الأستاذ محمد جميل حسن نمطا فريدا من الناس له شخصية مستقلة تحدث عن نفسها فلم يكن يكثر الاختلاط بزملائه المدرسين والأساتذة ما بين الحصص وإنما كان يصطحب معه كتابا يعكف على قراءته فى أوقات الفراغ فإذا دخل إلى الفصل ساد النظام وبطل الهرج ووقف الجميع تحية له فيحييهم مشيرا بالجلوس وهو نفسه الذى عودنا على هذا النظام فاتبعناه طائعين ، وكانت الحصة التى يقضيها فى التدريس حصة

جادة إذا صح هذا التعبير فالرجل كان متمكنا من العلوم التى يدرسها فيشرحها شرحا جيدا ويفيض فى هذا الشرح ويوجه الأسئلة الى بعض الطلاب ليعرف مدى استيعابهم لما ألقى اليهم ، وقد يكون كل هذا الذى ذكرت من الأمور التى يتميز بها كثير من الأساتذة ولكن الظاهرة الفريدة التى تميز بها محمد جميل حسن عن غيره من المدرسين أنه كان يلقى الدروس الوطنية على طلابه فيعرفهم بتاريخ بلادهم وامجادها ومايجب أن يفعلوه لاسترجاع ماسلب وإعادة ما اغتصب ، ولم يكن الرجل مدرس تاريخ ولكنه كان مدرس جغرافيا « علم تقويم البلدان » وكنا نتلقى هذا العلم على أيدى مدرسين قبله وبعده فكان حديثهم منحصرا فى تقسيم البحار والأنهار والجبال والوديان وحدود الممالك والدول ، ولكن محمد جميل حسن كان نمطا آخر غير هذا .

كانت الخرائط الجغرافية معلقة فى الجدار أمام التلاميذ وكان الأستاذ محمد جميل حسن يقف أمام هذه الخرائط فيتحدث الحديث المعتاد عن تقسيم البلاد بحارها وأنهارها وسهولها وجبالها والقارات وحدودها وما إلى ذلك ، ولكنه سرعان ما يدخل فى الحديث التاريخى الذى يصل به إلى دروس الوطنية التى خالطت قلبه وملأت شعوره وجوارحه .

أذكر أنه كان أول من حدثنا عن فلسطين وكان هذا فى النصف الأول من الأربعينات وكانت تحت الانتداب الإنجليزى ولم يكن اليهود فيها ألا اقلية ولكن أطماعهم فيها كانت معروفة فكان يضع يده على موضع فلسطين فى الخريطة ويتحدث عن تاريخها وأطماع اليهود فيها ويقول هذه القطعة السليبة من بلاد العرب لابد أن تعاد إلى أهلها ، هذا الجزء الغالى من أرضنا الحبيبة تتكالب عليه

قوى الشر مؤيدة بالاستعمار الانجليزى الغاشم ولا يكتفى بذلك فإذا به يحدثنا عن تاريخ فلسطين منذ الفتح العربى إلى تسلم الفاروق مفاتيح المدينة المقدسة ، ثم ينحدر إلى صلاح الدين واسترجاعه لبيت المقدس ووقعة حطين وكنا نصغى مشدوهين إلى مدرس الجغرافيا الذى تحول درسه الى درس عظيم فى التاريخ ، وإلى خطاب حماسى فى حب الأوطان .

كانت البلاد العربية كلها باستثناء الجزيرة العربية تحت الاستعمار الغربى فى ذلك الوقت فكانت مصر والعراق والأردن وفلسطين والخليج تحت الحكم الانجليزى ، وكانت سوريا ولبنان والمغرب العربى كله تحت الحكم الفرنسى ، وكان محمد جميل حسن يتحدث عن هذه البلاد جميعها وعن مكافحتها للاستعمار ولكنه يطيل ويفيض إذا وصل حديثه إلى فلسطين وكأنه رحمه الله كان يتنبأ أن هذه البلاد جميعها ستحظى باستقلالها وان العقبة الكبرى ستكون هى فلسطين ، ولا أريد أن أطيل فلقد كان الرجل شعلة متقدة من الحماس والنضال وكان ملما إلماما تاما بالمادة التى يدرسها وكثيرا ما ذكرنا بأمجاد المسلمين والعرب وفتوحاتهم فى أوروبا ولست فى حاجة إلى أن أقول إننا كنا نترقب الحصص التى يدخل فيها علينا واننا نتحول جميعا إلى آذان صاغية وقلوب متفتحة تموج بالعواطف والأحاسيس وكان الرجل على صلة بالملك الشريف على بن الحسين أيام حكمه وكان يرى دائما فى القصر ولعله كان على صلة بالأسرة الهاشمية كلها فلقد كان واضحا فى أحاديثه معرفته بالملك فيصل الأول ملك العراق ، والملك عبدالله ابن الحسين ملك الأردن رحمهما الله ، وكان يوما يلقى علينا درسه المعتاد وإذا بنا نسمع ضجيجا وأصوات طلقات نارية ، فانفلت الاستاذ محمد جميل حسن من القاعة لينظر ما الخبر ؟ وكان الجنود المرتزقة الذين استقدمهم الملك على بن

الحسين للدفاع عن مدينة جدة وهم من الدروز يتظاهرون مطالبين بصرف مرتباتهم التى انقطعت عدة شهور فلم يكن من محمد جميل حسن الا أنه خرج إليهم منفردا وتحدث إلى رؤسائهم فانقطع صوت الرصاص وخفتت الضجة ومضوا مواصلين مسيرتهم فى هدوء ، ولقد سمعته بعدها يحدث مدير المدرسة والأساتذة الذين التفوا حوله أنه أفهم رؤساء المتظاهرين أنهم يمرون أمام مدرسة تضم المئات من التلاميذ وأنه لا حاجة لإطلاق النيران فى هذا المكان بالذات فاستمعوا لنصحيته وهو موقف يدل على الشجاعة والإقدام •

وعلى ذكر الجنود المرتزقة نذكر أن هؤلاء الجنود كانوا من الدروز الذين يسكنون فى أراضى سوريا ولبنان وفلسطين ، وكان الملك الحسين بن على حينما غادر جدة بعد خلعه وتولية ابنه الملك على ذهب إلى العقبة وكان ابنه الملك عبدالله بن الحسين يرسل إليه هؤلاء الجنود المرتزقة لترحيلهم إلى الحجاز وكان قائد هؤلاء الجنود ضابطا سوريا اسمه تحسين الفقير وكان الدفاع عن مدينة جدة مقسما على ثلاث فئات الدروز واليمنيين والمتطوعين من أبناء البلاد وكان يحيط بمدينة جدة سور من الأسلاك وكانت كل فئة تتمركز فى ناحية من النواحى وقد باع الملك على شارع قابل كما أسلفنا فى حلقة سابقة لمواجهة مصاريف الحرب بأبخس الأثمان ، وحينما تظاهر الدروز فى المرة التى أشرنا إليها اعتصموا بمسجد عكاش فى قلب مدينة جدة ذهب اليهم كبير جدة المرحوم الشيخ محمد الطويل وتعهد لهم بتسديد استحقاقاتهم وباع المنزل الوحيد الذى كان يملكه لسكنه الخاص وأوفى لهم بجميع حقوقهم وأعادهم الى بلادهم ، نعود بعد هذا الاستطراد إلى الأستاذ محمد جميل حسن فنذكر طرفة عنه سبق أن ذكرتها فى كتابى حبات من عنقود والطرفة بعنوان « **رجل فى التراب ورأس فى السحاب** » ••

كان الأستاذ محمد جميل حسن رحمه الله أستاذا لنا بمدرسة الفلاح بجدة وكان يعلمنا الجغرافيا والإنشاء والحساب ، وكان مربيا قديرا وأستاذا مثاليا وقدوة تحتذى ، وكان يختصنى بكثير من الرعاية والتشجيع وكان درس الجغرافيا أو علم تقويم البلدان كما يسمونه الآن من أحب الدروس إلينا على عهد الاستاذ جميل حسن فلقد كان درسا فى الوطنية والاقتصاد قبل أن يكون درسا فى أسماء المدن والممالك والبحار والغابات .. وإننى لأذكر كيف يفيض ويتدفق حينما كان يقف أمام خريطة البلاد العربية فيتحدث عن كل قطر منها وما تضمه أرضه من خيرات ، وكيف كان يهاجم الاستعمار الذى كان مازال رابضا على أرض أجزاء كثيرة من البلاد العربية ، وكان يتجلى حنقه وسخطه حينما كان يصل إلى فلسطين فينقلب إلى خطيب مصقع وهو يومىء بعصاه الصغيرة إلى موقعها من الخريطة ويقول هذه القطعة المغتصبة من أرض الوطن العربى ، هذا الجزء العزيز على نفوس الأمة العربية جمعاء لن نقبل بتسليمه لليهود ، ويفيض فى مثل هذه المواقف بحماس يملأ التلاميذ شعورا متدفقا من الغيرة والحمية .. وأعطانا الأستاذ يوما فى درس الإنشاء بيتا من الشعر وطلب منا أن نشرح مقصد الشاعر منه وهذا البيت ..

وكن رجلا رجله فى الثرى ☆ وهامة همته فى الثريا

ولم يفتح الله علينا بشىء ، فهمنا أن المقصود أن يكون الرجل رجله فى الثرى ، ولكن ما هى هامة الهمة هذه المطلوب أن تكون فى الثريا ؟ وحضرنا فى اليوم التالى وجاء زميلنا الاستاذ عبدالكريم بكر وهو الآن من كبار موظفى الشركة التجارية العربية بجدة ـ وقال : لقد عرفت حلّ البيت قلنا هات .. قال : إن مقصد الشاعر أن يكون الانسان رجله فى التراب ، ورأسه تدق السحاب ثم قال : إن الهامة هى الرأس والثريا هى نجم مشهور فى السماء فهل تريدون ان

تخلقوا معانى من غير كلمات الشاعر ، وفهمنا ضمنا أنه استعان بأحد العارفين فى الشعر ٠٠ فتوصل إلى هذه المعانى ، وكتبنا جميعا ما قال الزميل عبدالكريم ، ان مقصد الشاعر ان يكون الانسان له رجل مغروسة فى التراب ، ورأس ملتصق بالسحاب ، وقدمنا الكراسات للأستاذ وكلها مكتوبة فى سطر واحد وصيغة واحدة دون تنويع أو تغيير ، واعتقد الاستاذ جميل أننا نسخر منه وكان صارما بقدر ما كان مخلصا ونظر إلى كراستى واستدعانى من دون التلاميذ وقال ، حتى أنت فعلتها معهم ؟ وصمت حياء وخجلا وعاقب التلاميذ جميعا دون استثناء وكانت هذه هى المرة الوحيدة التى أتعرض فيها لعقابه فكان شعورى بالخزى من العقاب أكبر من شعورى بالعقاب نفسه ٠

وفى مساء هذا اليوم بالذات كنا نسير خارج البلدة وكان الاستاذ جميل حسن يقوم بنزهته المسائية وحيدا كعادته واقترب منى أحد الناس وسألنى هل تعرف الأستاذ جميل حسن المدرس بمدرستكم ؟ قلت نعم قال : أين يسكن ؟ قلت لا أدرى ولكنه أمامك وأشرت إليه فذهب اليه وتحدث معه قليلا ٠٠ وعدت إلى منزلى وعدنا فى اليوم التالى إلى المدرسة ولكن الأستاذ جميل لم يحضر فى ذلك اليوم ولا فيما تلاه من أيام وقيل لنا أخيرا إنه سافر الى مكة وانقضت شهور طويلة علمت بعدها أن الله تعالى اختاره الى جواره فتأثرنا جميعا لوفاته رحم الله الاستاذ محمد جميل حسن فلقد كان استاذا عظيما ومربيا قديرا وكان أول من علمنا الوطنية ، انتهى ما نقلناه بنصه من كتابنا حبات من عنقود ٠

وقبل أن نختتم الحديث عن الأستاذ محمد جميل حسن نقول إنه كان من أوائل الأدباء الذين شاركوا فى كتاب أدب الحجاز الذى أصدره المرحوم الشيخ محمد سرور الصبان فى عام ١٣٤٤ هـ وله فى قسم المنثور مقالان يفيضان حماسة

ووطنية وقد علمت أنه بعد عودته إلى مكة المكرمة أصيب بمرض عضال وكان يقضى أيامه فى المطالعة ولم يتزوج وتوفى فى أواخر الأربعينات فى حوالى الثلاثين من العمر تغمده الله برحمته الواسعة وأجزل ثوابه فى عليين ..





الشيخ محمد على ملطانى

طويل فارع ، حنطى اللون ، مستطيل الوجه ، واسـع العينـين ، له لحية متكاملة خفيفة ، يلبس العباءة العربية ويضع على رأسه غترة بيضاء فى الصيف أما فى الشتاء فيعتم بعمامة من الصوف ، وكان يشد وسطه بحزام خفيف من القماش وكان يحمل ساعة معدنية مربوطة بخيط أسود إلى عروة الثوب لتستقر بين ثنايا هذا الحزام فهو فى لباسه هذا يمثل طبقة الأعيان من رجال الحارة الذين أخذوا بنصيب من عادات المتحضرين من أهل المدينة واحتفظوا فى نفس الوقت بشارات زعماء الحارة وتقاليدهم والواقع أن الملابس فى النصف الأول من القرن الهجرى الرابع عشر كانت تمثل الطبقة التى ينتمى إليها المرء تمثيلا يكاد أن يكون دقيقا فبالنسبة لطبقة التجار يلبس الثوب من الشاش الرفيع فى الصيف ويشد الوسط بشال من القرمسود غالبا ما يكون مشغولا من صنع الشام وهو من الحرير الخالص ويكون هذا الحزام رفيعا رقيقا وفوق الثوب تلبس الشاية من الكتان الأبيض وفوقها الجبة والعمامة الحجازية المعروفة أما فى الشتاء فتكون الجبة من الصوف وأحسن أصنافه نوع اسمه « الانقورى » وفى هذا الحزام توضع الساعة « الراسكوف » والتى تشد إلى عروة الثوب بسلسلة من الذهب وربما كانت الساعة ذهبية كذلك ، كما يوضع بين ثنايا الثوب كيس من القماش من نوع قماش

الجبة فيه بعض النقود الفضية أما طبقة الأفنديات من أبناء التجار فيلبسون الثوب وفوقه الكوت ويضعون على رؤوسهم أو على الاصح على أكتافهم شالا مشغولا إما من اللاس وهو قماش كذلك من الحرير أو هو من البريسمى وهو من الإبريسم الذى كان يصنع فى تركيا أو فى سوريا ويكون داكن اللون مشغولا وغالى الثمن ، وفوق الثوب كوت من نفس القماش يوضع فيه القلم الذهبى والساعة وذلك قبل انتشار ساعات اليد وبينما ينتعل الرجال الحذاء الحجازى الذى يصنع محليا فى جدة ومكة والذى كان يتزين بشىء من القصب وأحسن أنواعه يسمى « ابوخرزين » فان الشبان يلبسون الأحذية الجلدية الواردة من الهند فإذا ترك هؤلاء الشبان عهد الدراسة لبسوا الجبة فوق الكوت والعمامة الحجازية بدلا من الشال فالفارق بينهم وبين الكبار هو تميز الأولين بالشاية وحزام الوسط وتميز الآخرين بالكوت دون حزام للوسط فاذا انتقلنا الى الطبقة الشعبية الوسطى وجدنا أن الثوب يكون من قماش متين وغالبا مايكون ملونا كما أن السروال الذى يرتديه التجار والأفنديات طويل سابغ يغطى العقبين مشغول الأطراف تشده دكة كذلك مشغولة بينما يكون السروال الشعبى قصيرا إلى حد الركبة والحزام الذى يشد الوسط عريض من الصوف المشغول وغالبا ما يكون أخضر اللون أو أحمره ويجىء الشال الذى يوضع على الكتف من نفس النوع أما الرأس فتوضع عليه كوفية صغيرة لا تغطى إلا الجزء الأوسط من الرأس بينما تكون هذه الكوفية لابناء الطبقة الوسطى وأبناء الذوات سابغة كبيرة تغطى الرأس جميعه وتميل على الجبين ، ويغلب حفاء الأقدام على الطبقة الشعبية الفقيرة وإذا كان منهم من يلبس الاحذية فهى من الاحذية المحلية التى تصنع فى مكة وجدة فإذا وصلنا الى زعماء الطبقة الشعبية كالعمدة ومن يتصلون به من أعيان هذه الطبقة وجدنا أن لباسهم هو كما وصفناه ويزيد على ذلك عمامة كبيرة على الرأس

إما من البغدادى فى الصيف أو الصوف المشغول فى الشتاء ثم مِصْنَفْ أو حَمُّودِي وهو قماش متين مخطط يوضع على الكتف ويمسكون فى أيديهم عصا من العصى الغليظة التى تسمى « الشون » هذا بالنسبة للباس أهل الحجاز أما الجاليات الأجنبية فكانت تتميز بملابسها الخاصة التى تدل على جنسياتها والواقع أن الحديث عن الأزياء وخاصة فى النصف الأول من العام الهجرى الرابع عشر طويل ومتشعب ولا تتسع له هذه العجالة .

نعود بعد هذا إلى الشيخ محمد على ملطانى رحمه الله فنقول إن الرجل كان زعيا محبوبا لدى معارفه بحق فهو يعرف الكثيرين من الطبقة الوسطى والشعبية بحكم نشأته بينهم كما أن مواهبه رشحته لصداقة عظماء الرجال فى عصره وخاصة من كان بيدهم الحل والعقد فكان هو واسطة هؤلاء الناس لديهم لقضاء حوائجهم ، وقد عرفته فى منتصف الخمسينات حينما عملت بمكتب الشيخ محمد سرور الصبان رحمه الله بمكة المكرمة فعرفت رجلا لَمَّاحاً بارع الذكاء رغم ضآلة تعليمه ولكنه كان عظيم الخبرة بالحياة والناس وكان يخاطب الناس على قدر عقولهم ويتفانى فى خدمتهم بل ولا يتأفف من ذلك .

كان يحضر إلينا فى مكتب الشيخ محمد سرور عصر كل يوم تقريبا وبيده قائمة بطلبات الناس هذا يريد إركابا بالبريد وكانت سيارة البريد الوسيلة الوحيدة للسفر سواء إلى مكة أو المدينة أو الطائف وكانت تابعة للشركة العربية للسيارات فلم تكن هناك أتوبيسات أو تاكسيات وإنما كان الناس يركبون فى سيارات البريد والمحظوظ منهم من يجد محلا له بجوار السائق أما بقية الركاب فيتخذون مقاعدهم داخل الصندوق مع طرود البريد وأكياسه نقول إن الشيخ محمد على ملطانى يحضر الينا عصر كل يوم وبيده قائمة بطلبات الناس ابتداء من طلبات الإركاب إلى طلبات المساعدة إلى تعقيب المعاملات إلى غير ذلك من

مختلف الاغراض والطلبات ، وأذكر أنه حضر إلى يوما وكنت مشغولا وكان المكتب يغص بالزائرين ورأى بعضهم كيف أطال الشيخ الملطانى الكلام معى وهو ينظر فى القائمة وأنا أخبره بما تم إنجازه من الطلبات السابقة ، وبما وعد به الشيخ محمد سرور أو أشار به فى الطلبات الأخرى فقال لى أحدهم بعد أن ذهب الشيخ الملطانى لقد أخذ هذا الرجل من وقتك الكثير فهلا اختصرت الحديث معه ؟ فان غيره من الجالسين ينتظرون على أحر من الجمر قلت إن الرجل لم يطلب شيئا لنفسه وإنما كان يسعى فى طلبات الناس فهو لسان من لايستطيع إيصال حاجته،أو يمنعه الحياء أو يقعد به المرض أو الحاجة فسكت والواقع أن صلتى بالمرحوم الشيخ محمد على ملطانى امتدت إلى أن توفاه الله وعلى كثرة ما كان يسعى لقضاء خاجات الناس لم أره يوما يطلب شيئا لنفسه أو يسعى إلى منفعة وكان الرجل مضيافا له بيت مفتوح فى الطائف صيفا يستقبل فيه الضيوف من معارفه الكثيرين كما كان يسافر إلى المدينة كل عام فتكون داره فى المدينة المنورة مفتوحة للناس ليل نهار وكان الرجل مغرما بألعاب الورق والطاولة والبجيس وغيرها وكان بارعا فيها فكان يسهر بعض الأحيان إلى الهزيع الأخير من الليل وربما صلى الفجر ثم نام ، ومع اسرافه فى هذا اللهو البرىء فقد كان رجلا عاملا غير هامل .

مَصنَعُ الخِيام

فكان له بيت فى القرارة جهة المروة يتخذ منه مكتبا وإدارة لمصنع الخيام ولعله كان أول من صنع الخيام بمكة المكرمة وكنت أزوره فى هذا المكتب فأجد العمال الذين أحضرهم وجميعهم من أهل مكة المكرمة يعكفون على صنع الخيام وكان يشترى لهم القماش الجيد المتين ويصنعون الخيام الكبيرة والصغيرة ويؤجرها فى

زمن الحج وقد استأجرت منه بعض الخيام الكبيرة فى حج أحد الاعوام وأدركنا المطر فى عرفات وكان مطراً عظيما فاظلتنا الخيام دون أن تنزل منها قطرة ماء بينما كانت بعض الخيام المصنوعة فى مصر أو الهند لا تظلل المجتمين بها ولو أن الشيخ محمد على رحمه الله توسع فى مشروعه هذا وحسنه واستعان فيه ببعض الآلات الحديثة لكان لنا مصنع أو مصانع كثيرة للخيام الجيدة بدلا من استيراد عشرات الألوف منها كل عام ..

والشيخ الملطانى كان رجلا أنيس المجلس حاضر البديهة وقد رويت فى كتاب حبات من عنقود بعض الطرائف عنه أوردها فيما يلى :

وَاحِدَةٌ مِن أعدَاءِ اللهِ تَكفِي

كان المرحوم الشيخ محمد على ملطانى يجمع الكثير من حميد الخصال ، فلقد كان محبا للخير مشاء فى خدمة الناس ، وكان يحضر إلينا يوميا فى مكتب الشيخ محمد سرور الصبان ومعه قائمة بطلبات الناس ، هذا يريد له إركابا إلى المدينة أو الطائف ، وهذا يعقب له على معاملة بوزارة المالية وذلك يحتاج إلى مساعدة أو وظيفة ، وتوثقت صلتى به رحمه الله حتى أصبحت اعتمد عليه فى كثير من أمورى الخاصة ، وكان رجلا عاملا يجمع إلى الجد فى العمل أنس المحضر ، ومحبة الناس وكان منزله فى الطائف أو فى المدينة المنورة مجمعا للأصدقاء والأحباب من جميع الطبقات .

وكان قديرا على إرضاء النزعات المختلفة بأساليب غاية فى اللطف وحسن المخرج وله طرائف عجيبة أذكر منها أن إحدى بناته ولدت ولدا وأرادت هى وزوجها أن يسمياه أحد الأسماء الحديثة فى ذلك الوقت كفاروق ولطفى وفؤاد وما إلى ذلك ، وأراد جد الطفل لأبيه أن يسمى باسمه وكان هذا الجد هو الشيخ

حامد مؤمنة ، وتدخل الشيخ محمد على رحمه الله بوصفه جد الطفل لأمه وهنا تظهر براعته فى إرضاء جميع الأطراف مع تحقيق ما يريد ، واجتمع الناس لحضور التسمية وكان السيد محمد السقاف رحمه الله الذى كان معروفا فى أوساط مكة المكرمة يقوم بمراسم التسمية ونهض الشيخ محمد على وقال « نعمل قرعة » وأحضر أوراقا صغيرة مكتوبا فيها الأسماء المقترحة ودعى السيد السقاف لاختيار أحدها وفض السيد الورقة فإذا الاسم المكتوب بها هو حامد اسم جد الطفل وتهلل وجه الجد وأشرق ، وقال الشيخ محمد على بلهجته المعروفة للسيد السقاف هيا سم الطفل حامد وتمت التسمية بين سرور الجميع ، وحضر المرحوم الشيخ محمد على فى اليوم التالى وحدثنى عن الأمر وهو يضحك قال أرادت البنت وزوجها أن يسميا طفلهما الأول بأسماء الملوك ولم يراعيا شعور جد الطفل وهو أحق بالمراعاة فقلت لهم سنعمل القرعة وكتبت الأوراق جميعها باسم الجد وهو حامد ودعوت السيد السقاف لاختيار الاسم وكان الاختيار واحدا لا مفر منه وهكذا حققت رغبة الجد دون أن أشعر الآخرين بأن هذا الاسم قد أملى عليهم ، قلت ولكن ماذا لو رجعوا إلى الاوراق فوجدوها جميعا باسم واحد ؟ قال لقد مزقت الأوراق كلها حالما أعلن الاسم لئلا يعود إليها أحد ..

وذات يوم كنا مسافرين من مكة إلى الطائف مع معالى الشيخ محمد سرور وكان المرحوم محمد على ملطانى معنا ، ووصلنا إلى السيل وتناولنا عشاءنا بها ، ويبدو أن الشيخ محمد سرور كان راغبا فى المبيت تلك الليلة بالسيل ولاحظ الشيخ محمد على ملطانى ذلك فقال أليس الأولى أن نواصل السير فنبيت فى بيوتنا بالطائف ؟ ونظر إليه الشيخ محمد سرور وقال له مداعبا أتنوى الزواج الليلة ؟ فضحك رحمه الله وقال واحدة من أعداء الله تكفى وكان يعنى بهذا .. ومعذرة إلى القارئات الكريمات أن زوجة واحدة تكفيه فما له وللثانية .. وواصلنا

سفرنا إلى الطائف ومضت بضعة أيام علمت بعدها أن الشيخ الملطانى أعرس فى تلك الليلة بالطائف وأن واحدة من أعداء الله كما وصفها أو من أحبائه كما يصفها غيره لاتكفى .. وقلت له مداعبا لقد فعلتها .. وكتمت الأمر عنا حتى ونحن رفاقك فى السفر .. فضحك ثم قال إنك تعلم ان لى سبعا من البنات ليس لهن أخ ولقد تزوجت الزوجة الثالثة آملا أن يرزقنى الله منها أخا لهم .

ولم تمض عدة شهور حتى انتقل الشيخ محمد على الى رحمة الله تعالى مأسوفا عليه من محبيه الكثيرين وكانت الزوجة الجديدة حاملا وبعد وفاته وضعت بنتا أخرى .. رحم الله الشيخ محمد على ملطانى فلقد كان يمثل الرجل المكى الأصيل بما طبع عليه من خلق يجمع بين الجد والفكاهة ، وكان واسطة عقد الأصدقاء يوسع لهم من نفسه وداره ويختصهم بالسعى فى شؤونهم مع أنس المحضر ، ولطف المدخل وعدم الإدلال بشيء مما يفعل رحمه الله ..

انتهى ما نقلناه بنصه من كتاب حبات من عنقود المطبوع عام **١٣٨٧** هـ .

شارع الملطاني

وقبل أن نختتم الحديث عن المرحوم الشيخ محمد على ملطانى نذكر أنه كان يملك بيتا كبيرا فى مدينة الطائف أمام باب شبرا وقد قام بهدمه وأنشأ فى موضعه شارعا به حوانيت كثيرة على الجانبين وبنى فى واجهته منزلين يطلان على باب شبرا ولعله بنى فى مؤخرته مثلها وكان يسعى رحمه الله إلى جعله شارعا لمهنة من المهن ولكن الوفاة أدركته فجأة قبل أن يتحقق له ما أراد فقد توفى بعد الانتهاء من عمارة الشارع مباشرة وقد علمت فيما بعد أنه أصبح شارعا للخياطين أو خلافهم وهو عمل جرىء وجيد اختتم به الشيخ محمد على رحمه الله حياته العاملة الطيبة .

هذا وكانت وفاة الشيخ محمد على ملطانى رحمه الله بالطائف فى النصف الأول من الستينات عن عمر يقرب من الخمسين تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته ٠

اتبعنا فى ترتيب نشر هذه التراجم ان تكون مسلسلة على الحروف الابجديه وقد حدث بعض الخطأ فى هذا الترتيب بصورة غير مقصودة ولم يكن من الممكن تفادى هذا الخطأ بعد اتمام الطبع فالى ذلك نلفت الانتباه ٠

مراجع الكتاب

اسم الكتاب	المؤلف
ابتسامات الايام فى انتصارات الامام	محمد بن عبدالله بن بليهد
ابو عرام والبشكه	احمد قنديل
أدب الحجاز	محمد سرور الصبان
الراعى والمطر	احمد قنديل
المركاز	احمد قنديل
المعرض	محمد سرور الصبان
اللوحات	احمد قنديل
الموسوعة الأدبية	عبدالسلام طاهر الساسى
أوراقى الصفراء	احمد قنديل
تاريخ مدينة جدة	عبدالقدوس الأنصارى
تطور الصحافة فى المملكة العربية السعودية	عثمان حافظ
خواطر مصرحه (جزئين)	محمد حسن عواد
ديوان العواد (جزئين كبيرين)	محمد حسن عواد
رجل وعمل	عبدالله عريف
سير وتراجم بعض علمائنا فى القرن الرابع عشر للهجرة	عمر عبدالجبار
شمعتى تكفى	احمد قنديل
عروس البحر (جزئين)	احمد قنديل
قاطع الطريق	احمد قنديل
ماضى الحجاز وحاضره	حسين محمد نصيف
مجموعة جريدة بريد الحجاز	
مجموعة جريدة صوت الحجاز	
بعض المجلات والصحف المحلية والعربية	
محمد طاهر الدباغ	بكر الصباغ
محمد على زينل رضا	محمد احمد الشاطرى
نار	احمد قنديل
همسات العريف	زهير محمد جميل كتبى



فهرس الصور

الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

إصدارات إدارة النشر بتهامة

الكتاب العربي السعودي

صدر منهـــا:

الكتاب	المؤلف
* الجبل الذي صار سهلاً	المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
* من ذكريات مسافر	الأستاذ محمد عمر توفيق
* عهد الصبا في البادية	ترجمة الاستاذ عزيز ضياء
* التنمية قضية	دكتور محمود محمد سفر
* قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا	دكتور سليمان محمد الغنام
* الظمأ (مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
* الدوامة (قصة طويلة)	دكتور عصام خوقير
* غداً أنسى (قصة طويلة)	دكتورة أمل محمد شطا
* موضوعات اقتصادية معاصرة	دكتور علي بن طلال الجهني
* ازمة الطاقة إلى أين؟	دكتور عبد العزيز حسين الصويغ
* نحو تربية إسلامية	الأستاذ أحمد محمد جمال
* إلى ابنتي شيرين	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* رفات عقل	المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* شرح قصيدة البردة (دراسة وتحقيق)	دكتور محمود حسن زيني
* عواطف انسانية (ديوان شعر)	دكتورة مريم البغدادي
* تاريخ عمارة المسجد الحرام	المرحوم الشيخ حسين باسلامة
* وقفة	دكتور عبد الله حسين باسلامة
* خالتي كدرجان (مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
* أفكار بلا زمن	الأستاذ عبد الله الحصين
* علم إدارة الأفراد	الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
* الابحار في ليل الشجن [ديوان شعر]	الاستاذ محمد الفهد العيسى
* طه حسين والشيخان	الأستاذ محمد عمر توفيق
* التنمية وجهاً لوجه	دكتور غازي القصيبي

* الحضارة تحد — دكتور محمود محمد سفر
* عبير الذكريات (ديوان شعر) — الأستاذ طاهر زمخشري
* لحظة ضعف — الأستاذ فؤاد صادق مفتي
* الرجولة عماد الخلق الفاضل — المرحوم الأستاذ حمزة شحاتة
* ثمرات قلم — الأستاذ محمد حسين زيدان
* بائع التبغ — الأستاذ حمزة بوقري
* اعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة — الاستاذ محمد علي مغربي
* النجم الفريد — ترجمة الاستاذ عزيز ضياء
* مكانك تحمدي — الأستاذ أحمد محمد جمال
* قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
* نبض.. — الأستاذ عبد الله جفري
* نبت الأرض — الدكتورة فاتنة أمين شاكر

تحت الطبع:

* السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام محمد علي خوقير
* قصص من سومرست موم — ترجمة الاستاذ عزيز ضياء
* عن هذا وذاك — دكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
* قصص من طاغور — ترجمة الاستاذ عزيز ضياء
* الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
* افكار تربوية — دكتور ابراهيم عباس نتو
* تأملات في دروب الحق والباطل — الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
* خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
* نقر العصافير — المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
* السنيورا (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
* أيامي.. — الأستاذ أحمد السباعي

* التاريخ العربي وبدايته	الأستاذ أمين مدني
* ماما زبيدة [مجموعة قصصية]	الأستاذ عزيز ضياء
* مدارسنا والتربية	الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
* دوائر في دفتر الزمن «مجموعة قصصية»	الأستاذ سباعي عثمان
* جسور إلى القمة	الأستاذ عزيز ضيـــاء
* قال بيدبا	الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار
* هكذا علمني وردزورث	الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
* عام ١٩٨٤ جورج أورويل [ترجمة]	ترجمة الاستاذ عزيز ضياء
* مشواري مع الكلمة	الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
* وجيز النقد عند العرب	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
* لن تلحد	الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
* تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها	فضيلة الشيخ حسين باسلامة
* رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر)	الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
* الإسلام في نظر أعلام الغرب	الشيخ حسين باسلامة
* فلسفة المجانين	الأستاذ سعد البواردي
* الأصداف (ديوان شعر)	المرحوم الأستاذ أحمد قنديل
* عن هذا وذاك	دكتور غازي القصيبي
* الدمعات الخمس (ديوان شعر)	المرحوم الاستاذ أحمد قنديل
* العقاد	الاستاذ أحمد عبدالغفور عطار

الكتاب الجامعي

صدر منها:

* الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية	دكتور مدني عبد القادر علاقي
* الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق [باللغة الانجليزية]	الدكتور : فؤاد زهران الدكتور : عدنان ججوم الدكتور : محمد عيد
* النمو من الطفولة إلى المراهقة	دكتور محمد جميل منصور دكتور فاروق سيد عبد السلام
* الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب ايطاليا	دكتور عبد المنعم رسلان
* النفط العربي وصناعة تكريره	دكتور أحمد رمضان شقلية
* علاقة الآباء بالأبناء [دراسة فقهية]	دكتوره سعاد ابراهيم صالح
* مبادئ القانون لرجال الأعمال في المملكة العربية السعودية	دكتور محمد ابراهيم أبو العينين
* الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية	الأستاذ هاشم عبده هاشم

تحت الطبع:

* الملامح الجغرافية لدروب الحج	الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
* مشكلات الطفولة	دكتور محمد جميل منصور
* هندسة النظام الكوني في القرآن	دكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر

* الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي
* النظرية النسبية — دكتور عبد الرحمن فكري
* الأدب المقارن (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوربية) — دكتور عبد الوهاب علي الحكمي
* شعراء التربادور — دكتورة مريم البغدادي
* الفكر التربوي في رعاية الموهوبين — الدكتور لطفي بركات أحمد

مطبوعات تهامة
PUBLICATIONS

صدر منها:

* حارس الفندق القديم — الأستاذ صالح ابراهيم
* دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — دكتور محمود الشهابي
* التخلف الإملائي — الأستاذة نوال قاضي
* ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة العربية)
* ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية)
* تسالـــي — دكتور حسن يوسف نصيف

تحت الطبع:

* مجلة الأحكام الشرعية — للمرحوم الشيخ أحمد بن عبد الله قاري

دراسة وتحقيق:

د. عبد الوهاب أبو سلميان   د. محمد ابراهيم أحمد علي

* النفس الانسانية في القرآن — الأستاذ ابراهيم سرسيق
* الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الاسلام. — الأستاذ أمين ساعاتي
* خطوط وكلمات [رسوم كاريكاتورية] — الأستاذ علي الخرجي
* القرآن ودنيا الانسان — الأستاذ صلاح البكري
* الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — دكتور حسن محمد باجودة
* الأسر القرشية .. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
* الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
* ألوان — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
* عطـر وموسيقـى — الأستاذ محمد اسماعيل جوهرجي
* اضواء على نظام الأسرة في الاسلام — دكتوره سعاد ابراهيم صالح
* وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
* سوانح وخطرات — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
* الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — دكتور جميل حرب محمود حسين
* نقاد من الغرب — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
* ماذا تعرف عن الأمراض — دكتور اسماعيل الهلباوي
* جهاز الكلية الصناعية — دكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر

رسائل جامعية

تحت الطبع:

* العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
* القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
* الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
* تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر

● نظام الحسبة في العراق حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق

● افتراءات فليب حتّى، وبروكل مان على التاريخ الإسلامي. — الأستاذ عبدالكريم على باز

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة ـ للاستاذ يعقوب اسحاق

صدر منها:

- القرد ..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الاسد
- البغل
- الفار ..
- الحمار الاهلى

تحت الطبع:

* الذئب
* الحمار الوحشى
* الفراشة
* الخروف
* الببغاء
* الوعل
* الجاموس
* الحمامة
* الفرس
* الدجاج
* البط
* الغزال

كتاب الناشئين

وطني الحبيب

[حلقات] يكتبها الأستاذ يعقوب إسحاق

صدر منها :

جدة القديمة

تحت الطبع :

جدة الحديثة.

حكايات للأطفال — يكتبها الأستاذ عزيز ضياء

قصص للأطفال — تكتبها الأستاذة فريدة فارسي

كتب صدرت باللغة الانجليزية

English Books Published By Tihama

- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.
- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F.M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED

- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi

- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan